

سلسلة أحسن الحديث
تفسير قول الله ورسوله
يقول الله ورسوله



عن قوله:

لَكُمْ دُونِي كُرُورِي حِينَ



تأليف

محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عماري

سلسلة أحسن الحديث
تفسير قول الله ورسوله
يقول الله ورسوله

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ

عن قوله:

لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ حَتِّينَ

تِسْعَةَ عَشَرَ دَرَسًا عَمَلِيًّا
لِإِخْرَاجِ مَا أُخِذَ مِنْ دِينِ الْمُشْرِكِينَ
وَأُدْخِلَ فِي دِينِ الْمُسْلِمِينَ

تأليف

محمد بن عبد الله بن محمد بن عماري

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المُقدِّمة^(١)

اللَّهُ يَتَحَدَّثُ عَنْ دِينِ الْمُشْرِكِينَ، وَدِينِ الْمُسْلِمِينَ.

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ، عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ الْإِنْسَانَ، عَلَّمَهُ الْبَيَانَ، وَالصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ عَلَى الَّذِي لَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى، إِنَّهُ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى، **أَمَّا بَعْدُ:**

فَسَوْفَ نَسْتَمِعُ إِلَى اللَّهِ لِيُحَدِّثَنَا عَنْ دِينِ الْمُشْرِكِينَ وَدِينِ الْمُسْلِمِينَ فِي تِسْعَةِ عَشَرَ دَرَسًا أَخْرَجَ فِيهَا مَا أُخِذَ مِنْ دِينِ الْمُشْرِكِينَ، وَأُدْخِلَ فِي دِينِ الْمُسْلِمِينَ.

قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ النَّسَاءِ: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٨٧].

وَقَدْ نَهَى اللَّهُ الْمُسْلِمِينَ عَنْ أَعْمَالِ الْمُشْرِكِينَ لِأَخْتِلَافِ دِينِهِمَا؛ فَقَالَ فِي

سُورَةِ الْكَافِرُونَ: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون: ٦].

وَلَا اخْتِلَافَ طَرِيقَتَيْهِمَا فِي عِبَادَةِ اللَّهِ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْكَافِرُونَ: ﴿قُلْ

يَتَّبِعُوا الْكُفْرُونَ ﴿١﴾ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا

أَعْبُدُ﴾ [الكافرون: ١-٣].

فَطَرِيقَةُ الْمُشْرِكِينَ مِنَ الْأُمِّيِّينَ^(٢): أَنَّهُمْ يَعْبُدُونَ إِلَهَيْنَ؛ قَالَ اللَّهُ

فِي سُورَةِ النَّحْلِ: ﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ﴾

[النحل: ٥١].

(١) اجْعَلْهَا خُطْبَةً وَمُحَاضَرَةً وَدَرَسًا وَكَلِمَةً وَبَرَنَاجًا فِي الْإِدَاعَةِ أَوِ التَّلْفَازِ وَمَتْنًا حَفَظُهُ.

(٢) الْأُمِّيُّونَ: هُمُ الْمُشْرِكُونَ الْأَصْلِيُّونَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ كِتَابٌ وَلَا رَسُولٌ؛ كَمُشْرِكِي الْعَرَبِ

وَالْمَجُوسِ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ سَبَأٍ: ﴿وَمَا آتَيْنَهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ

مِنْ نَذِيرٍ﴾ [سبأ: ٤٤].

وَقَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ: ﴿أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَنْزَلَ الْكِتَابَ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ

دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ﴾ [الأنعام: ١٥٦].

وَطَرِيقَةُ الْمُشْرِكِينَ مِنَ الْأُمِّيِّينَ: أَنَّهُمْ يَعْبُدُونَ اللَّهَ، وَيَعْبُدُونَ مَعَ اللَّهِ كُلَّ شَيْءٍ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ ص: ﴿وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سِحْرٌ كَذَّابٌ ۖ أَجْعَلِ الْأَلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا﴾ [ص: ٤، ٥].

وقد رَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ فِي سُورَةِ الْمُؤْمِنُونَ؛ فَقَالَ: ﴿وَأَنَّهُمْ لَكَذِبُونَ ۙ﴾ [المؤمنون: ٩٠، ٩١].

وَأَمَرَ بِالرَّدِّ عَلَيْهِمْ فِي سُورَةِ الْإِسْرَاءِ؛ فَقَالَ: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذَا لَا نَبْعُوا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا ۚ﴾ [الإسراء: ٤٢، ٤٣].

وَطَرِيقَةُ الْمُشْرِكِينَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ^(١): أَنَّهُمْ يَعْبُدُونَ ثَلَاثَةً فَيَقُولُونَ: اللَّهُ إِلَهٌ، وَجِبْرِيلُ إِلَهٌ، وَعِيسَى إِلَهٌ، فَتَحْنُ نَعْبُدُ الثَّلَاثَةَ، فَرَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ فِي سُورَةِ النَّسَاءِ؛ فَقَالَ: ﴿وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ ۚ انْتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ ۚ﴾ [النساء: ١٧١].

(١) وَأَهْلُ الْكِتَابِ هُمُ الْمُسْلِمُونَ الَّذِينَ وَقَعُوا فِي الشِّرْكِ؛ كَالْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئَةِ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ: ﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ ۖ أَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاءُ ۖ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ۚ﴾ [آل عمران: ٢٠].

وَأَهْلُ الْكِتَابِ هُمُ الْمُسْلِمُونَ الَّذِينَ وَقَعُوا فِي الشِّرْكِ كَالْيَهُودِ وَالنَّصَارَى؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْمَائِدَةِ: ﴿قُلْ يَتَّاهِلُ الْكِتَابُ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ ۚ﴾ [المائدة: ٦٨].

وَقَالَ فِي سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ: ﴿يَتَّاهِلُ الْكِتَابُ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۚ﴾ [آل عمران: ٦٥].

وَرَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ فِي سُورَةِ الْمَائِدَةِ؛ فَقَالَ: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ
اللَّهَ ثَلَاثٌ ثَلَاثَةٌ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَحْدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ
لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٧٣].

وَأَمَّا طَرِيقَةُ الْمُسْلِمِينَ فِي الْعِبَادَةِ: فَالْمُسْلِمُونَ لَا يَعْبُدُونَ إِلَّا إِلَهًا وَاحِدًا
أَمَرَهُمُ اللَّهُ بِعِبَادَتِهِ؛ فَقَالَ فِي سُورَةِ التَّوْبَةِ: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا
إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ [التوبة: ٣١].

وَفَسَّرَ اللَّهُ الْإِلَهَ الْوَاحِدَ الَّذِي أَمَرَ الْمُسْلِمِينَ بِعِبَادَتِهِ بِأَنَّهُ اللَّهُ؛ فَقَالَ فِي
سُورَةِ الْبَيِّنَةِ: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ﴾ [البينة: ٥].

وَقَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ ص: ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ﴾ [ص: ٦٥].

وَقَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وَسَوْفَ نَسْتَمِعُ إِلَى اللَّهِ لِيُحَدِّثَنَا فِي الْقُرْآنِ عَنْ دِينِ الْمُشْرِكِينَ وَدِينِ
الْمُسْلِمِينَ فِي كُلِّ بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ هَذَا الْكِتَابِ؛ لِأَنَّ الْمُشْرِكِينَ يَتَفَقُّونَ مَعَ
الْمُسْلِمِينَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ، وَيَخْتَلِفُونَ مَعَ الْمُسْلِمِينَ فِي تَوْحِيدِ اللَّهِ فِي الْعِبَادَةِ؛ قَالَ
اللَّهُ فِي سُورَةِ الْأَعْرَافِ: ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ، وَنَذَرَ مَا كَانَ
يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾ [الأعراف: ٧٠].

الدَّرْسُ الْأَوَّلُ

اللَّهُ يَتَحَدَّثُ عَنْ اعْتِرَافِ الْمُشْرِكِينَ بِرُبُوبِيَّةِ اللَّهِ،
وَأُلُوهِيَّتِهِ، وَإِنْكَارِهِمْ لِتَوْحِيدِهِ فِي الرُّبُوبِيَّةِ، وَالْأُلُوهِيَّةِ



الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ، عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي
خَلَقَ الْإِنْسَانَ، عَلَّمَهُ الْبَيَانَ، وَالصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ عَلَى الَّذِي لَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى،
إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى، أَمَّا بَعْدُ:

فَسَوْفَ نَسْتَمِعُ إِلَى اللَّهِ لِيُحَدِّثَنَا عَنِ اعْتِرَافِ الْمُشْرِكِينَ بِرُبُوبِيَّةِ اللَّهِ، وَإِلَهِيَّتِهِ،
وَإِنْكَارِهِمْ لِتَوْحِيدِ اللَّهِ فِي الرُّبُوبِيَّةِ، وَالْأُلُوهِيَّةِ.

قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ النَّسَاءِ: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٨٧].

لَقَدْ شَهِدَ اللَّهُ لِلْمُشْرِكِينَ بِالْاعْتِرَافِ لَهُ بِالرُّبُوبِيَّةِ؛ فَقَالَ فِي سُورَةِ الزُّخْرَفِ:
﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولَنَّ اللَّهُ﴾ [الزخرف: ٨٧].

وَقَالَ فِي سُورَةِ الزَّمَرِ: ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ
لَيَقُولَنَّ اللَّهُ﴾ [الزمر: ٣٨].

وَشَهِدَ عَلَيْهِمْ بِإِنْكَارِهِمْ لِتَوْحِيدِهِ فِي الرُّبُوبِيَّةِ.

فَأَنْكَرُوا أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَاحِدًا فِي الرُّبُوبِيَّةِ لَا رَبَّ غَيْرُهُ.

فَرَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ؛ فَقَالَ فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ: ﴿قُلْ أَغْيَرَ اللَّهُ آبِئِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ
كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٦٤].

وَأَنْكُرُوا أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَاحِدًا فِي الْمُلْكِ لَا مَالِكَ غَيْرُهُ.

فَرَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ؛ فَقَالَ فِي سُورَةِ فَاطِرٍ: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ^٢ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾ [فاطر: ١٣].
وَقَالَ فِي سُورَةِ سَبَأٍ: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ^٣ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ [سبأ: ٢٢].

وَأَنْكُرُوا أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَاحِدًا فِي التَّشْرِيعِ لَا مُشَرِّعَ غَيْرُهُ.

فَرَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ فِي سُورَةِ الْكَهْفِ؛ فَقَالَ: ﴿وَلَا يُشْرِكْ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٢٦].

وَرَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ فِي سُورَةِ الشُّورَى؛ فَقَالَ: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾ [الشورى: ٢١].

وَأَنْكُرُوا أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَاحِدًا فِي الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ لَا أَمْرَ، وَلَا نَاهِيَ غَيْرُهُ.

فَرَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ فِي سُورَةِ الْأَعْرَافِ؛ فَقَالَ: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤].

وَأَنْكُرُوا أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَاحِدًا فِي التَّحْلِيلِ، وَالتَّحْرِيمِ.

فَرَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ فِي سُورَةِ النَّحْلِ؛ فَقَالَ: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِنَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾ [النحل: ١١٦].

وَرَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ فِي سُورَةِ يُوسُفَ؛ فَقَالَ: ﴿قُلِ ارْءَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَلًا قُلِ ءَلَا تَعْلَمُونَ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾ [يونس: ٥٩].



وَشَهِدَ اللَّهُ لِلْمُشْرِكِينَ بِالْأَعْتَرافِ لَهُ بِالْأُلُوهِيَّةِ، وَإِنْكَارِهِمْ لِتَوْحِيدِهِ فِي الْعِبَادَةِ.

فَاعْتَرَفُوا بِأَنَّ اللَّهَ إِلَهُ وَمَعْبُودُهُمْ، وَأَنْكَرُوا أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَاحِدًا فِي الْعِبَادَةِ، وَأَنْكَرُوا مِنْهُمْ مِنْ عِبَادَةٍ غَيْرِهِ؛ فَقَالَ فِي سُورَةِ الْأَعْرَافِ: ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ، وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾ [الأعراف: ٧٠].

فَاعْتَرَضَ الْمُشْرِكِينَ قَدِيمًا، وَحَدِيثًا لَيْسَ عَلَى رُبُوبِيَّةِ اللَّهِ وَإِلَهِيَّتِهِ؛ لِأَنَّهُمْ يَعْتَرِفُونَ بِأَنَّهُ رَبُّهُمْ وَإِلَهُهُمْ بِشَهَادَةِ اللَّهِ لَهُمْ، وَإِنَّمَا اعْتَرَضَهُمْ عَلَى تَوْحِيدِ اللَّهِ فِي الرُّبُوبِيَّةِ وَالْأُلُوهِيَّةِ بِشَهَادَةِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ، فَاعْتَرَضَهُمْ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ رَبًّا وَاحِدًا لَا يُوجَدُ رَبٌّ غَيْرُهُ، وَأَنْ يَكُونَ اللَّهُ إِلَهًا وَاحِدًا لَا يُوجَدُ إِلَهٌ غَيْرُهُ.

فَكَانَ التَّوْحِيدُ عُقْدَةً لَمْ يَسْتَطِعِ الْمُشْرِكُونَ حَلَّهَا؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الشُّورَى: ﴿كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا نَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾ [الشورى: ١٣].

فَاعْتَرَضَ الْمُشْرِكُونَ عَلَى التَّوْحِيدِ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الصَّافَّاتِ: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ (٣٥) وَيَقُولُونَ آيُنَا لَتَارِكُوا آلِهَتَنَا لِشَاعِرٍ تَجَنُّونَ﴾ [الصافات: ٣٥، ٣٦].

وَكَفَرُوا بِالتَّوْحِيدِ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ غَافِرٍ: ﴿ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ، كَفَرْتُمْ بِهِ، وَإِنْ يُشْرَكَ بِهِ، تَوَكَّلْتُمْ عَلَيْهِ، فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ﴾ [غافر: ١٢].

وَنَفَرُوا مِنْ ذِكْرِ التَّوْحِيدِ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْإِسْرَاءِ: ﴿وَإِذَا ذُكِّرَتْ رَبِّكَ فِي الْفُرْقَانِ وَحْدَهُ، وَلَوْ عَلَى أَدْبَرِهِمْ نُفُورًا﴾ [الإسراء: ٤٦].

وَأَسْمَرْوَا مِنَ التَّوْحِيدِ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الزَّمَرِ: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ
أَسْمَارَتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا
هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [الزمر: ٤٥].

وَاعْتَرَضُوا عَلَى كُلِّ دَعْوَةٍ لِلتَّوْحِيدِ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْأَعْرَافِ: ﴿قَالُوا
أَجِئْنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾ [الأعراف: ٧٠].

وَاسْتَهْزَؤُوا بِكُلِّ مَنْ يَدْعُو إِلَى التَّوْحِيدِ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْفُرْقَانِ:
﴿وَإِذَا رَأَوْكَ أَنْ يَنْخَضُوا نَكَ إِلَّا هُزُوا أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾
إِنْ كَادَ لِيُضِلَّنَا عَنْ إِلَهَتِنَا لَوْلَا أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ
حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٤١، ٤٢].

وَوَصَفُوا دُعَاةَ التَّوْحِيدِ بِالسَّفَاهَةِ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْأَعْرَافِ: ﴿وَإِلَى
عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ
الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرُّكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ
الْكَاذِبِينَ﴾ [الأعراف: ٦٥، ٦٦].

وَأَعْلَنُوا الْحَرْبَ عَلَى دُعَاةِ التَّوْحِيدِ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْأَنْبِيَاءِ: ﴿قَالُوا
حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا إِلَهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ٦٨].

وَطَلَبُوا مِنْ أَتْبَاعِهِمُ الثَّبَاتَ فِي مُوَاجَهَةِ دُعَاةِ التَّوْحِيدِ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ
نُوحٍ: ﴿وَقَالُوا لَا نَذَرُنَّ إِلَهَتَكُمْ﴾ [نوح: ٢٣].

وَطَلَبُوا مِنْ أَتْبَاعِهِمُ الصَّبْرَ عَلَى الشَّرِّ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ ص: ﴿وَأَنْطَلَقَ
الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنْ أَمْشُوا وَأَصْبِرُوا عَلَى إِلَهَتِكُمْ﴾ [ص: ٦].



فَكَانَ لِلْمُشْرِكِينَ دِينُ الشُّرْكِ وَلِلْمُسْلِمِينَ دِينُ التَّوْحِيدِ، لِلْمُشْرِكِينَ
أَوْلِيَاءُ، وَلِلْمُسْلِمِينَ أَوْلِيَاءُ، هُمْ دُعَاءُ، وَلِلْمُسْلِمِينَ دُعَاءُ، هُمْ تَوْسُلٌ وَلِلْمُسْلِمِينَ
تَوْسُلٌ، هُمْ شَفَاعَةٌ وَلِلْمُسْلِمِينَ شَفَاعَةٌ، هُمْ سُجُودٌ وَلِلْمُسْلِمِينَ سُجُودٌ، هُمْ
ذَبْحٌ وَلِلْمُسْلِمِينَ ذَبْحٌ، هُمْ نَذْرٌ وَلِلْمُسْلِمِينَ نَذْرٌ.

فَفَصَّلَ اللَّهُ بَيْنَ الدِّينَاتَيْنِ فِي الْقُرْآنِ حَتَّى يَكُونَ الطَّرِيقُ الْمَوْصِلُ لِلدِّينِ
الْمُشْرِكِينَ وَاضِحًا بَيِّنًا، يَعْرِفُهُ الْمُسْلِمُ حَتَّى لَا يَمْشِيَ فِيهِ.

قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ: ﴿وَكَذَلِكَ نَقُصُّلُ الْأَيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ
الْمُجْرِمِينَ﴾ [الأنعام: ٥٥].

وَنَهَى اللَّهُ الْمُسْلِمِينَ عَنِ اتِّبَاعِ دِينِ الْمُشْرِكِينَ الْأَصْلِيِّينَ؛ كَالْعَرَبِ
وَالْمَجُوسِ، أَوِ الْمُشْرِكِينَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ وَقَعُوا فِي الشُّرْكِ وَخَلَطُوا دِينَ
الْمُسْلِمِينَ بِدِينِ الْمُشْرِكِينَ؛ كَالْيَهُودِ، وَالنَّصَارَى، وَالصَّابِئَةِ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ
الرُّومِ: ﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الرُّوم: ٣١].

وَقَالَ فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ: ﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ١٤].
وَاللَّهُ أَعْلَمُ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.



الدَّرْسُ الثَّانِي (١)

اللَّهُ يَتَحَدَّثُ عَنِ الْمَشْرِعِ لِلدِّينِ الْمُشْرِكِينَ وَالْمَشْرِعِ لِلدِّينِ الْمُسْلِمِينَ



الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ، عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي
خَلَقَ الْإِنْسَانَ، عَلَّمَهُ الْبَيَانَ، وَالصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ عَلَى الَّذِي لَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى،
إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى، أَمَّا بَعْدُ:

فَسَوْفَ نَسْتَمِعُ إِلَى اللَّهِ لِيُحَدِّثَنَا فِي الْقُرْآنِ عَنِ الْمَشْرِعِ لِلدِّينِ الْمُشْرِكِينَ
وَالْمَشْرِعِ لِلدِّينِ الْمُسْلِمِينَ.

قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ النَّسَاءِ: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٨٧].

وَالْمَشْرِعُ لِلدِّينِ الْمُشْرِكِينَ يَخْتَلِفُ عَنِ الْمَشْرِعِ لِلدِّينِ الْمُسْلِمِينَ لَا اخْتِلَافَ
دِينِهِمَا؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْكَافِرُونَ: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون: ٦].

وَلَا اخْتِلَافَ طَرِيقَتَيْهِمَا فِي عِبَادَةِ اللَّهِ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْكَافِرُونَ: ﴿قُلْ
يَتَأَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴿١﴾ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا
أَعْبُدُ﴾ [الكافرون: ١-٣].

فَالْمَشْرِعُ لِلدِّينِ الْمُسْلِمِينَ هُوَ اللَّهُ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْجَاثِيَةِ: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ
عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الجاثية: ١٨].

(١) اجْعَلْهُ خُطْبَةً، وَمُحَاصَرَةً، وَدَرْسًا، وَكَلِمَةً، وَبَرْنًا، فِي الْإِذَاعَةِ أَوِ التَّلْفَازِ، وَمَتْنًا حَفْظُهُ.



فَاللَّهُ هُوَ الَّذِي شَرَعَ لِلْمُسْلِمِينَ جَمِيعَ عَقَائِدِهِمْ، وَأَعْمَالِهِمْ، وَعِبَادَاتِهِمْ
وَأَخْلَاقِهِمْ، وَمُعَامَلَاتِهِمْ مِنْ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الشُّورَى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا
وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ
وَلَا تَنْفَرُقُوا فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣].

وَجَعَلَ لِكُلِّ نَبِيٍّ شَرِيعَةً فِيهَا مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَهُمْ، وَمَا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ؛ قَالَ
اللَّهُ فِي سُورَةِ الْمَائِدَةِ: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شَرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨].

وَالْمُشْرِعُ لِلدِّينِ الْمُشْرِكِينَ هُمُ الشَّيَاطِينُ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الشُّورَى: ﴿أَمْ
لَهُمْ شُرَكَكُوا شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾ [الشورى: ٢١].

وَقَدْ شَرَعَ الْمُشْرِكُونَ تَحْلِيلَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ، وَتَحْرِيمَ مَا أَحَلَّ اللَّهُ بِالرَّأْيِ
بِوَحْيٍ مِنَ الشَّيْطَانِ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ: ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى
أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَدِّدُوا لَكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ١٢١].

فَشَرَعُوا بِالرَّأْيِ عِبَادَةَ الْأَصْنَامِ وَالْأَوْثَانِ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْفُرْقَانِ:
﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ
لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا شُورًا﴾ [الفرقان: ٣].

فَرَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ فِي سُورَةِ الْأَنْبِيَاءِ؛ فَقَالَ: ﴿أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةً
قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرٌ مِنْ مَعِيَ وَذِكْرٌ مِنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ
فَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٤].

وَشَرَعُوا بِالرَّأْيِ عِبَادَةَ الْأَوْلِيَاءِ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الزُّمَرِ: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ﴾ [الزمر: ٢٣].

فَرَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ فِي سُورَةِ هُودٍ؛ فَقَالَ: ﴿وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ يُضَعِفُ لَهُمْ الْعَذَابَ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ﴾ [هود: ٢٠].

وَشَرَعُوا بِالرَّأْيِ عِبَادَةَ كُلِّ شَيْءٍ مَعَ اللَّهِ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ ص: ﴿وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سِحْرٌ كَذَابٌ﴾ ٤ ﴿أَجْعَلِ الْأَلْهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ﴾ [ص: ٥، ٤].

فَرَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ فِي سُورَةِ الْمُؤْمِنُونَ؛ فَقَالَ: ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ ٩٠ ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ﴾ [المؤمنون: ٩٠، ٩١].

وَأَمَرَ بِالرَّدِّ عَلَيْهِمْ فِي سُورَةِ الْإِسْرَاءِ؛ فَقَالَ: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذَا لَا بُغْوَا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا﴾ ٤٢ ﴿سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٤٢، ٤٣].

وَشَرَعُوا بِالرَّأْيِ تَحْلِيلَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ مِنَ الْفَوَاحِشِ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْأَعْرَافِ: ﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا﴾ [الأعراف: ٢٨].

فَرَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ فِي الْآيَةِ نَفْسَهَا؛ فَقَالَ: ﴿قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٢٨].

وَشَرَعُوا بِالرَّأْيِ تَحْرِيمَ مَا أَحَلَّ اللَّهُ مِنَ الْأَرْزَاقِ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ:
﴿ وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَيْنَا
أَزْوَاجِنَا وَإِنْ يَكُن مِّتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفُهُمْ إِنَّهُ
حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ [الأنعام: ١٣٩].

فَرَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ فِي سُورَةِ يُونُسَ؛ فَقَالَ: ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ
لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَلًا قُلْ ءَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ عَلَى اللَّهِ
تَقَرُّوْنَ ﴾ [يونس: ٥٩].

وَرَدَّ عَلَيْهِمْ فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ؛ فَقَالَ: ﴿ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً
عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾ [الأنعام: ١٤٠].

وَشَرَعُوا بِالرَّأْيِ تَحْلِيلَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ مِنَ الْمَعَامَلَاتِ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ
الْبَقَرَةِ: ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا ﴾ [البقرة: ٢٧٥].

فَرَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ فِي الْآيَةِ نَفْسَهَا؛ فَقَالَ: ﴿ وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ﴾
[البقرة: ٢٧٥].

فَلِلْمُسْلِمِينَ دِينٌ وَطَرِيقَةٌ، وَلِلْمُشْرِكِينَ دِينٌ وَطَرِيقَةٌ.

قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْكَافِرُونَ: ﴿ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۝ لَكُمْ
دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾ [الكافرون: ٦، ٥].

وَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ الْمُسْلِمَ أَنْ يَرُدَّ عَلَى كُلِّ مَنْ يَدْعُوهُ لِإِدِينِ الْمُشْرِكِينَ؛ فَقَالَ فِي
سُورَةِ الزُّمَرِ: ﴿ قُلْ أَغْيَرَ اللَّهُ تَأْمُرَوْفِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ ﴾ [الزمر: ٦٤].

وَتَوَعَّدَ اللَّهُ كُلَّ مَنْ اسْتَبَدَلَ دِينَ الْمُسْلِمِينَ بِدِينِ الْمُشْرِكِينَ؛ فَقَالَ فِي سُورَةِ
الْحُجْرِ: ﴿الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ [الحجر: ٩٦].
وَاللَّهُ أَعْلَمُ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.



الدَّرْسُ الثَّالِثُ (١)

اللَّهُ يَتَحَدَّثُ عَنْ كَذِبَاتِ الْمُشْرِكِينَ الَّتِي أَحَلُّوا بِهَا مَا حَرَّمَ اللَّهُ مِنَ الشَّرِكِ



الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ، عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ الْإِنْسَانَ، عَلَّمَهُ الْبَيَانَ، وَالصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ عَلَى الَّذِي لَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى، إِنَّهُ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى، أَمَّا بَعْدُ:

فَسَوْفَ نَسْتَمِعُ إِلَى اللَّهِ لِيُحَدِّثَنَا عَنْ كَذِبَاتِ الْمُشْرِكِينَ فِي جَعْلِ شَرِيكَ لِلَّهِ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ النَّسَاءِ: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٨٧].

لَقَدْ تَحَدَّثَ اللَّهُ عَنِ اعْتِمَادِ الْمُشْرِكِينَ عَلَى الْكَذِبِ فِي تَحْلِيلِ مَا حَرَّمَ اللَّهُ مِنَ الشَّرِكِ.

فَقَالَ فِي سُورَةِ الْمَائِدَةِ: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾ [المائدة: ١٠٣].

وَتَحَدَّثَ اللَّهُ عَنْ سَبْعِ كَذِبَاتٍ لِلْمُشْرِكِينَ يَعْتَمِدُونَ عَلَيْهَا فِي دَعْوَةِ النَّاسِ إِلَى الشَّرِكِ، وَإِقْنَاعِهِمْ بِهِ فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ؛ فَقَالَ فِي سُورَةِ الْكَهْفِ: ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ [الكهف: ٥].

وَهَذِهِ الْكَذِبَاتُ تَوَلَّى اللَّهُ كُشْفَهَا، وَالرَّدَّ عَلَيْهَا بِنَفْسِهِ.

(١) اجْعَلْهُ خُطْبَةً، وَمُحَاضَرَةً، وَدَرْسًا، وَكَلِمَةً، وَبَرْنَاجًا فِي الْإِذَاعَةِ أَوْ التَّلْفَازِ، وَمَتْنًا حَفِظُهُ.

الْكِذْبَةُ الْأُولَى: قَالَ الْمُشْرِكُونَ لِلنَّاسِ: إِنَّ الشِّرْكَ عِبَادَةٌ لِلَّهِ، وَيُقَرَّبُ مِنَ اللَّهِ؛ فَتَسَابَقَ النَّاسُ إِلَيْهِ طَلَبًا لِلْقُرْبِ مِنَ اللَّهِ!

فَكَشَفَ اللَّهُ هَذِهِ الْكِذْبَةَ فِي سُورَةِ الزُّمَرِ؛ فَقَالَ: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ﴾ [الزمر: ٣].

وَرَدَّ عَلَيْهَا فِي سُورَةِ الْكَهْفِ؛ فَقَالَ: ﴿أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَنْخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِ أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا﴾ [الكهف: ١٠٢].

وَرَدَّ عَلَيْهَا فِي سُورَةِ الْأَحْقَافِ؛ فَقَالَ: ﴿فَلَوْلَا نَصْرُهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ وَذَلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ [الأحقاف: ٢٨].

وَقَوْلُ اللَّهِ: ﴿فَلَوْلَا نَصْرُهُمْ﴾ مَعْنَاهُ: فَلَوْلَا نَصْرَتُهُمُ الْآلِهَةُ الَّتِي عَبَدُوهَا لِتُقَرِّبَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ.

وَالْمُشْرِكُونَ سَيَبْحَثُونَ عَنْ آلِهِتِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَنْ يَجِدُوهَا؛ قَالَ اللَّهُ: ﴿بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ﴾.

وَالسَّبَبُ أَنَّهَا كِذْبَةٌ، وَلَيْسَتْ حَقِيقَةً؛ قَالَ اللَّهُ: ﴿وَذَلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾.

الْكِذْبَةُ الثَّانِيَّةُ: قَالَ الْمُشْرِكُونَ لِلنَّاسِ: إِنَّ اللَّهَ أَمَرَ النَّاسَ بِالشِّرْكِ؛ فَتَسَابَقَ النَّاسُ لِلْعَمَلِ بِأَمْرِ اللَّهِ.

فَكَشَفَ اللَّهُ هَذِهِ الْكِذْبَةَ فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ؛ فَقَالَ: ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا﴾ [الأنعام: ١٤٨].

وَرَدَّ عَلَيْهَا فِي سُورَةِ النَّملِ؛ فَقَالَ: ﴿أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ قُلٌ هَآتُوا بُرْهَنَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [النمل: ٦٤].

وَرَدَّ عَلَيْهَا فِي سُورَةِ الْأَنْبِيَاءِ؛ فَقَالَ: ﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَنَكُمْ﴾ [الأنبياء: ٢٤].

وَقَوْلُ الْمُشْرِكِينَ: ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا﴾ [الأنعام: ١٤٨].

مَعْنَاهُ: لَوْ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُشْرِكَ لَمْ يَخْلُقِ الشِّرْكَ، فَاسْتَدَلُّوا بِخَلْقِ اللَّهِ لِلشِّرْكِ عَلَى أَنْ اللَّهَ أَحَلَّهُ لَهُمْ وَأَمَرَهُمْ بِهِ.

فَرَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ: بِأَنَّ اللَّهَ خَلَقَ الشِّرْكَ لِلْإِتِلَاءِ، وَلَيْسَ لِلْعَمَلِ بِهِ.

فَقَالَ فِي سُورَةِ الْأَنْبِيَاءِ: ﴿وَبَلَّوْكُمْ بِالشَّرِّ﴾ [الأنبياء: ٣٥].

وَأَنَّ اللَّهَ لَمَّا خَلَقَ الشِّرْكَ حَرَّمَهُ عَلَيْهِمْ؛ فَقَالَ فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [الأنعام: ١٥١].

وَلَمْ يُحِلَّهُ لَهُمْ؛ فَقَالَ فِي سُورَةِ الرُّومِ: ﴿أَمْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ﴾ [الرُّوم: ٣٥].

وَنَهَاهُمْ عَنْهُ؛ فَقَالَ فِي سُورَةِ النَّسَاءِ: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء: ٣٦].

وَلَمْ يَأْمُرْهُمْ بِهِ؛ فَقَالَ فِي سُورَةِ الْأَنْبِيَاءِ: ﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ عَالِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾ [الأنبياء: ٢٤].

الْكِذْبَةُ الثَّالِثَةُ: قَالَ الْمُشْرِكُونَ لِلنَّاسِ: إِنَّ آلهَتَهُمْ تَمْلِكُ الشَّفَاعَةَ لِكُلِّ مَنْ عَبَدَهَا.

فَكَشَفَ اللَّهُ هَذِهِ الْكِذْبَةَ فِي سُورَةِ يُوسُفَ، فَقَالَ: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعُونَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ [يونس: ١٨].

وَرَدَّ عَلَيْهَا فِي سُورَةِ الزُّحُرْفِ؛ فَقَالَ: ﴿وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ﴾ [الزحرف: ٨٦].

وَرَدَّ عَلَيْهَا فِي سُورَةِ الزُّمَرِ؛ فَقَالَ: ﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا﴾ [الزمر: ٤٣].

الْكِذْبَةُ الرَّابِعَةُ: قَالَ الْمُشْرِكُونَ: إِنَّ آلهَتَهُمْ تَمْلِكُ الرِّزْقَ لِكُلِّ مَنْ عَبَدَهَا. فَكَشَفَ اللَّهُ هَذِهِ الْكِذْبَةَ، وَرَدَّ عَلَيْهَا فِي سُورَةِ النَّحْلِ؛ فَقَالَ: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ [النحل: ٧٣].

وَرَدَّ عَلَيْهَا فِي سُورَةِ الْعَنْكَبُوتِ عَلَى لِسَانِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ فَقَالَ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ﴾ [العنكبوت: ١٧].

الكذبة الخامسة: قَالَ الْمَشْرِكُونَ لِلنَّاسِ: إِنَّ آلهَتَهُمْ تَمْلِكُ دَفْعَ الضَّرِّ، وَجَلَبَ النَّفْعَ لِكُلِّ مَنْ عَبَدَهَا.

فَكَشَفَ اللَّهُ هَذِهِ الْكِذْبَةَ، وَرَدَّ عَلَيْهَا فِي سُورَةِ الْمَائِدَةِ؛ فَقَالَ: ﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [المائدة: ٧٦].

وَرَدَّ عَلَيْهَا فِي سُورَةِ يُوسُفَ؛ فَقَالَ: ﴿وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٦﴾ وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِذَا يُرِيكَ بَعْضَ الْغَفُورِ الرَّحِيمِ﴾ [يونس: ١٠٦، ١٠٧].

الكذبة السادسة: قَالَ الْمَشْرِكُونَ لِلنَّاسِ: إِنَّ آلهَتَهُمْ تَمْلِكُ إِجَابَةَ الدُّعَاءِ لِكُلِّ مَنْ عَبَدَهَا.

فَكَشَفَ اللَّهُ هَذِهِ الْكِذْبَةَ، وَرَدَّ عَلَيْهَا فِي سُورَةِ فَاطِرٍ؛ فَقَالَ: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾ [فاطر: ١٣].

الكذبة السابعة: قَالَ الْمَشْرِكُونَ لِلنَّاسِ: إِنَّ الَّذِي حَرَّمَ الشَّرْكَ دُعَاءُ التَّوْحِيدِ وَلَيْسَ اللَّهُ.

فَكَشَفَ اللَّهُ هَذِهِ الْكِذْبَةَ فِي سُورَةِ الْفُرْقَانِ؛ فَقَالَ: ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾ إِنْ كَادَ لَيُضِلَّنَا عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلَا أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا﴾ [الفرقان: ٤١، ٤٢].

وَرَدَّ عَلَيْهَا فِي نَفْسِ الْآيَةِ؛ فَقَالَ: ﴿وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حَيْثُ يَرَوْنَ الْعَذَابَ
مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٢].

وَرَدَّ عَلَيْهَا فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ؛ فَقَالَ: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ
عَلَيْكُمْ أَلا تَشْكُرُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [الأنعام: ١٥١].

وَقَدْ صَدَّقَ بَعْضُ الْمُسْلِمِينَ كَذِبَاتِ الْمُشْرِكِينَ، وَدَعَا الْمُسْلِمِينَ إِلَى
تَصْدِيقِهَا، فَتَوَعَّدَ اللَّهُ كُلَّ مَنْ صَدَّقَهَا، وَدَعَا النَّاسَ إِلَى تَصْدِيقِهَا؛ فَقَالَ فِي سُورَةِ
الْحَجَرِ: ﴿الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ [الحجر: ٩٦].

وَأَمَرَ اللَّهُ الْمُسْلِمَ أَنْ يَرُدَّ عَلَى كُلِّ مَنْ صَدَّقَهَا، وَدَعَا النَّاسَ إِلَى تَصْدِيقِهَا؛ فَقَالَ
فِي سُورَةِ الزُّمَرِ: ﴿قُلْ أَغْيَرَ اللَّهُ تَأْمُرُوَنِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ﴾ [الزمر: ٦٤].

وَهَذِهِ الْكَذِبَاتُ السَّبْعُ هِيَ الْقَوَاعِدُ الَّتِي بَنَى عَلَيْهَا الْمُشْرِكُونَ دِينَ
الشِّرْكِ، وَأَفْنَعُوا النَّاسَ بِهِ، كَشَفَهَا اللَّهُ، ثُمَّ قَصَفَهَا لِيَهْدِمَ بِنَاءَ الْمُشْرِكِينَ؛ فَقَالَ
فِي سُورَةِ النَّحْلِ: ﴿فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَنَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ
مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٢٦].

فَقَصَفَ بِنَاءَ الشِّرْكِ فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ يَبْدَأُ بِقَصْفِ قَوَاعِدِهِ؛ لِإِنْقَادِ
النَّاسِ مِنَ النَّارِ، وَلَا تَسْتَطِيعُ هَدْمُ بِنَاءِ الشِّرْكِ الَّذِي فِي قُلُوبِ الْمُشْرِكِينَ
حَتَّى تَهْدِمَ قَوَاعِدَهُ، فَإِذَا ضَرَبْتَ الْقَاعِدَةَ سَقَطَ الْبِنَاءُ؛ قَالَ اللَّهُ: ﴿فَأَتَى اللَّهُ
بُنْيَنَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾.

وَاللَّهُ أَعْلَمُ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

الدَّرْسُ الرَّابِعُ^(١)

اللَّهُ يَتَحَدَّثُ عَنْ ضَمَانِهِ لِلْجَنَّةِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ سَلِمَ مِنَ الشَّرِكِ



الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ، عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ الْإِنْسَانَ، عَلَّمَهُ الْبَيَانَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى الَّذِي لَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى، إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى. **أَمَّا بَعْدُ:**

فَسَوْفَ نَسْتَمِعُ إِلَى اللَّهِ لِيُحَدِّثَنَا عَنْ ضَمَانِهِ لِمَنْ لَمْ يُشْرِكْ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ النَّسَاءِ: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٨٧].

لَقَدْ ضَمِنَ اللَّهُ بِوَحْيِ السُّنَّةِ دُخُولَ الْجَنَّةِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ مَاتَ وَلَمْ يُشْرِكْ. عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا؛ دَخَلَ الْجَنَّةَ» [رَوَاهُ مُسْلِمٌ]^(٢).

وَضَمِنَ اللَّهُ بِوَحْيِ السُّنَّةِ لِلْمُسْلِمِ الْجَنَّةَ إِذَا سَلِمَ مِنَ الشَّرِكِ مَهْمَا كَانَ عِنْدَهُ مِنَ الذُّنُوبِ وَالْمَعَاصِي غَيْرِ الشَّرِكِ.

عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «عَرَضَ لِي جِبْرِيلُ، فَقَالَ: بَشِّرْ أُمَّتَكَ أَنَّهُ مَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ، فَقُلْتُ: يَا جِبْرِيلُ! وَإِنْ سَرَقَ وَإِنْ زَنَى؟ قَالَ: نَعَمْ، وَإِنْ شَرِبَ الْخَمْرَ» [رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ]^(٣)، وَمُسْلِمٌ^(٤).

(١) اجْعَلْهُ حُطْبَةً، وَمُحَاصَرَةً، وَدَرْسًا، وَكَلِمَةً، وَبَرْنًا جَا فِي الإِدَاعَةِ أَوْ التَّلْفَازِ، وَمَتْنًا حَقِظَةً.

(٢) «صَحِيحُ مُسْلِمٍ»: [بَاب مَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا].

(٣) «صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ»: [بَابُ الْمَكْثُرُونَ هُمُ الْمَقْلُونُ].

(٤) «صَحِيحُ مُسْلِمٍ»: [بَابُ التَّرْغِيبِ فِي الصَّدَقَةِ].

وَصَمِنَ اللَّهُ بِوَحْيِ السَّنَةِ لِمَنْ لَمْ يُشْرِكْ أَنْ يُخْرِجَهُ مِنَ النَّارِ إِذَا دَخَلَهَا، وَأَنْ لَا يُجَلِّدَهُ فِيهَا؛ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِذَا فَرَغَ اللَّهُ مِنَ الْقَضَاءِ بَيْنَ الْعِبَادِ، وَأَرَادَ أَنْ يُخْرِجَ بِرَحْمَتِهِ مَنْ أَرَادَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ؛ أَمَرَ الْمَلَائِكَةَ أَنْ يُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا مِمَّنْ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» [رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ] ^(١).

وَوَصَفَ اللَّهُ الشِّرْكَ بِأَنَّهُ أَعْظَمُ ذَنْبٍ عَصِيَ اللَّهُ بِهِ؛ فَقَالَ فِي سُورَةِ النَّسَاءِ: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٨].

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ؟ قَالَ: «أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ» [الْبُخَارِيُّ] ^(٢)، وَمُسْلِمٌ ^(٣).

وَالشِّرْكَ بِاللَّهِ: هُوَ أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ، وَأَنْ تَعْبُدَ غَيْرَ اللَّهِ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْأَعْرَافِ: ﴿قَالُوا أَاجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾ [الأعراف: ٧٠].

وَقَدْ نَهَى اللَّهُ عَنِ الشِّرْكِ؛ فَقَالَ فِي سُورَةِ النَّسَاءِ: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء: ٣٦].

وَأَكَّدَ اللَّهُ النَّهْيَ عَنِ الشِّرْكِ؛ فَقَالَ فِي سُورَةِ الْكَهْفِ: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠].

وَزَادَ النَّهْيَ عَنِ الشِّرْكِ تَأْكِيدًا؛ فَقَالَ فِي سُورَةِ الرَّعْدِ: ﴿قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ﴾ [الرعد: ٣٦].

(١) «صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ» [بَابُ قَوْلِ اللَّهِ: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ﴾] إِلَى رَحْمَتِهَا نَاطِرَةٌ.

(٢) «صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ» [بَابُ إِثْمِ الزُّنَاةِ].

(٣) «صَحِيحُ مُسْلِمٍ» [بَابُ كَوْنِ الشِّرْكِ أَفْضَحَ الذُّنُوبِ].

وَالشِّرْكَ ظُلْمٌ عَظِيمٌ.

قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ لُقْمَانَ: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَنُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَبْنَىٰ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣].

وَالْمُشْرِكُ ظَالِمٌ؛ لِأَنَّ اللَّهَ خَلَقَهُ فَعَبَدَ غَيْرَهُ!

قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْأَعْرَافِ: ﴿أَيُّشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ [الأعراف: ١٩١، ١٩٢]. وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنْفُسُهُمْ يَنْصُرُونَ

وَرَزَقَهُ فَشَكَرَ سِوَاهُ!

قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ النَّحْلِ: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ [النحل: ٧٣].

لَقَدْ غَضِبَ اللَّهُ عَلَى الْمُشْرِكِ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْهُ عَلَى أَحَدٍ مِّنَ الْعَصَاةِ، فَتَوَعَّدَهُ بِسِتِّ عَقُوبَاتٍ قَطَعَتْ أَمَلَهُ فِي النَّجَاةِ وَالسَّعَادَةِ إِلَى الْأَبَدِ إِنْ لَمْ يَتُبْ قَبْلَ الْمَوْتِ.

الْعُقُوبَةُ الْأُولَى: تَوَعَّدَ اللَّهُ الْمُسْلِمَ إِذَا أَشْرَكَ أَنْ يُحِيطَ جَمِيعَ أَعْمَالِهِ مُنْذُ أَسْلَمَ إِلَى يَوْمِ أَشْرَكَ.

فَقَالَ فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٨٨].

وَوَعَّدَ اللَّهُ الْمُسْلِمَ إِذَا أَشْرَكَ ثُمَّ تَابَ قَبْلَ الْمَوْتِ أَنْ يَرُدَّ لَهُ جَمِيعَ أَعْمَالِهِ الَّتِي أَحْبَطَهَا الشِّرْكُ.

فَقَالَ فِي سُورَةِ الْفُرْقَانِ: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ﴿٧٠﴾﴾ [الفرقان: ٦٨-٧٠].

الْعُقُوبَةُ الثَّانِيَةُ: تَوَعَّدَ اللَّهُ الْمُسْلِمَ إِذَا أَشْرَكَ أَنْ لَا يَقْبَلَ مِنْهُ أَيُّ عَمَلٍ مَادَامَ عَلَى الشِّرْكِ.

فَقَالَ فِي سُورَةِ الزُّمَرِ: ﴿لَنْ أَشْرَكَتَ لِيَحْبِطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [الزمر: ٦٥].

الْعُقُوبَةُ الثَّالِثَةُ: تَوَعَّدَ اللَّهُ الْمُسْلِمَ إِذَا أَشْرَكَ وَمَاتَ عَلَى الشِّرْكِ أَنْ لَا يَغْفَرَ لَهُ.

فَقَالَ فِي سُورَةِ النَّسَاءِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾ [النساء: ٤٨].

وَوَعَدَ اللَّهُ مَنْ شَاءَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ بِمَغْفِرَةِ جَمِيعِ الذُّنُوبِ لِمَنْ مَاتَ عَلَيْهَا إِلَّا الشِّرْكَ.

فَقَالَ فِي سُورَةِ النَّسَاءِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨].

وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «عَرَضَ لِي جِبْرِيلُ فَقَالَ: بَشِّرْ أُمَّتَكَ أَنَّهُ مَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا، دَخَلَ الْجَنَّةَ، فَقُلْتُ: يَا جِبْرِيلُ! وَإِنْ

سَرَقَ وَإِنْ زَنَى؟ قَالَ: نَعَمْ، وَإِنْ شَرِبَ الْخَمْرَ» [رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ^(١)، وَمُسْلِمٌ^(٢)].

الْعُقُوبَةُ الرَّابِعَةُ: تَوَعَّدَ اللَّهُ الْمُسْلِمَ إِذَا أَشْرَكَ وَمَاتَ عَلَى الشِّرْكِ أَنْ يُدْخِلَهُ النَّارَ، وَأَنْ يُعَامِلَهُ مُعَامَلَةَ الْكُفَّارِ؛ فَقَالَ فِي سُورَةِ الْمَائِدَةِ: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢].

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَنْ مَاتَ يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا دَخَلَ النَّارَ» [رواه مسلم]^(٣).

الْعُقُوبَةُ الْخَامِسَةُ: تَوَعَّدَ اللَّهُ الْمُسْلِمَ إِذَا أَشْرَكَ وَمَاتَ عَلَى الشِّرْكِ بِمَنْعِ الْمَلَائِكَةِ، وَالنَّبِيِّينَ، وَالْمُؤْمِنِينَ مِنَ الشَّفَاعَةِ فِيهِ.

فَقَالَ فِي سُورَةِ الْمُدَّثِّرِ: ﴿فَمَا نَفَعُهُمْ شَفَعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ [المدثر: ٤٨].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِذَا فَرَغَ اللَّهُ مِنَ الْقَضَاءِ بَيْنَ الْعِبَادِ، وَأَرَادَ أَنْ يُخْرِجَ بِرَحْمَتِهِ مَنْ أَرَادَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ؛ أَمَرَ الْمَلَائِكَةَ أَنْ يُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا مِمَّنْ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» [رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ]^(٤).

(١) «صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ» [بَابُ: الْمُكْثَرُونَ هُمُ الْمُقْلُونَ].

(٢) «صَحِيحُ مُسْلِمٍ» [بَابُ: التَّرْغِيبُ فِي الصَّدَقَةِ].

(٣) «صَحِيحُ مُسْلِمٍ» [بَابُ: مَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا].

(٤) «صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ» بَابُ: قَوْلِ اللَّهِ: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ﴾ ٢٢ إِلَى رِبَّهَا نَاطِرَةٌ ﴿﴾.

العُقُوبَةُ السَّادِسَةُ: تَوَعَّدَ اللَّهُ الْمُسْلِمَ إِذَا أَشْرَكَ وَمَاتَ عَلَى الشِّرْكِ بِمَنْعِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الشَّفَاعَةِ فِيهِ.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ، فَتَعَجَّلْ كُلُّ نَبِيٍّ دَعْوَتَهُ، وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لَأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ فَهِيَ نَائِلَةٌ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا» [رَوَاهُ مُسْلِمٌ] ^(١).

وَتَحَدَّثَ اللَّهُ عَنْ وَقُوعِ بَعْضِ الْمُسْلِمِينَ فِي الشِّرْكِ لِجَهْلِهِ بِأَعْمَالِ الْمُشْرِكِينَ.

فَتَحَدَّثَ عَنْ وَقُوعِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الشِّرْكِ لِجَهْلِهِمْ بِأَعْمَالِ الْمُشْرِكِينَ.

فَقَالَ فِي سُورَةِ الْأَعْرَافِ: ﴿وَجَوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مَوْسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٨].

وَتَحَدَّثَ اللَّهُ بِوَحْيِ السُّنَّةِ عَنْ وَقُوعِ بَعْضِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَوْمِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الشِّرْكِ لِجَهْلِهِمْ بِأَعْمَالِ الْمُشْرِكِينَ.

عَنْ أَبِي وَقْدٍ اللَّيْثِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى حُنَيْنٍ وَنَحْنُ حَدَثَاءُ عَهْدٍ بِكُفْرٍ، وَلِلْمُشْرِكِينَ سِدْرَةٌ يَعْكُفُونَ عِنْدَهَا وَيُنَاطُونَ بِهَا أَسْلِحَتَهُمْ يُقَالُ لَهَا: ذَاتُ أَنْوَاطٍ، قَالَ: فَمَرَرْنَا بِالسِّدْرَةِ، فَقُلْنَا:

(١) «صَحِيحُ مُسْلِمٍ» [باب: اخْتِبَاءُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَعْوَةَ الشَّفَاعَةِ لِأُمَّتِهِ].

يَا رَسُولَ اللَّهِ! «اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ» فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اللَّهُ أَكْبَرُ، إِنَّهَا السُّنَنُ! قُلْتُمْ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ: ﴿يَمُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿لَتَرْكَبُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ﴾ [رَوَاهُ أَحْمَدُ ^(١)، وَالطَّبْرَانِيُّ ^(٢)].

وَتَحَدَّثَ اللَّهُ عَنْ صُورِ الشِّرْكِ، وَأَشْكَالِهِ، وَفَصَّلَهَا؛ فَقَالَ فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ: ﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ﴾ [الأنعام: ١١٩].
وَالشِّرْكَ بِاللَّهِ بِمَا حَرَّمَ اللَّهُ.

قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّي عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [الأنعام: ١٥١].

الصُّورَةُ الْأُولَى: عِبَادَةُ الْمَلَائِكَةِ وَالْأَنْبِيَاءِ مَعَ اللَّهِ.
قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ: ﴿وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٨٠].

الصُّورَةُ الثَّانِيَّةُ: عِبَادَةُ الْأَوْلِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ مَعَ اللَّهِ.
قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ التَّوْبَةِ: ﴿اتَّخِذُوا أَحْبَابَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَنَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣١].

(١) «مُسْنَدُ أَحْمَدَ» (٢٠٨٩٢) (٤٤ / ٣٦٨).

(٢) «الْمُعْجَمُ الْكَبِيرُ» لِلطَّبْرَانِيِّ (٣٢١٥) (٣ / ٣٩٤).

وَقَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ نُوحٍ: ﴿وَقَالُوا لَا نَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا نَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ [نوح: ٢٣].

فَوَدَّ رَجُلٌ صَالِحٌ، وَسُوَاعٌ رَجُلٌ صَالِحٌ، وَيَغُوثٌ رَجُلٌ صَالِحٌ، وَيَعُوقٌ رَجُلٌ صَالِحٌ، وَنَسْرٌ رَجُلٌ صَالِحٌ.

الصُّورَةُ الثَّلَاثَةُ: عِبَادَةُ الْأَشْجَارِ، أَوِ الْأَحْجَارِ مَعَ اللَّهِ.
قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ النَّجْمِ: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّتَّ وَالْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ﴾ [النجم: ١٩، ٢٠].

الصُّورَةُ الرَّابِعَةُ: عِبَادَةُ الشَّيْطَانِ.
قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ يَسَ: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَبْنَىٰ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ [يس: ٦٠، ٦١].

فَكُلٌّ مِّنْ عَبْدٍ غَيْرِ الرَّحْمَنِ فَإِنَّمَا يَعْبُدُ الشَّيْطَانَ.
قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ النَّسَاءِ: ﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا إِنشَاءً وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾ لَّعَنَهُ اللَّهُ﴾ [النساء: ١١٧، ١١٨].

وَعَنْ أَبِي الطُّفَيْلِ، قَالَ: لَمَّا فَتَحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَكَّةَ، بَعَثَ خَالِدَ ابْنَ الْوَلِيدِ إِلَى نَخْلَةٍ، وَكَانَتْ بِهَا الْعُزَّى، فَأَتَاهَا خَالِدٌ، وَكَانَتْ عَلَى ثَلَاثِ سَمَرَاتٍ، فَقَطَعَ السَّمَرَاتِ، وَهَدَمَ الْبَيْتَ الَّذِي كَانَ عَلَيْهَا، ثُمَّ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ: «ارْجِعْ فَإِنَّكَ لَمْ تَصْنَعْ شَيْئًا»، فَارْجَعَ خَالِدٌ، فَلَمَّا بَصُرَتْ بِهِ السَّدَنَةُ -وَهُمْ حَجَبَتْهَا- أَمَعُوا فِي الْجَبَلِ، وَهُمْ يَقُولُونَ: يَا عُزَّى

يَا عَزَّى، فَأَتَاهَا خَالِدٌ، فَإِذَا امْرَأَةٌ عُرْيَانَةٌ، نَاشِرَةٌ شَعْرَهَا، تُخْتَفِنُ التُّرَابَ عَلَى رَأْسِهَا، فَعَمَّمَهَا بِالسَّيْفِ حَتَّى قَتَلَهَا، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ: «تِلْكَ الْعَزَّى» [رَوَاهُ النَّسَائِيُّ] ^(١).

وَمَنْ عَبْدَ الشَّيْطَانِ أَوْ حَى إِلَيْهِ الْبِدْعَ، وَالْكَفْرَ، وَالشِّرْكَ بِالرَّحْمَنِ.

قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ: ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجِدُوا لَكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ١٢١].
وَالشَّيْطَانُ يَتَكَلَّمُ مَعَ الْإِنْسَانِ بِالصَّوْتِ وَالصُّورَةِ.

قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْإِسْرَاءِ: ﴿وَأَسْتَفْزِرُ مِنْ أَسْطَعَتْ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ﴾ [الإسراء: ٦٤].

وَقَدْ ظَهَرَ لِحَالِدٍ بِصَوْتٍ وَصُورَةٍ امْرَأَةٍ عِنْدَ صَنِمِ الْعَزَّى.
عَنْ أَبِي الطُّفَيْلِ: أَنَّ خَالِدًا أَتَى الْعَزَّى، فَإِذَا امْرَأَةٌ عُرْيَانَةٌ، نَاشِرَةٌ شَعْرَهَا، تُخْتَفِنُ التُّرَابَ عَلَى رَأْسِهَا، فَعَمَّمَهَا بِالسَّيْفِ حَتَّى قَتَلَهَا، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ: «تِلْكَ الْعَزَّى» [رَوَاهُ النَّسَائِيُّ] ^(٢).

وَوَضَّعَ لَأَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِصَوْتٍ وَصُورَةٍ إِنْسَانٍ فِي الْمَدِينَةِ.
عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ الشَّيْطَانَ جَاءَهُ فِي صُورَةٍ إِنْسَانٍ، وَتَكَلَّمَ مَعَهُ ثَلَاثَ لَيَالٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تَعْلَمُ مَنْ تُخَاطِبُ مِنْذُ ثَلَاثِ لَيَالٍ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ؟» قَالَ: لَا، قَالَ: «ذَاكَ شَيْطَانٌ» [رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ مَطْوَلًا] ^(٣).

(١) «السُّنَنُ الْكُبْرَى» لِلنَّسَائِيِّ.

(٢) «السُّنَنُ الْكُبْرَى» لِلنَّسَائِيِّ.

(٣) «صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ» [بَاب: إِذَا وَكَّلَ رَجُلًا فَرَكَ الْوَكِيلُ شَيْئًا].

فَبِصَوْتِهِ وَصُورَتِهِ أَضَلَّ الْمُشْرِكِينَ، حَتَّى ظَنُّوا أَنَّهَا صُورَةُ وَصَوْتُ
الْمَقْبُورِينَ.

وَاللَّهُ أَعْلَمُ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.



الدَّرْسُ الْخَامِسُ (١)

اللَّهُ يَتَحَدَّثُ عَنِ الدُّعَاءِ فِي دِينِ الْمُشْرِكِينَ وَالدُّعَاءِ فِي دِينِ الْمُسْلِمِينَ



الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ، عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ الْإِنْسَانَ، عَلَّمَهُ الْبَيَانَ، وَالصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ عَلَى الَّذِي لَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى، إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى، أَمَّا بَعْدُ:

فَسَوْفَ نَسْتَمِعُ إِلَى اللَّهِ لِيُحَدِّثَنَا عَنِ الدُّعَاءِ، وَطَرِيقَتِهِ فِي دِينِ الْمُشْرِكِينَ، وَدِينِ الْمُسْلِمِينَ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ النَّسَاءِ: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾

[النساء: ٨٧].

فَأَمَّا الدُّعَاءُ عِنْدَ الْمُشْرِكِينَ فَيَخْتَلِفُ^(٢) عَنِ الدُّعَاءِ عِنْدَ الْمُسْلِمِينَ لِاخْتِلَافِ دِينِهِمَا؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْكَافُرُونَ: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون: ٦].

(١) اجْعَلْهُ خُطْبَةً، وَمُحَاضَرَةً، وَدَرْسًا، وَكَلِمَةً، وَبَرْنَاجًا فِي الإِدَاعَةِ أَوْ التَّلَافُزِ، وَمَتْنًا حَقَّظُهُ.

(٢) وَالدُّعَاءُ عِنْدَ الْمُشْرِكِينَ يَخْتَلِفُ عَنِ الدُّعَاءِ عِنْدَ الْمُسْلِمِينَ لِاخْتِلَافِ دِينِهِمَا؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْكَافُرُونَ: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون: ٦]، وَاخْتِلَافِ طَرِيقَتِهِمَا فِي عِبَادَةِ اللَّهِ، قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْكَافُرُونَ: ﴿قُلْ يَتَّيْبُهَا الْكَافِرُونَ ۖ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۚ ۝ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ [الكافرون: ١-٣]، فَطَرِيقَةُ الْمُشْرِكِينَ مِنَ الْأُمِّيِّينَ أَنَّهُمْ يَعْبُدُونَ إِلَهَيْنِ. قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ النَّحْلِ: ﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا نَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ﴾ [النحل: ٥١]، وَطَرِيقَةُ الْمُشْرِكِينَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ: أَنَّهُمْ يَعْبُدُونَ ثَلَاثَةً، فَيَقُولُونَ: اللَّهُ إِلَهُ، وَجَبْرِيلُ إِلَهُ، وَعِيسَى إِلَهُ، فَنَحْنُ نَعْبُدُ الثَّلَاثَةَ، فَرَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ فِي سُورَةِ النَّسَاءِ فَقَالَ: ﴿وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةً أَنْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ =

وَلَا خْتِلَافَ طَرِيقَتَيْهِمَا فِي عِبَادَةِ اللَّهِ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْكَافِرُونَ: ﴿قُلْ يَتَائِبُ الْكَافِرُونَ ﴿١﴾ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ [الكافرون: ١-٣].

فَالْمُسْلِمُونَ لَا يَسْأَلُونَ إِلَّا اللَّهَ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْجِن: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي وَلَا أَشْرِكُ بِهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ٢٠].

وَقَالَ فِي سُورَةِ الْجِن: ﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨].

وَالْمُشْرِكُونَ يَسْأَلُونَ اللَّهَ، وَيَسْأَلُونَ غَيْرَ اللَّهِ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ غَافِرٍ: ﴿ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ﴾ [غافر: ١٢].

= إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَحْدٌ ﴿[النساء: ١٧١]، وَرَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ فِي سُورَةِ الْمَائِدَةِ؛ فَقَالَ: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّكَ أَتَيْتَنَا بِبُرْهَانٍ وَكَانَ مِنَ الْإِلَهِ إِلَّا إِلَهٌُ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٧٣]، وَطَرِيقَةُ الْمُشْرِكِينَ مِنَ الْأَمِينِ: أَنَّهُمْ يَعْبُدُونَ اللَّهَ، وَيَعْبُدُونَ مَعَ اللَّهِ كُلَّ شَيْءٍ، قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ ص: ﴿وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سِحْرٌ كَذَابٌ ﴿٤﴾ أَجْعَلُ الْأَلْهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا﴾ [ص: ٤، ٥].

وَقَدْ رَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ فِي سُورَةِ الْمُؤْمِنُونَ؛ فَقَالَ: ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٩٠﴾ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ ﴿[المؤمنون: ٩٠، ٩١]، وَأَمَّا طَرِيقَةُ الْمُسْلِمِينَ فِي الْعِبَادَةِ: فَالْمُسْلِمُونَ لَا يَعْبُدُونَ إِلَّا إِلَهًا وَاحِدًا؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ التَّوْبَةِ: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ [التوبة: ٣١]، وَالْإِلَهُ الْوَاحِدُ الَّذِي يَعْبُدُهُ الْمُسْلِمُونَ هُوَ اللَّهُ، قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْبَيْتَةِ: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ ﴿[البينة: ٥]، وَقَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ ص: ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ﴾ [ص: ٦٥]، وَقَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وَأَمَّا طَرِيقَةُ الدُّعَاءِ ..

فَتَحْتَلِفُ طَرِيقَةُ الْمُشْرِكِينَ عَنِ طَرِيقَةِ الْمُسْلِمِينَ.

فَالْمُسْلِمُونَ لَا يَسْأَلُونَ الْمَخْلُوقِينَ شَيْئًا لَا يَمْلِكُونَهُ.

قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ: ﴿قُلْ أَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا ^(١) وَلَا يَضُرُّنَا ^(٢) وَنُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ﴾ [الأنعام: ٧١].

وَالْمُشْرِكُونَ يَسْأَلُونَ الْمَخْلُوقِينَ الْأَشْيَاءَ الَّتِي لَا يَمْلِكُونَهَا.

قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ فَاطِرٍ: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾ [فاطر: ١٣].

فَالْمُشْرِكُونَ يَسْأَلُونَ الْأَمْوَاتَ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ النحل: ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [النحل: ٢٠، ٢١].

وَيَسْأَلُونَ الْجَمَادَاتِ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْأَعْرَافِ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادُ أَمْثَالِكُمْ فَأَدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٩٤﴾ أَلْهَمَّ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٩٤، ١٩٥].

(١) مَا لَا يَنْفَعُنَا إِنْ عِبَدْنَاهُ، وَلَا يَضُرُّنَا إِنْ تَرَكْنَا عِبَادَتَهُ.

(٢) وَنُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا، أَي: إِلَى الشَّرِّ بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ لِلْإِسْلَامِ.

وَيَسْأَلُونَ الْأَصْنَامَ وَالْأَوْثَانَ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ هُودٍ: ﴿فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [هود: ١٠١].

وَيَسْأَلُونَ الْأَوْلِيَاءَ، وَالصَّالِحِينَ مَا لَا يَمْلِكُونَ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْإِسْرَاءِ: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ﴾ [الإسراء: ٥٧].

وَدُعَاءُ الْمُشْرِكِينَ لِغَيْرِ اللَّهِ لَهُ أَسْبَابٌ كَشَفَهَا اللَّهُ، وَرَدَّ عَلَيْهَا بِنَفْسِهِ.

السَّبَبُ الْأَوَّلُ: ظَنَّ الْمُشْرِكُونَ أَنَّ غَيْرَ اللَّهِ يَسْتَجِيبُ لِمَنْ دَعَاهُ.

فَكَشَفَهُ اللَّهُ فِي سُورَةِ الرَّعْدِ، وَرَدَّ عَلَيْهِمْ؛ فَقَالَ: ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ﴾ [الرعد: ١٤].

وَقَالَ فِي سُورَةِ الْأَحْقَافِ: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُمْ﴾ [الأحقاف: ٥].

السَّبَبُ الثَّانِي: ظَنَّ الْمُشْرِكُونَ أَنَّ غَيْرَ اللَّهِ يَمْلِكُ شَيْئًا لِمَنْ دَعَاهُ؛ فَكَشَفَهُ اللَّهُ فِي سُورَةِ سَبَأٍ، وَرَدَّ عَلَيْهِمْ؛ فَقَالَ: ﴿قُلْ أَدْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍَ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مَنِ ظَهِيرٍ﴾ [سبأ: ٢٢].

وَقَالَ فِي سُورَةِ الْإِسْرَاءِ: ﴿قُلْ أَدْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشَفَ الضَّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا﴾ [الإسراء: ٥٦].

**السَّبَبُ الثَّالِثُ: ظَنَّ الْمُشْرِكُونَ أَنَّ غَيْرَ اللَّهِ يَمْلِكُ جَلْبَ النَّفْعِ وَدَفْعِ
الضَّرِّ لِمَنْ دَعَاهُ.**

فَكَشَفَهُ اللَّهُ فِي سُورَةِ يُوسُفَ، وَرَدَّ عَلَيْهِمْ؛ فَقَالَ: ﴿وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ
مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (١٠٦) وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ
بِضَرْ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ
مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [يونس: ١٠٦، ١٠٧].

وَقَالَ فِي سُورَةِ فَاطِرٍ: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ
تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾ [فاطر: ١٣].

السَّبَبُ الرَّابِعُ: ظَنَّ الْمُشْرِكُونَ أَنَّ غَيْرَ اللَّهِ يَمْلِكُ الشَّفَاعَةَ لِمَنْ دَعَاهُ.

فَكَشَفَهُ اللَّهُ فِي سُورَةِ يُوسُفَ؛ فَقَالَ: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ
مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعُونَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ [يونس: ١٨].
وَرَدَّ عَلَيْهِمْ فِي سُورَةِ الزُّخْرَفِ؛ فَقَالَ: ﴿وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ
دُونِهِ الشَّفَاعَةَ﴾ [الزخرف: ٨٦].

وَرَدَّ عَلَيْهِمْ فِي سُورَةِ الزُّمَرِ؛ فَقَالَ: ﴿أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ
أُولَئِكَ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا﴾ [الزمر: ٤٣].

السَّبَبُ الْخَامِسُ: ظَنَّ الْمُشْرِكُونَ أَنَّ مَنْ تَوَسَّلَ بِغَيْرِ اللَّهِ قَرَّبَهُ مِنَ اللَّهِ.

فَكَشَفَهُ اللَّهُ فِي سُورَةِ الزُّمَرِ؛ فَقَالَ: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ
أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ﴾ [الزمر: ٣].

وَرَدَّ عَلَيْهِمْ فِي سُورَةِ الْأَحْقَافِ؛ فَقَالَ: ﴿فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا ^(١)ءَالِهَةً بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ وَذَلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ [الأحقاف: ٢٨].

السَّبَبُ السادس: ظَنَّ الْمُشْرِكُونَ أَنَّ كَلَامَ اللَّهِ فِي تَحْرِيمِ الشَّرِكِ بِاللَّهِ هُوَ كَلَامُ الْبَشَرِ.

فَكَشَفَهُ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْمُدَّثِّرِ؛ فَقَالَ: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾ [المدثر: ٢٥].
وَرَدَّ عَلَيْهِمْ فِي نَفْسِ السُّورَةِ؛ فَقَالَ: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ^(٢٦) وَمَا أَذْرَكَ مَا سَقَرُ ^(٢٧) لَا بُقْيَ وَلَا نَذْرَ ^(٢٨) لَوَالِمَةَ لِلْبَشَرِ﴾ [المدثر: ٢٦-٢٩].

فَلِلْمُسْلِمِينَ دِينٌ وَطَرِيقَةٌ، وَلِلْمُشْرِكِينَ دِينٌ وَطَرِيقَةٌ، فَلَا نَخْلُطُ بَيْنَهُمَا.

قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْكَافِرُونَ: ﴿قُلْ يَتَّيِّهَا الْكَافِرُونَ ^(١) لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ^(٢) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ^(٣) وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ ^(٤) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ^(٥) لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [سورة الكافرون].

وَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ الْمُسْلِمَ أَنْ يَرُدَّ عَلَى كُلِّ مَنْ يَدْعُوهُ لِدِينِ الْمُشْرِكِينَ.

فَقَالَ فِي سُورَةِ الزُّمَرِ: ﴿قُلْ أَفْغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ﴾ [الزمر: ٦٤].

(١) ﴿فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا ءَالِهَةً﴾ أَي: فَلَوْلَا نَصَرَتْهُمْ الْآلِهَةُ الَّتِي عَبَدُوهَا لِتَقَرَّبَهُمْ إِلَى اللَّهِ.

وَتَوَعَّدَ اللَّهُ كُلَّ مَنْ اسْتَبَدَلَ دِينَ الْمُسْلِمِينَ بِدِينِ الْمُشْرِكِينَ؛ فَقَالَ فِي سُورَةِ
الْحُجْرِ: ﴿الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ [الحجر: ٩٦].
وَاللَّهُ أَعْلَمُ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.



الدَّرْسُ السَّادِسُ^(١)

اللَّهُ يَتَحَدَّثُ عَنِ الِاسْتِعَاذَةِ فِي دِينِ الْمُشْرِكِينَ وَالِاسْتِعَاذَةِ فِي دِينِ الْمُسْلِمِينَ



الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ، عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ الْإِنْسَانَ، عَلَّمَهُ الْبَيَانَ، وَالصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ عَلَى الَّذِي لَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى، إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى، أَمَّا بَعْدُ:

فَسَوْفَ نَسْتَمِعُ إِلَى اللَّهِ لِيُحَدِّثَنَا عَنِ الِاسْتِعَاذَةِ^(٢)، عَنْ مَعْنَاهَا، وَطَرِيقَتِهَا فِي دِينِ الْمُشْرِكِينَ، وَدِينِ الْمُسْلِمِينَ.

(١) اجْعَلْهُ خُطْبَةً، وَمُحَاضَرَةً، وَدَرْسًا، وَكَلِمَةً، وَبَرْنَامَجًا فِي الْإِذَاعَةِ أَوْ التَّلْفَازِ، وَمَتْنًا حَفِظْهُ.

(٢) وَالِاسْتِعَاذَةُ عِنْدَ الْمُشْرِكِينَ تَخْتَلِفُ عَنِ الِاسْتِعَاذَةِ عِنْدَ الْمُسْلِمِينَ لِاخْتِلَافِ دِينِهِمَا؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْكَافُرُونَ: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون: ٦]، وَلَا اخْتِلَافَ طَرِيقَتَيْهَا فِي عِبَادَةِ اللَّهِ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْكَافُرُونَ: ﴿قُلْ يَتَأَيُّهَا الْكَافِرُونَ ۖ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۚ﴾ (١) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ [الكافرون: ١-٣]، فَطَرِيقَةُ الْمُشْرِكِينَ مِنَ الْأُمِّيِّينَ أَنَّهُمْ يَعْبُدُونَ إِلَهَيْنِ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ النَّحْلِ: ﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ إِلَّا مَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ﴾ [النحل: ٥١]، وَطَرِيقَةُ الْمُشْرِكِينَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ: أَنَّهُمْ يَعْبُدُونَ ثَلَاثَةً، فَيَقُولُونَ: اللَّهُ إِلَهُ، وَجِبْرِيلُ إِلَهُ، وَعِيسَى إِلَهُ، فَنَحْنُ نَعْبُدُ الثَّلَاثَةَ، فَرَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ فِي سُورَةِ النَّسَاءِ؛ فَقَالَ: ﴿وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةً ۚ أَنْتَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ۖ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌُ وَاحِدٌ﴾ [النساء: ١٧١]، وَرَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ فِي سُورَةِ الْمَائِدَةِ؛ فَقَالَ: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌُ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٧٣]، وَطَرِيقَةُ الْمُشْرِكِينَ مِنَ الْأُمِّيِّينَ: أَنَّهُمْ يَعْبُدُونَ اللَّهَ، وَيَعْبُدُونَ مَعَ اللَّهِ كُلَّ شَيْءٍ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ ص: ﴿وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سِحْرٌ كَذَّابٌ ۚ﴾ (٤) اجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَّا اللَّهًا وَاحِدًا [ص: ٤، ٥].

وَقَدْ رَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ فِي سُورَةِ الْمُؤْمِنُونَ؛ فَقَالَ: ﴿وَأَنَّهُمْ لَكَذِبُونَ﴾ (٥) مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ [المؤمنون: ٩٠، ٩١]، وَأَمَّا طَرِيقَةُ الْمُسْلِمِينَ فِي الْعِبَادَةِ: فَالْمُسْلِمُونَ =

قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ النَّسَاءِ: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٨٧].

فَأَمَّا مَعْنَى الْأَسْتِعَاذَةِ: فَهِيَ الدُّعَاءُ، وَسُؤَالُ الْحِمَايَةِ مِنَ الشَّرِّ وَأَهْلِهَا قَبْلَ إِصَابَتِهَا؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْفَلَقِ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ (١) **مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ** (٢) **وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ** (٣) **وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ** (٤) **وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ** ﴿[سورة الفلق].

وَقَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ النَّاسِ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ (١) **مَلِكِ النَّاسِ** (٢) **إِلَهِ النَّاسِ** (٣) **مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ** (٤) **الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ** (٥) **مِنَ الْغِيَةِ وَالنَّاسِ** ﴿[سورة الناس].

وَعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يَا عُقْبَةُ! تَعَوَّذْ بِهِمَا؛ فَمَا تَعَوَّذْ مُتَعَوِّذٌ بِمِثْلِهِمَا» [رواه أبو داود (١) بِسَنَدٍ صَحِيحٍ].

وَالْأَسْتِعَاذَةُ عِنْدَ الْمُشْرِكِينَ تَخْتَلِفُ عَنِ الْأَسْتِعَاذَةِ عِنْدَ الْمُسْلِمِينَ؛ لِاخْتِلَافِ دِينِهِمَا؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْكَافِرُونَ: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون: ٦].

وَلَا اخْتِلَافَ طَرِيقَتَيْهِمَا فِي عِبَادَةِ اللَّهِ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْكَافِرُونَ: ﴿قُلْ يَتَّخِذُ الْكَافِرُونَ (١) لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ (٢) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ [الكافرون: ١-٣].

= لَا يَعْبُدُونَ إِلَّا إِلَهًا وَاحِدًا؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ التَّوْبَةِ: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ [التوبة: ٣١]، **وَالْإِلَهُ الْوَاحِدُ الَّذِي يَعْبُدُهُ الْمُسْلِمُونَ هُوَ اللَّهُ؛** قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْبَيْنَةِ: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ﴾ [البينة: ٥]، وَقَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ ص: ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ﴾ [ص: ٦٥]، وَقَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ [البقرة: ٢٥٥]. (١) «سُنَنُ أَبِي دَاوُدَ» [بَابُ فِي الْمَعْوَذَتَيْنِ].

فَالْمُسْلِمُونَ: لَا يَسْتَعِينُونَ إِلَّا بِاللَّهِ فِيمَا لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلَّا اللَّهُ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ غَافِرٍ: ﴿فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾ [غافر: ٥٦].

وَالْمُشْرِكُونَ: يَسْتَعِينُونَ بِغَيْرِ اللَّهِ فِيمَا لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلَّا اللَّهُ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْجِنِّ: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [الجن: ٦].

وَأَمَّا طَرِيقَةُ الْمُشْرِكِينَ فِي الْأَسْتِعَاذَةِ فَتَخْتَلِفُ عَنْ طَرِيقَةِ الْمُسْلِمِينَ:

فَالْمُسْلِمُونَ: لَا يَسْأَلُونَ الْحِمَايَةَ مِنَ الشُّرُورِ وَأَهْلِهَا إِلَّا مَن يَمْلِكُ حِمَايَتَهُمْ. قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ: ﴿قُلْ أَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْنَا اللَّهَ﴾ [الأنعام: ٧١].

وَالْمُشْرِكُونَ: يَسْأَلُونَ الْحِمَايَةَ مِنَ الشُّرُورِ وَأَهْلِهَا مَن لَا يَمْلِكُ حِمَايَتَهُمْ. قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ فَاطِرٍ: ﴿ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾ [فاطر: ١٣].

وَالْمُسْلِمُونَ: يَسْأَلُونَ اللَّهَ الَّذِي يَمْلِكُ حِمَايَتَهُمْ مِنْ أَهْلِ الشَّرِّ قَبْلَ حُضُورِهِمْ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْمُؤْمِنُونَ: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ﴾ (٩٧) وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ ﴿[المؤمنون: ٩٧، ٩٨].

وَقَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ النَّحْلِ: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [النحل: ٩٨].

وَعِنْدَ حُضُورِهِمْ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْأَعْرَافِ: ﴿وَأَمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف: ٢٠٠].

وَعَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ صُرَدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: اسْتَبَّ رَجُلَانِ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنَحْنُ عِنْدَهُ جُلُوسٌ، وَأَحَدُهُمَا يَسُبُّ صَاحِبَهُ مُغْضَبًا قَدْ احْمَرَّ وَجْهُهُ، فَقَالَ: النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنِّي لَأَعْلَمُ كَلِمَةً لَوْ قَالَهَا لَذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ؛ لَوْ قَالَ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ»، فَقَالُوا لِلرَّجُلِ: أَلَا تَسْمَعُ مَا يَقُولُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قَالَ: إِنِّي لَسْتُ بِمَجْنُونٍ. [رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ^(١)، وَمُسْلِمٌ^(٢)].

وَمَنْ اسْتَعَاذَ بِاللَّهِ أَعَاذَهُ اللَّهُ، وَمَنْ طَلَبَ الْحِمَاةَ مِنَ اللَّهِ حَمَاهُ اللَّهُ؛ عَنْ خَوْلَةَ بِنْتِ حَكِيمِ السُّلَمِيَّةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِذَا نَزَلَ أَحَدُكُمْ مَنْزِلًا، فَلْيَقُلْ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ؛ فَإِنَّهُ لَا يَضُرُّهُ شَيْءٌ حَتَّى يَرْتَحِلَ مِنْهُ» [رواه مسلم]^(٣).

وَمَنْ لَمْ يَطْلُبِ الْحِمَاةَ مِنَ اللَّهِ فَقَدْ عَرَّضَ نَفْسَهُ لِلْإِصَابَةِ.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! مَا لَقِيتُ مِنْ عَقَرٍ لَدَغْتَنِي الْبَارِحَةَ؛ قَالَ: «أَمَا لَوْ قُلْتَ حِينَ أَمْسَيْتَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ؛ لَمْ تَضُرَّكَ» [رَوَاهُ مُسْلِمٌ]^(٤).

(١) «صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ» [باب الحذر من الغضب].

(٢) «صَحِيحُ مُسْلِمٍ» [باب فضل من يملك نفسه].

(٣) «صَحِيحُ مُسْلِمٍ» [بَابُ فِي التَّعَوُّذِ مِنْ سُوءِ الْقَضَاءِ وَدَرْكِ الشَّقَاءِ وَغَيْرِهِ].

(٤) «صَحِيحُ مُسْلِمٍ» [بَابُ فِي التَّعَوُّذِ مِنْ سُوءِ الْقَضَاءِ وَدَرْكِ الشَّقَاءِ وَغَيْرِهِ].

وَالْمُشْرِكُونَ: يَسْأَلُونَ الْحِمَاةَ مِنَ الْأَمْوَاتِ الَّذِينَ لَا يَمْلِكُونَ حِمَايَتَهُمْ.
 قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ النحل: ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [النحل: ٢٠، ٢١].

وَالْمُشْرِكُونَ: يَسْأَلُونَ الْحِمَاةَ مِنَ الْجَمَادَاتِ الَّتِي لَا تَمْلِكُ حِمَايَتَهُمْ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْأَعْرَافِ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٩٤﴾ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٩٤، ١٩٥].

وَالْمُشْرِكُونَ: يَسْأَلُونَ الْحِمَاةَ مِنَ الْأَصْنَامِ وَالْأَوْثَانِ الَّتِي لَا تَمْلِكُ حِمَايَتَهُمْ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ هُودٍ: ﴿فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ﴾ [هود: ١٠١].

وَمَنْ سَأَلَ الْحِمَاةَ مِنْ غَيْرِ اللَّهِ أُصِيبَ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْجِنِّ: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [الجن: ٦].

فَلِلْمُسْلِمِينَ دِينٌ وَطَرِيقَةٌ، وَلِلْمُشْرِكِينَ دِينٌ وَطَرِيقَةٌ؛ فَلَا نَخْلُطُ بَيْنَهُمَا؛
 قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْكَافِرُونَ: ﴿قُلْ يَتَّيِّهَا الْكَافِرُونَ ﴿١﴾ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ ﴿٤﴾ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينٌ﴾ [سورة الكافرون].

وَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ الْمُسْلِمَ أَنْ يَرُدَّ عَلَى كُلِّ مَنْ يَدْعُوهُ لِدِينِ الْمُشْرِكِينَ؛ فَقَالَ فِي
سُورَةِ الزُّمَرِ: ﴿قُلْ أَغْيَرَ اللَّهُ تَأْمُرُوَنِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ﴾ [الزمر: ٦٤].

وَتَوَعَّدَ اللَّهُ كُلَّ مَنْ اسْتَبَدَلَ دِينَ الْمُسْلِمِينَ بِدِينِ الْمُشْرِكِينَ؛ فَقَالَ فِي سُورَةِ
الْحَجَرِ: ﴿الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ [الحجر: ٩٦].

وَاللَّهُ أَعْلَمُ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّم.



الدَّرْسُ السَّابِعُ^(١)

اللَّهُ يَتَحَدَّثُ عَنِ الْاِسْتِغَاثَةِ فِي دِينِ الْمُشْرِكِينَ وَالْاِسْتِغَاثَةِ فِي دِينِ الْمُسْلِمِينَ



الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ، عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ الْإِنْسَانَ، عَلَّمَهُ الْبَيَانَ، وَالصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ عَلَى الَّذِي لَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى، إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى، أَمَّا بَعْدُ:

فَسَوْفَ نَسْتَمِعُ إِلَى اللَّهِ لِيُحَدِّثَنَا عَنِ الْاِسْتِغَاثَةِ، عَنْ مَعْنَاهَا، وَطَرِيقَتِهَا فِي دِينِ الْمُشْرِكِينَ وَدِينِ الْمُسْلِمِينَ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ النَّسَاءِ: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٨٧].

فَأَمَّا مَعْنَى الْاِسْتِغَاثَةِ: فَهِيَ الدُّعَاءُ، وَسُؤَالُ كَشْفِ الضَّرِّ إِذَا نَزَلَ بِالْعَبْدِ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْأَنْفَالِ: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَبَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدِّكُمْ بِالْفِ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [الأنفال: ٩].

وَالْاِسْتِغَاثَةُ^(٢) تَخْتَلِفُ فِي دِينِ الْمُشْرِكِينَ عَنْ دِينِ الْمُسْلِمِينَ؛ لِاِخْتِلَافِ دِينِهِمَا؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْكَافُرُونَ: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينٌ﴾ [الكَافُرُونَ: ٦].

(١) اجْعَلْهُ خُطْبَةً، وَمُحَاضَرَةً، وَدَرْسًا، وَكَلِمَةً، وَبَرْنَامَجًا فِي الْإِدَاعَةِ أَوْ التَّلَافُزِ، وَمَتْنًا حَفْظُهُ.

(٢) وَالْاِسْتِغَاثَةُ عِنْدَ الْمُشْرِكِينَ تَخْتَلِفُ عَنِ الْاِسْتِغَاثَةِ عِنْدَ الْمُسْلِمِينَ لِاِخْتِلَافِ دِينِهِمَا؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْكَافُرُونَ: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينٌ﴾ [الكَافُرُونَ: ٦]، وَلِاِخْتِلَافِ طَرِيقَتِهَا فِي عِبَادَةِ اللَّهِ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْكَافُرُونَ: ﴿قُلْ يَتَّخِذُ الْكَافِرُونَ ١ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ٢﴾ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ [الكَافُرُونَ: ١-٣]، فَطَرِيقَةُ الْمُشْرِكِينَ مِنَ الْأُمِّيِّينَ أَنَّهُمْ يَعْبُدُونَ إِلَهَيْنِ؛ قَالَ اللَّهُ =

وَلَا خْتِلَافَ طَرِيقَتَيْهَا فِي عِبَادَةِ اللَّهِ. قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْكَافِرُونَ: ﴿قُلْ يَتَأَيَّهَا الْكَافِرُونَ ﴿١﴾ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ [الكاغرون: ١-٣].

فَالْمُسْلِمُونَ لَا يَسْأَلُونَ كَشْفَ الضَّرِّ الَّذِي لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلَّا اللَّهُ مِنْ غَيْرِ اللَّهِ. قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الزُّمَرِ: ﴿قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَتُ ضَرِّيَ أَوْ أَرَادَنِيَ بِرَحْمَةٍ هَلْ هِيَ مُمْسِكَةٌ رَحْمَتَهُ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ﴾ [الزمر: ٣٨].

وَالْمُشْرِكُونَ يَسْأَلُونَ كَشْفَ الضَّرِّ الَّذِي لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلَّا اللَّهُ مِنْ غَيْرِ اللَّهِ. قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْإِسْرَاءِ: ﴿قُلْ أَدْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضَّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا﴾ [الإسراء: ٥٦].

= فِي سُورَةِ النَّحْلِ: ﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَخَذُوا لِلْهَيْنِ آتِنِينَ إِنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَحْدٌ﴾ [النحل: ٥١]، وَطَرِيقَةُ الْمُشْرِكِينَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ: أَنَّهُمْ يَعْبُدُونَ ثَلَاثَةً، فَيَقُولُونَ: اللَّهُ إِلَهُ، وَجِبْرِيلُ إِلَهُ، وَعِيسَى إِلَهُ، فَتَحْنُ نَعْبُدُ الثَّلَاثَةَ، فَرَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ فِي سُورَةِ النَّسَاءِ: فَقَالَ: ﴿وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةً انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَحْدٌ﴾ [النساء: ١٧١]، وَرَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ فِي سُورَةِ الْمَائِدَةِ: فَقَالَ: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّكَ ثَلَاثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَحْدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُوا لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٧٣]، وَطَرِيقَةُ الْمُشْرِكِينَ مِنَ الْأُمِّيِّينَ: أَنَّهُمْ يَعْبُدُونَ اللَّهَ، وَيَعْبُدُونَ مَعَ اللَّهِ كُلَّ شَيْءٍ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ ص: ﴿وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سِحْرٌ كَذَابٌ ﴿٤﴾ أَجْعَلُ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا﴾ [ص: ٤، ٥].

وَقَدْ رَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ فِي سُورَةِ الْمُؤْمِنُونَ: فَقَالَ: ﴿وَأِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٠﴾ مَا أَخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلِيٍّ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ﴾ [المؤمنون: ٩٠، ٩١]، وَأَمَّا طَرِيقَةُ الْمُسْلِمِينَ فِي الْعِبَادَةِ: فَالْمُسْلِمُونَ لَا يَعْبُدُونَ إِلَّا إِلَهًا وَاحِدًا؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ التَّوْبَةِ: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ [التوبة: ٣١]، وَالْإِلَهُ الْوَاحِدُ الَّذِي يَعْبُدُهُ الْمُسْلِمُونَ هُوَ اللَّهُ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ﴾ [البقرة: ٥]، وَقَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ ص: ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ﴾ [ص: ٦٥]، وَقَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وَأَمَّا طَرِيقَةُ الاسْتِغَاثَةِ.

فَالْمُسْلِمُونَ يَسْتَغِيثُونَ بِالْمَخْلُوقِينَ الْأَحْيَاءِ الْحَاضِرِينَ فِيمَا يَقْدِرُونَ عَلَيْهِ وَيَمْلِكُونَهُ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْقَصَصِ: ﴿فَاسْتَغْنَهُ الَّذِي مِنْ شَيْعِنِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَرَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوُّ مُضِلٌّ مُبِينٌ﴾ [القصص: ١٥]، فَمُوسَى حَيٌّ، وَقَادِرٌ، وَحَاضِرٌ، حَضَرَ اقْتِتَالَ الرَّجُلَيْنِ، وَيَمْلِكُ إِغَاثَةَ مَنْ اسْتَغَاثَ بِهِ.

وَالْمُشْرِكُونَ يَسْتَغِيثُونَ بِالْمَخْلُوقِينَ فِيمَا لَا يَقْدِرُونَ عَلَيْهِ، وَفِيمَا لَا يَمْلِكُونَهُ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ النَّمْلِ: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُ لَكُمْ خُلَفَاءَ أَلْأَرْضِ أَلَيْسَ اللَّهُ مَعَ اللَّهِ﴾ [النمل: ٦٢].

فَالْمُشْرِكُونَ اسْتَغَاثُوا بِالْمَخْلُوقِ فِيمَا لَا يَمْلِكُ، فَردَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ فِي سُورَةِ الْإِسْرَاءِ؛ فَقَالَ: ﴿قُلْ أَدْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضَّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا﴾ [الإسراء: ٥٦].

وَالْمُشْرِكُونَ اسْتَغَاثُوا بِالْجَمَادَاتِ، فَردَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ فِي سُورَةِ الْأَعْرَافِ فَقَالَ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادُ أَمْثَالِكُمْ فَأَدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (١٩٤) أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٩٤، ١٩٥].

وَالْمُشْرِكُونَ اسْتَغَاثُوا بِالْأَمْوَاتِ وَالْأَحْيَاءِ الْحَاضِرِينَ الَّذِينَ لَا يَمْلِكُونَ إِغَاثَتَهُمْ، فَردَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ فِي سُورَةِ فَاطِرٍ؛ فَقَالَ: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ

لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾
إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ ﴿١٤﴾ [فاطر: ١٣، ١٤].

فَلِلْمُسْلِمِينَ دِينٌ وَطَرِيقَةٌ، وَلِلْمُشْرِكِينَ دِينٌ وَطَرِيقَةٌ؛ فَلَا نَخْلُطُ بَيْنَهُمَا.
قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْكَافِرُونَ: ﴿قُلْ يَتَأْتِيَهَا الْكَافِرُونَ ﴿١﴾ لَا أَعْبُدُ مَا
تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ ﴿٤﴾
وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينٌ﴾ [سورة الكافرون].

وَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ الْمُسْلِمَ أَنْ يَرُدَّ عَلَى كُلِّ مَنْ يَدْعُوهُ لِدِينِ الْمُشْرِكِينَ؛ فَقَالَ فِي
سُورَةِ الزُّمَرِ: ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونَنِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ﴾ [الزمر: ٦٤].

وَتَوَعَّدَ اللَّهُ كُلَّ مَنْ اسْتَبَدَلَ دِينَ الْمُسْلِمِينَ بِدِينِ الْمُشْرِكِينَ؛ فَقَالَ فِي سُورَةِ
الْحَجَرِ: ﴿الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ [الحجر: ٩٦].
وَاللَّهُ أَعْلَمُ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.



الدَّرْسُ الثَّامِنُ^(١)

اللَّهُ يَتَحَدَّثُ عَنِ الذَّبْحِ فِي دِينِ الْمُشْرِكِينَ، وَالذَّبْحِ فِي دِينِ الْمُسْلِمِينَ



الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ، عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ الْإِنْسَانَ، عَلَّمَهُ الْبَيَانَ، وَالصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ عَلَى الَّذِي لَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى، إِنَّهُ هُوَ الْوَحْيُ يُوحَى، أَمَّا بَعْدُ:

فَسَوْفَ نَسْتَمِعُ إِلَى اللَّهِ لِيُحَدِّثَنَا عَنِ الذَّبْحِ^(٢) وَطَرِيقَتِهِ فِي دِينِ الْمُشْرِكِينَ وَدِينِ الْمُسْلِمِينَ.

- (١) اجْعَلْهُ خُطْبَةً، وَمُحَاضَرَةً، وَدَرْسًا، وَكَلِمَةً، وَبَرْنًا جَا فِي الْإِذَاعَةِ أَوِ التَّلْفَازِ، وَمَتْنًا حَفْظُهُ.
- (٢) وَالذَّبْحُ عِنْدَ الْمُشْرِكِينَ يَخْتَلِفُ عَنِ الذَّبْحِ عِنْدَ الْمُسْلِمِينَ؛ لِاخْتِلَافِ دِينِهِمَا؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْكَافُرُونَ: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون: ٦]؛ وَلَا اخْتِلَافَ طَرِيقَتَيْهِمَا فِي عِبَادَةِ اللَّهِ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْكَافُرُونَ: ﴿قُلْ يَتَّابِعُ الْكُفْرُوكَ ۖ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۚ﴾ (١) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿[الكافرون: ١-٣]، فَطَرِيقَةُ الْمُشْرِكِينَ مِنَ الْأُمِّيِّينَ أَنَّهُمْ يَعْبُدُونَ إِلَهَيْنِ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ النَّحْلِ: ﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَخَذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ﴾ [النحل: ٥١]، وَطَرِيقَةُ الْمُشْرِكِينَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ: أَنَّهُمْ يَعْبُدُونَ ثَلَاثَةً، فَيَقُولُونَ: اللَّهُ إِلَهُ، وَجِبْرِيلُ إِلَهُ، وَعِيسَى إِلَهُ، فَنَحْنُ نَعْبُدُ الثَّلَاثَةَ، فَرَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ فِي سُورَةِ النَّسَاءِ؛ فَقَالَ: ﴿وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةً ۚ خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَاحِدٌ﴾ [النساء: ١٧١]، وَرَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ فِي سُورَةِ الْمَائِدَةِ؛ فَقَالَ: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثُ ثُلُثٍ وَمِنْ إِلَهِ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٧٣]، وَطَرِيقَةُ الْمُشْرِكِينَ مِنَ الْأُمِّيِّينَ: أَنَّهُمْ يَعْبُدُونَ اللَّهَ، وَيَعْبُدُونَ مَعَ اللَّهِ كُلَّ شَيْءٍ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ ص: ﴿وَقَالَ الْكُفْرُونَ هَذَا سِحْرٌ كَذَابٌ ۚ﴾ (٤) أَجْعَلِ الْأِلَهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا ﴿[ص: ٤، ٥].

قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ النَّسَاءِ: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٨٧].

فَأَمَّا الذَّبْحُ فِي دِينِ الْمُشْرِكِينَ فَيُخْتَلَفُ عَنِ الذَّبْحِ فِي دِينِ الْمُسْلِمِينَ؛
لَا خِتَافَ دِينَهُمَا؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْكَافِرُونَ: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾
[الكافرون: ٦].

وَلَا خِتَافَ طَرِيقَتَيْهِمَا فِي عِبَادَةِ اللَّهِ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْكَافِرُونَ: ﴿قُلْ
يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴿١﴾ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ
مَا أَعْبُدُ﴾ [الكافرون: ١-٣].

فَالْمُشْرِكُونَ يَذْبَحُونَ لِغَيْرِ اللَّهِ؛ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ
رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «لَعَنَ اللَّهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللَّهِ» [رواه مُسْلِمٌ] ^(١).

وَالْمُسْلِمُونَ لَا يَذْبَحُونَ إِلَّا لِلَّهِ الَّذِي أَعْطَاهُمُ الذَّبَائِحَ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ
الْكَوثرِ: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ ^(٢)﴾ [الكوثر: ٢].

= وقد رَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ فِي سُورَةِ الْمُؤْمِنُونَ؛ فَقَالَ: ﴿وَأَنَّهُمْ لَكَذِبُونَ ﴿٩٠﴾ مَا أَخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا
كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهِ ﴿[المؤمنون: ٩٠، ٩١]، وَأَمَّا طَرِيقَةُ الْمُسْلِمِينَ فِي الْعِبَادَةِ: فَالْمُسْلِمُونَ لَا يَعْبُدُونَ
إِلَّا إِلَهًا وَاحِدًا؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ التَّوْبَةِ: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا
لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴿[التوبة: ٣١]، وَالْإِلَهُ الْوَاحِدُ الَّذِي يَعْبُدُهُ الْمُسْلِمُونَ هُوَ اللَّهُ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ
الْبَيْتَةِ: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ ﴿[البينة: ٥]، وَقَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ ص: ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ
[ص: ٦٥]، وَقَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ..

(١) «صَحِيحُ مُسْلِمٍ» [باب تَحْرِيمِ الذَّبْحِ لِغَيْرِ اللَّهِ تَعَالَى وَلَعْنِ فَاعِلِهِ].

(٢) فَصَلِّ لِرَبِّكَ صَلَاةَ الْعِيدِ، وَأَنْحَرْ الْأُضْحِيَّةَ بَعْدَ صَلَاةِ الْعِيدِ؛ عَنِ الْبَرَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: خَطَبَنَا النَّبِيُّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ النَحْرِ قَالَ: «إِنَّ أَوَّلَ مَا تَبْدَأُ بِهِ فِي يَوْمِنَا هَذَا أَنْ نُصَلِّيَ ثُمَّ نَنْحَرَ، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدْ =

وَأَمَّا طَرِيقَةُ الذَّبْحِ عِنْدَ الْمُشْرِكِينَ.

فَالْمُشْرِكُونَ: يَتَقَرَّبُونَ بِالذَّبَائِحِ لِغَيْرِ اللَّهِ.

فَيَذْبَحُونَ أَوَّلَ مَوْلُودٍ تَلِدُهُ دَوَائِبُهُمُ لِلشَّيَاطِينِ، وَيَتَقَرَّبُونَ بِذَبْحِهِ إِلَيْهِمْ.
عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا فَرْعَ وَلَا عَتِيرَةَ»^(١).
[رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ]^(٢).

وَالْمُشْرِكُونَ يَذْبَحُونَ لِلْأَصْنَامِ وَالْأَوْثَانِ مَا يَتَقَرَّبُونَ بِذَبْحِهِ إِلَيْهِمْ؛ قَالَ
اللَّهُ فِي سُورَةِ الْمَائِدَةِ فِي ذِكْرِ مَا حَرَّمَ أَكْلَهُ: ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ﴾ [المائدة: ٣]،
أَيُّ: مَا ذُبِحَ لِلْأَصْنَامِ.

وَالنُّصُبُ: هِيَ الْأَصْنَامُ؛ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «دَخَلَ مَكَّةَ يَوْمَ الْفَتْحِ وَحَوْلَ الْكَعْبَةِ ثَلَاثُ مِائَةٍ وَسِتُّونَ نُسْبًا»
[رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ]^(٣)، وَمُسْلِمٌ^(٤).

وَالْمُشْرِكُونَ يَمْنَعُونَ ذِكْرَ اسْمِ اللَّهِ عَلَى أَيِّ ذَبِيحَةٍ يَذْبَحُونَهَا لِغَيْرِ اللَّهِ؛ قَالَ
اللَّهُ فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ: ﴿وَأَنعَمُوا لَا يَذْكُرُونَ أَسْمَاءَ اللَّهِ عَلَيْهَا﴾ [الأنعام: ١٣٨].

= أَصَابَ سُنَّتَنَا، وَمَنْ ذَبَحَ قَبْلَ أَنْ يُصَلِّيَ فَإِنَّمَا هُوَ حُمٌ عَجَلَهُ لِأَهْلِهِ، لَيْسَ مِنَ النُّسُكِ فِي شَيْءٍ.
رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

(١) وَالْفَرْعُ: أَوَّلُ مَوْلَدٍ، كَانُوا يَذْبَحُونَهُ لَطَوَاعِيهِمْ، وَالْعَتِيرَةُ فِي رَجَبٍ.

(٢) «صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ» [بَابُ الْفَرْعِ].

(٣) «صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ» [بَابُ: هَلْ تُكْسَرُ الدَّيْنَانُ الَّتِي فِيهَا الْحُمْرُ؟].

(٤) «صَحِيحُ مُسْلِمٍ» [بَابُ إِزَالَةِ الْأَصْنَامِ مِنْ حَوْلِ الْكَعْبَةِ].

وَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ الْأَكْلَ مِنْ جَمِيعِ ذَبَائِحِ الْمُشْرِكِينَ؛ لِأَنَّهُمْ لَا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا.

قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذَكَّرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ﴾ [الأنعام: ١٢١].

وَأَمَّا طَرِيقَةُ الذَّبْحِ عِنْدَ الْمُسْلِمِينَ.

فَالْمُسْلِمُونَ يَتَقَرَّبُونَ إِلَى اللَّهِ بِكُلِّ مَا يَذْبَحُونَ.

قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْحَجِّ: ﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ النَّفْسُ مِنْكُمْ﴾ [الحج: ٣٧].

وَالْمُسْلِمُونَ لَا يَذْبَحُونَ إِلَّا الذَّبَائِحَ الَّتِي أَمَرَهُمُ اللَّهُ بِذَبْحِهَا، وَحَدَدَ هُمْ نَوْعَهَا، وَسِنَّهَا، وَزَمَانَهَا، وَمَكَانَهَا.

فَالْمُسْلِمُونَ يَذْبَحُونَ الْأَضْحِيَّةَ الَّتِي أَمَرَهُمُ اللَّهُ بِذَبْحِهَا بَعْدَ صَلَاةِ عِيدِ الْأَضْحَى فِي كُلِّ مَكَانٍ، وَيَتَقَرَّبُونَ بِذَبْحِهَا إِلَى اللَّهِ.

قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْكَوْثَرِ: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ﴾ [الكوثر: ٢].

وَالْمُسْلِمُونَ يَذْبَحُونَ الْهَدْيَ الَّذِي أَمَرَ اللَّهُ مَنْ حَجَّ مُتَمَتِّعًا أَوْ قَارِنًا بِذَبْحِهِ بَعْدَ صَلَاةِ الْعِيدِ فِي مَكَّةَ، وَيَتَقَرَّبُونَ بِذَبْحِهِ إِلَى اللَّهِ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ: ﴿فَمَنْ تَمَنَعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾ [البقرة: ١٩٦].

وَالْمُسْلِمُونَ يَذْبَحُونَ الْعَقِيقَةَ الَّتِي أَمَرَهُمُ اللَّهُ بِذَبْحِهَا شُكْرًا لِلَّهِ عَلَى نِعْمَةِ
الْوَلَدِ فِي أَيِّ مَكَانٍ أَوْ زَمَانٍ يَأْتِي فِيهِ الْوَلَدُ، وَيَتَقَرَّبُونَ بِذَبْحِهَا إِلَى اللَّهِ.

عَنْ أُمِّ كُرْزٍ الْكَعْبِيَّةِ قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «عَنِ
الْغُلَامِ شَاتَانِ مُكَافِئَتَانِ، وَعَنِ الْجَارِيَةِ شَاةٌ» [رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ^(١)، وَالتَّسَائِيُّ^(٢)، وَالتِّرْمِذِيُّ^(٣)،
وَأَبْنُ مَاجَةَ^(٤) بِسَنَدٍ صَحِيحٍ].

وَالْمُسْلِمُونَ يَذْبَحُونَ مَا نَذَرُوا ذَبْحَهُ لِلَّهِ فِي أَيِّ مَكَانٍ أَوْ زَمَانٍ، وَيَتَقَرَّبُونَ
بَذْبَحِهِ إِلَى اللَّهِ.

عَنْ ثَابِتِ بْنِ الضَّحَّاكِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: إِنِّي
نَذَرْتُ أَنْ أَنْحَرَ إِبِلًا، فَقَالَ: «أَوْفِ بِنَذْرِكَ» [رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ^(٥) بِسَنَدٍ صَحِيحٍ].

وَالْمُسْلِمُونَ يَذْبَحُونَ مَا يُكْرِمُونَ بِهِ الضَّيْفَ الَّذِي أَمَرَهُمُ اللَّهُ بِإِكْرَامِهِ؛
قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ هُودٍ: ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا
قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾ [هُود: ٦٩].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ
وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ» [رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ^(٦)، وَمُسْلِمٌ^(٧)].

(١) «سُنَنُ أَبِي دَاوُدَ» [بَابُ فِي الْعَقِيقَةِ].

(٢) «سُنَنُ النَّسَائِيِّ» [بَابُ الْعَقِيقَةِ عَنِ الْجَارِيَةِ].

(٣) «سُنَنُ التِّرْمِذِيِّ» [بَابُ مَا جَاءَ فِي الْعَقِيقَةِ].

(٤) «سُنَنُ أَبِي مَاجَةَ» [بَابُ الْعَقِيقَةِ].

(٥) «سُنَنُ أَبِي دَاوُدَ» [بَابُ مَا يُؤْمَرُ بِهِ مِنَ الْوَفَاءِ بِالنَّذْرِ].

(٦) «صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ» [بَابُ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يُؤْذِ جَارَهُ].

(٧) «صَحِيحُ مُسْلِمٍ» [بَابُ الْحَثِّ عَلَى إِكْرَامِ الْجَارِ وَالضَّيْفِ].

وَهَذِهِ الذَّبَائِحُ كُلُّهَا يَذْبَحُهَا الْمُسْلِمُونَ بِنِيَّةِ الْعِبَادَةِ لِلَّهِ، لَا بِنِيَّةِ أَكْلِ
اللَّحْمِ.

قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ: ﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ
رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣].

وَقَدْ أَذِنَ اللَّهُ لِلْمُسْلِمِينَ فِي ذَبْحِ مَا يَقْصِدُونَ بِهِ الْأَكْلَ لَا الْعِبَادَةَ.

عَنِ الْبَرَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: خَطَبَنَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ النَّحْرِ، فَقَالَ: «إِنَّ
أَوَّلَ مَا نَبْدَأُ بِهِ فِي يَوْمِنَا هَذَا: أَنْ نُصَلِّيَ ثُمَّ نَنْحَرَ، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدْ أَصَابَ
سُنَّتَنَا، وَمَنْ ذَبَحَ قَبْلَ أَنْ يُصَلِّيَ فَإِنَّمَا هُوَ لَحْمٌ عَجَلَهُ لِأَهْلِهِ، لَيْسَ مِنَ النَّسِكِ
فِي شَيْءٍ» [رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ] ^(١).

وَالْمُسْلِمُونَ يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَى كُلِّ ذَبِيحَةٍ يَذْبَحُونَهَا؛ عَنْ أَنَسٍ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «ضَحَّى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِكَبْشَيْنِ أَمْلَحَيْنِ، فَرَأَيْتُهُ وَاضِعًا قَدَمَهُ
عَلَى صِفَاحِهِمَا، يُسَمِّي وَيُكَبِّرُ، فَذَبَحَهُمَا بِيَدِهِ» [رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ] ^(٢).

فَجَمِيعُ ذَبَائِحِ الْمُسْلِمِينَ أَحَلَّ اللَّهُ أَكْلَهَا؛ لِأَنَّهُمْ يَذْبَحُونَهَا لِلَّهِ، وَيَذْكُرُونَ
اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ: ﴿فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾
[الأنعام: ١١٨].

فَلِلْمُسْلِمِينَ دِينٌ وَطَرِيقَةٌ، وَلِلْمُشْرِكِينَ دِينٌ وَطَرِيقَةٌ؛ قَالَ اللَّهُ: ﴿قُلْ
يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴿١﴾ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا

(١) «صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ» [بَابُ التَّكْبِيرِ إِلَى الْعِيدِ].

(٢) «صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ» [بَابُ مَنْ ذَبَحَ الْأَصَاحِيَّ بِيَدِهِ].

أَعْبُدْ ﴿٢﴾ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ ﴿٤﴾ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَّا أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴿٦﴾ [سورة الكافرون].

وَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ الْمُسْلِمَ أَنْ يَرُدَّ عَلَى كُلِّ مَنْ يَدْعُوهُ لِدِينِ الْمُشْرِكِينَ؛ فَقَالَ فِي سُورَةِ الزُّمَرِ: ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونَنِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ﴾ [الزمر: ٦٤].

وَتَوَعَّدَ اللَّهُ كُلَّ مَنْ اسْتَبَدَلَ دِينَ الْمُسْلِمِينَ بِدِينِ الْمُشْرِكِينَ؛ فَقَالَ فِي سُورَةِ الْحَجْرِ: ﴿الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ [الحجر: ٩٦].
وَاللَّهُ أَعْلَمُ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.



الدَّرْسُ التَّاسِعُ^(١)

اللَّهُ يَتَحَدَّثُ عَنِ النَّذْرِ فِي دِينِ الْمُشْرِكِينَ وَالنَّذْرِ فِي دِينِ الْمُسْلِمِينَ



الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ، عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ الْإِنْسَانَ، عَلَّمَهُ الْبَيَانَ، وَالصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ عَلَى الَّذِي لَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى، إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى، **أَمَّا بَعْدُ:**

فَسَوْفَ نَسْتَمِعُ إِلَى اللَّهِ لِيُحَدِّثَنَا عَنِ النَّذْرِ^(٢)، وَطَرِيقَتِهِ، وَأَنْوَاعِهِ، فِي دِينِ الْمُشْرِكِينَ وَدِينِ الْمُسْلِمِينَ.

- (١) اجْعَلْهُ خُطْبَةً، وَمُحَاضَرَةً، وَدَرْسًا، وَكَلِمَةً، وَبَرْنًا مَجَّاءً فِي الْإِذَاعَةِ أَوْ التَّلَافُزِ، وَمَتْنًا حَفَظَهُ.
- (٢) **وَالنَّذْرُ عِنْدَ الْمُشْرِكِينَ يَخْتَلِفُ عَنِ النَّذْرِ عِنْدَ الْمُسْلِمِينَ؛ لِاخْتِلَافِ دِينِهِمَا؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْكَافُرُونَ: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون: ٦]. وَلَا اخْتِلَافَ طَرِيقَتَيْهَا فِي عِبَادَةِ اللَّهِ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْكَافُرُونَ: ﴿قُلْ يَتَّابِهَا الْكٰفِرُونَ ۖ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿١﴾ وَلَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۖ ﴿٢﴾ وَلَا أَنْتُمْ عٰبِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ [الكافرون: ١-٣]، فَطَرِيقَةُ الْمُشْرِكِينَ مِنَ الْأُمِّيِّينَ أَنَّهُمْ يَعْبُدُونَ إِلَهَيْنِ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ النَّحْلِ: ﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ﴾ [النحل: ٥١]، وَطَرِيقَةُ الْمُشْرِكِينَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ: أَنَّهُمْ يَعْبُدُونَ ثَلَاثَةً، فَيَقُولُونَ: اللَّهُ إِلَهٌ، وَجِبْرِيلُ إِلَهٌ، وَعِيسَى إِلَهٌ، فَنَحْنُ نَعْبُدُ الثَّلَاثَةَ، فَردَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ فِي سُورَةِ النَّسَاءِ؛ فَقَالَ: ﴿وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةً ۚ أَنْتَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌُ وَاحِدٌ﴾ [النساء: ١٧١]، وَردَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ فِي سُورَةِ الْمَائِدَةِ؛ فَقَالَ: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثٌ ثَلَاثَةٌ وَمِنْ إِلَهِ إِلَّا إِلَهٌُ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٧٣]، وَطَرِيقَةُ الْمُشْرِكِينَ مِنَ الْأُمِّيِّينَ: أَنَّهُمْ يَعْبُدُونَ اللَّهَ، وَيَعْبُدُونَ مَعَ اللَّهِ كُلَّ شَيْءٍ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ ص: ﴿وَقَالَ الْكٰفِرُونَ هَذَا سِحْرٌ كَذٰبٌ ﴿٤﴾ اجْعَلْ آلِهَةً إِلٰهًا مَعَهُ وَجِدًا﴾ [ص: ٤، ٥].**

=

قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ النَّسَاءِ: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٨٧].

فَأَمَّا النَّذْرُ فِي دِينِ الْمُشْرِكِينَ فَيَخْتَلِفُ عَنِ النَّذْرِ فِي دِينِ الْمُسْلِمِينَ؛
لَا خِتَافَ دِينَهُمَا؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْكَافِرُونَ: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾
[الكافرون: ٦].

وَلَا خِتَافَ طَرِيقَتَيْهِمَا فِي عِبَادَةِ اللَّهِ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْكَافِرُونَ: ﴿قُلْ
يَتَّبِعُوا الْكُفْرُوتَ ۖ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۚ﴾ [٢] وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا
أَعْبُدُ ۚ [الكافرون: ١-٣].

فَالْمُشْرِكُونَ يَنْذِرُونَ لِلَّهِ وَيَنْذِرُونَ لِغَيْرِ اللَّهِ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ:
﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا
لِلَّهِ بِرِزْقِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ
إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا
يَحْكُمُونَ﴾ [الأنعام: ١٣٦].

وَالْمُسْلِمُونَ لَا يَنْذِرُونَ إِلَّا لِلَّهِ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ
مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ﴾ [البقرة: ٢٧٠].

= وقد رَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ فِي سُورَةِ الْمُؤْمِنُونَ؛ فَقَالَ: ﴿وَأِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ۖ﴾ [٩] مَا أَخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلِيٍّ وَمَا
كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ ۖ [المؤمنون: ٩٠، ٩١]، وَأَمَّا طَرِيقَةُ الْمُسْلِمِينَ فِي الْعِبَادَةِ: فَالْمُسْلِمُونَ
لَا يَعْبُدُونَ إِلَّا إِيَّاهُ وَاحِدًا؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ التَّوْبَةِ: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا
وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ [التوبة: ٣١]، وَالْإِلَهَ الْوَاحِدَ الَّذِي يَعْبُدُهُ الْمُسْلِمُونَ هُوَ اللَّهُ؛ قَالَ اللَّهُ
فِي سُورَةِ الْيُونُسَ: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ﴾ [البينة: ٥]، وَقَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ ص: ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ
إِلَّا اللَّهُ﴾ [ص: ٦٥]، وَقَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وَأَمَّا طَرِيقَةُ النَّذْرِ؛ فَاَلْمُسْلِمُونَ يُخَصِّصُونَ جُزْءًا مِنْ أَمْوَالِهِمْ نَذْرًا لِلَّهِ.

عَنْ ثَابِتِ بْنِ الضَّحَّاكِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «إِنِّي نَذَرْتُ أَنْ أَنْحَرَ إِبِلًا، فَقَالَ: أَوْفِ بِنَذْرِكَ» [رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ ^(١) بِسَنَدٍ صَحِيحٍ].

وَالْمُشْرِكُونَ يُخَصِّصُونَ جُزْءًا مِنْ أَمْوَالِهِمْ نَذْرًا لِغَيْرِ اللَّهِ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ النحل: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ ^(٢) نَصِيبًا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ تَأْلَفُ لِسُلْطَنَ عَمَّا كُنْتُمْ تَقْتَرُونَ﴾ [النحل: ٥٦].

وَقَدْ خَصَّصَ الْمُشْرِكُونَ جُزْءًا مِنَ الْإِبِلِ وَالْمَزَارِعِ نَذْرًا لِغَيْرِ اللَّهِ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ: ﴿وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرِثٌ حِجْرٌ﴾ [الأنعام: ١٣٨].

فَخَصَّصُوا بَعْضَ الْإِبِلِ نَذْرًا لِغَيْرِ اللَّهِ.

فَمِنْهَا: مَا مَنَعُوا حَلَبَهُ، وَتَرَكَوا حَلِيبَهُ لِلطَّوَاغِيتِ؛ كَالْبَحِيرَةِ مِنَ الْإِبِلِ.

وَمِنْهَا: مَا مَنَعُوا رُكُوبَهُ، وَالتَّحْمِيلَ عَلَيْهِ، وَتَرَكَوا ظَهْرَهُ لِلطَّوَاغِيتِ؛

كَالسَّائِبَةِ مِنَ الْإِبِلِ، وَالْوَصِيلَةِ مِنَ الْإِبِلِ، وَالْحَامِ (فَحْلِ الْإِبِلِ).

فَرَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ؛ فَقَالَ فِي سُورَةِ الْمَائِدَةِ: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ ^(٣)

(١) «سُنَنُ أَبِي دَاوُدَ» [بَابُ مَا يُؤْمَرُ بِهِ مِنَ الْوَفَاءِ بِالنَّذْرِ].

(٢) ﴿وَيَجْعَلُونَ﴾ أَي: الْمُشْرِكُونَ.

﴿لِمَا لَا يَعْلَمُونَ﴾ أَيْ: لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ، وَهِيَ الْأَصْنَامُ.

﴿نَصِيبًا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ يَقُولُهُمْ: هَذَا لِلَّهِ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا.

(٣) وَالْبَحِيرَةُ هِيَ النَّاقَةُ الَّتِي تُرِكَ حَلِيبُهَا لِلطَّوَاغِيتِ فَلَا تُحْلَبُ.

وَلَا سَائِبَةٍ ^(١) وَلَا وَصِيلَةٍ ^(٢) وَلَا حَامٍ ^(٣) وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَقْتُرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ ۖ
وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿ [المائدة: ١٠٣].

وَحَرَّمُوا الْإِنْتِفَاعَ بِمَا خَصَّصُوهُ نَذْرًا لَاهْتِهِمْ مِنَ الْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ؛ قَالَ
اللَّهُ فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ: ﴿وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَمُ وَحَرِّثُ حِجْرٌ﴾ [الأنعام: ١٣٨]،
حِجْرٌ: أَيُّ حَرَامٍ، يَحْرُمُ الْإِنْتِفَاعُ بِحَلِيِّهَا، أَوْ ظَهْرُهَا.

وَاسْتَنْوَا الْإِنْتِفَاعَ بِأَوْلَادِ الْإِبِلِ الَّتِي خَصَّصُوا حَلِيِّهَا وَظَهْرَهَا
لِلطَّوَاعِيتِ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ: ﴿وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَمُ وَحَرِّثُ حِجْرٌ
لَا يَطْعُمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ بِرَعْمِهِمْ﴾ [الأنعام: ١٣٨].

فَمَا وَلَدَتْهُ الْإِبِلُ الْمَنْذُورَةُ لَاهْتِهِمْ حَيًّا أَحَلُّوا أَكْلَهُ وَمَنَافِعَهُ لِذُكُورِهِمْ
وَحَرَّمُوهُ عَلَى إِنَائِهِمْ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ: ﴿وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ
هَذِهِ الْأَنْعَمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا﴾ [الأنعام: ١٣٩].

وَمَا وَلَدَتْهُ الْإِبِلُ الْمَنْذُورَةُ لَاهْتِهِمْ مَيْتًا أَحَلُّوا أَكْلَهُ لِذُكُورِهِمْ وَإِنَائِهِمْ؛ قَالَ
اللَّهُ فِي نَفْسِ الْآيَةِ: ﴿وَإِنْ يَكُن مِّمَّةٌ فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ﴾ [الأنعام: ١٣٩].

(١) وَالسَّائِبَةُ هِيَ النَّاقَةُ الَّتِي تُرِكَ ظَهْرُهَا لِلطَّوَاعِيتِ؛ فَلَا تُرْكَبُ وَلَا يُحْمَلُ عَلَيْهَا شَيْءٌ.

(٢) وَالْوَصِيلَةُ هِيَ النَّاقَةُ الَّتِي تُرِكَ ظَهْرُهَا لِلطَّوَاعِيتِ؛ فَلَا تُرْكَبُ وَلَا يُحْمَلُ عَلَيْهَا شَيْءٌ، وَسُمِّيَتْ
وَصِيلَةً لِأَنَّهَا بَكَرٌ وَوَلَدَتْ أَنْثَى مَرَّتَيْنِ مُتَابِعَتَيْنِ.

(٣) وَالْحَامُ هُوَ فَحْلُ الْإِبِلِ الَّذِي تُرِكَ ظَهْرُهُ لِلطَّوَاعِيتِ؛ فَلَا يُرْكَبُ وَلَا يُحْمَلُ عَلَيْهِ شَيْءٌ.

فَرَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ فِي نَفْسِ الْآيَةِ؛ فَقَالَ: ﴿سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ^(١) إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام: ١٣٩].

وَأَمَّا أَنْوَاعُ النَّذْرِ فَثَلَاثَةٌ:

النَّوْعُ الْأَوَّلُ: نَذْرٌ لِغَيْرِ اللَّهِ.

قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِرِزْقِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا﴾ [الأنعام: ١٣٦].
وَقَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ: ﴿وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ﴾ [الأنعام: ١٣٨].

وَقَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ النحل: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ تَاللَّهِ لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ﴾ [النحل: ٥٦].

النَّوْعُ الثَّانِي: نَذْرٌ مَعْصِيَةِ اللَّهِ.

وَنَذْرٌ مَعْصِيَةِ اللَّهِ نَهَى اللَّهُ بِوَحْيِ السُّنَّةِ عَنِ الْوَفَاءِ بِهِ؛ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا
أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ نَذَرَ أَنْ يَعْصِيَ اللَّهَ فَلَا يَعْصِهِ» [رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ^(٢)].
وَعَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا وَفَاءَ لِنَذْرِ
فِي مَعْصِيَةٍ، وَلَا فِيمَا لَا يَمْلِكُ الْعَبْدُ» [رَوَاهُ مُسْلِمٌ^(٣)].

(١) أَي: وَصَفَهُمْ بِأَنْ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ.

(٢) «صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ» [بَابُ النَّذْرِ فِي الطَّاعَةِ].

(٣) «صَحِيحُ مُسْلِمٍ» [بَابُ لَا وَفَاءَ لِنَذْرِ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ، وَلَا فِيمَا لَا يَمْلِكُ الْعَبْدُ].

وَأَمَرَ بِكَفَّارَةِ يَمِينٍ عَنْهُ؛ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا نَذَرَ فِي مَعْصِيَةٍ، وَكَفَّارَتُهُ كَفَّارَةُ يَمِينٍ» [رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ^(١)، وَالتَّسَائِيُّ^(٢)، وَالتِّرْمِذِيُّ^(٣)، وَابْنُ مَاجَهَ^(٤)، وَأَحْمَدُ^(٥) بِسَنَدٍ صَحِيحٍ].

النُّوعُ الثَّالِثُ: نَذَرُ طَاعَةِ اللَّهِ.

فَنَذَرُ الطَّاعَةِ لِلَّهِ نَهَى اللَّهُ بِوَحْيِ السُّنَّةِ عَنْهُ؛ لِظَنِّ مَنْ نَذَرَ أَنْ نَذَرَهُ سَيُغَيِّرُ الْقَدَرَ؛ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَى عَنِ النَّذْرِ، وَقَالَ: «إِنَّهُ لَا يَرُدُّ مِنَ الْقَدَرِ، وَإِنَّمَا يُسْتَخْرَجُ بِهِ مِنَ الْبَخِيلِ» [رَوَاهُ مُسْلِمٌ^(٦)].

وَأَمَرَ اللَّهُ بِوَحْيِ السُّنَّةِ بِالْوَفَاءِ بِهِ؛ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ نَذَرَ أَنْ يُطِيعَ اللَّهَ فَلْيُطِعْهُ» [رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ^(٧)].

وَمَدَحَ اللَّهُ مَنْ أَوْفَى بِهِ؛ فَقَالَ فِي سُورَةِ الْإِنْسَانِ: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾ [الإنسان: ٧].

فَدِينُ الْمُسْلِمِينَ شَرَعَهُ اللَّهُ بِالْوَحْيِ، وَدِينُ الْمُشْرِكِينَ شَرَعَهُ الْمُشْرِكُونَ بِالرَّأْيِ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ: ﴿وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَمُ وَحَرِّثُ حَجْرٍ

(١) «سُنَنُ أَبِي دَاوُدَ» [بَابُ مَنْ رَأَى عَلَيْهِ كَفَّارَةً إِذَا كَانَ فِي مَعْصِيَةٍ].

(٢) «سُنَنُ النَّسَائِيِّ» [كَفَّارَةُ النَّذْرِ].

(٣) «التِّرْمِذِيُّ» [بَابُ مَا جَاءَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ لَا نَذَرَ فِي مَعْصِيَةٍ].

(٤) «سُنَنُ ابْنِ مَاجَهَ» [بَابُ النَّذْرِ فِي الْمَعْصِيَةِ].

(٥) «مُسْنَدُ أَحْمَدَ».

(٦) «مُسْلِمٌ» [بَابُ التَّهْنِئَةِ مِنَ النَّذْرِ، وَأَنَّهُ لَا يَرُدُّ شَيْئًا].

(٧) «صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ» [بَابُ النَّذْرِ فِي الطَّاعَةِ].

لَا يَطْعَمُهَا ^(١) إِلَّا مَنْ نَشَاءُ بِرِزْقِهِمْ وَأَنْعَمُ حُرِّمَتْ طَهُورُهَا ^(٢) وَأَنْعَمُ لَا يَذْكُرُونَ أَسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءً عَلَيْهِ ^(٣) سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْتُرُونَ ﴿

[الأنعام: ١٣٨].

فَلِلْمُسْلِمِينَ دِينٌ وَطَرِيقَةٌ، وَلِلْمُشْرِكِينَ دِينٌ وَطَرِيقَةٌ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْكَافِرُونَ: ﴿قُلْ يَتَّيِّهَا الْكَافِرُونَ ﴿١﴾ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَا أَنْتُمْ عِبُدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينٌ ﴿﴾ [سورة الكافرون].

وَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ الْمُسْلِمَ أَنْ يَرُدَّ عَلَى كُلِّ مَنْ يَدْعُوهُ لِدِينِ الْمُشْرِكِينَ؛ فَقَالَ فِي سُورَةِ الزُّمَرِ: ﴿قُلْ أَغْيَرَ اللَّهُ تَأْمُرُوَنِي أَعْبُدُ أَتْيَا الْجَاهِلُونَ﴾ [الزمر: ٦٤].

وَتَوَعَّدَ اللَّهُ كُلَّ مَنْ اسْتَبَدَلَ دِينَ الْمُسْلِمِينَ بِدِينِ الْمُشْرِكِينَ؛ فَقَالَ فِي سُورَةِ الْحَجَرِ: ﴿الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ [الحجر: ٩٦].
وَاللَّهُ أَعْلَمُ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.



- (١) لَا يَطْعَمُهَا مَعْنَاهَا: لَا يَأْكُلُ مِنْهَا مَنْ ذُكِرْنَا وَإِنَّا إِنَّا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ، أَيُّ: مَنْ حَدَدَهُ الْمُشْرِكُونَ؛ قَالَ اللَّهُ: ﴿وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِدُكُونِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا وَإِنْ يَكُنْ مَيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ﴾ [الأنعام: ١٣٩].
- (٢) حُرِّمَتْ طَهُورُهَا: هِيَ الْأَنْعَامُ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ رُكُوبَهَا وَالتَّحْمِيلَ عَلَيْهَا؛ قَالَ اللَّهُ: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ﴾ [المائدة: ١٠٣].
- (٣) وَأَنْعَامٌ لَا يَذْكُرُونَ أَسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا: هِيَ الْأَنْعَامُ الَّتِي يَذْبَحُونَهَا لِغَيْرِ اللَّهِ؛ قَالَ اللَّهُ: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يَذْكُرِ اللَّهُ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ﴾ [الأنعام: ١٢١].

الدَّرْسُ الْعَاشِرُ^(١)

اللَّهُ يَتَحَدَّثُ عَنِ السُّجُودِ فِي دِينِ الْمُشْرِكِينَ وَالسُّجُودِ فِي دِينِ الْمُسْلِمِينَ



الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ، عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ الْإِنْسَانَ، عَلَّمَهُ الْبَيَانَ، وَالصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ عَلَى الَّذِي لَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى، إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى، **أَمَّا بَعْدُ:**

فَسَوْفَ نَسْتَمِعُ إِلَى اللَّهِ لِيُحَدِّثَنَا عَنِ السُّجُودِ فِي دِينِ الْمُشْرِكِينَ^(٢) وَالسُّجُودِ فِي دِينِ الْمُسْلِمِينَ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ النَّسَاءِ: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾

[النساء: ٨٧].

- (١) اجْعَلْهُ خُطْبَةً، وَمُحَاضَرَةً، وَدَرْسًا، وَكَلِمَةً، وَبَرْنَامَجًا فِي الإِدَاعَةِ أَوِ التَّلَافُزِ، وَمَتْنًا حَفِظْهُ.
- (٢) **وَالسُّجُودُ عِنْدَ الْمُشْرِكِينَ يَخْتَلِفُ عَنِ السُّجُودِ عِنْدَ الْمُسْلِمِينَ؛ لاختلاف دينهما؛** قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْكَافُرُونَ: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون: ٦]؛ **وَلَا خِتْلَافَ طَرِيقَتَيْهَا فِي عِبَادَةِ اللَّهِ؛** قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْكَافُرُونَ: ﴿قُلْ بَنَاتِنَا الْكَافِرُونَ﴾ ❶ **لَا أَعْبُدُ مَا يَعْبُدُونَ ❷ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ** [الكافرون: ١-٣]، **طَرِيقَةُ الْمُشْرِكِينَ مِنَ الْأُمِّيِّينَ أَنَّهُمْ يَعْبُدُونَ إِلَهَيْنَ؛** قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ النَّحْلِ: ﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ﴾ [النحل: ٥١]، **وَطَرِيقَةُ الْمُشْرِكِينَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ: أَنَّهُمْ يَعْبُدُونَ ثَلَاثَةً،** فَيَقُولُونَ: **إِلَهُ، وَجَبْرِيْلُ إِلَهُ، وَعِيسَى إِلَهُ،** فَنَحْنُ نَعْبُدُ **الثَّلَاثَةَ،** فَرَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ. فِي سُورَةِ النَّسَاءِ؛ فَقَالَ: ﴿وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ أَنْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌُ وَاحِدٌ﴾ [النساء: ١٧١]، **وَرَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ فِي سُورَةِ الْمَائِدَةِ؛** فَقَالَ: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌُ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٧٣]، **وَطَرِيقَةُ الْمُشْرِكِينَ مِنَ الْأُمِّيِّينَ: أَنَّهُمْ يَعْبُدُونَ اللَّهَ، وَيَعْبُدُونَ مَعَ اللَّهِ كُلَّ شَيْءٍ؛** قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ ص: ﴿وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سِحْرٌ كَذَّابٌ ❸ أَجْعَلِ الْأَلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا﴾ [ص: ٤، ٥].

وَالسُّجُودُ فِي دِينِ الْمُشْرِكِينَ يَخْتَلِفُ عَنِ السُّجُودِ فِي دِينِ الْمُسْلِمِينَ؛
لَا خِتَالَافَ دِينَهُمَا؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْكَافِرُونَ: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾
 [الكافرون: ٦].

وَلَا خِتَالَافَ طَرِيقَتَهُمَا فِي عِبَادَةِ اللَّهِ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْكَافِرُونَ: ﴿قُلْ
 يَتَأْتِيَ الْكَافِرُونَ ﴿١﴾ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا
 أَعْبُدُ﴾ [الكافرون: ١-٣].

وَقَدْ تَحَدَّثَ اللَّهُ عَنِ السُّجُودِ، وَطَرِيقَتِهِ، وَأَنْوَاعِهِ فِي دِينِ الْمُشْرِكِينَ، وَدِينِ
 الْمُسْلِمِينَ.

فَأَمَّا السُّجُودُ فِي دِينِ الْمُشْرِكِينَ.

فَالْمُشْرِكُونَ يَسْجُدُونَ عِبَادَةً، وَيَرْكَعُونَ تَعْظِيمًا لِغَيْرِ اللَّهِ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ
 النَّمْلِ حِكَايَةً عَنِ الْهَذْهِدِ: ﴿وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ﴾ [النمل: ٢٤].

وَأَمَّا السُّجُودُ فِي دِينِ الْمُسْلِمِينَ؛ فَالْمُسْلِمُونَ لَا يَسْجُدُونَ عِبَادَةً،
 وَلَا يَرْكَعُونَ تَعْظِيمًا إِلَّا لِلَّهِ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ فُصِّلَتْ: ﴿وَأَسْجُدُوا لِلَّهِ﴾
 [فصلت: ٣٧].

= وَقَدْ رَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ فِي سُورَةِ الْمُؤْمِنُونَ؛ فَقَالَ: ﴿وَأَنَّهُمْ لَكَذِبُونَ﴾ ﴿٩٠﴾ مَا أَخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا
 كَانَتْ مَعَهُ مِنَ الْإِلَهِ ﴿[المؤمنون: ٩٠، ٩١]، وَأَمَّا طَرِيقَةُ الْمُسْلِمِينَ فِي الْعِبَادَةِ: فَالْمُسْلِمُونَ
 لَا يَعْبُدُونَ إِلَّا إِيَّاهُ وَاحِدًا؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ التَّوْبَةِ: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا
 وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ [التوبة: ٣١]، وَالْإِلَهِ الْوَاحِدُ الَّذِي يَعْبُدُهُ الْمُسْلِمُونَ هُوَ اللَّهُ؛ قَالَ اللَّهُ
 فِي سُورَةِ الْبَيِّنَةِ: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ﴾ [البينة: ٥]، وَقَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ ص: ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ
 إِلَّا اللَّهُ﴾ [ص: ٦٥]، وَقَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وَقَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ النَّجْمِ: ﴿فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا﴾ [النجم: ٦٢].

وَقَالَ فِي سُورَةِ الْعَلَقِ: ﴿وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾ [العلق: ١٩].

وَقَالَ فِي سُورَةِ الْحَجِّ: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا
وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ﴾ [الحج: ٧٧].

وَأَمَّا طَرِيقَةُ السُّجُودِ فِي دِينِ الْمُشْرِكِينَ فَتَخْتَلِفُ عَنْ طَرِيقَةِ
الْمُسْلِمِينَ .

فَالْمُشْرِكُونَ يَسْجُدُونَ لِلْمَخْلُوقِ عَلَى الْأَرْضِ عِبَادَةً لَهُ، وَيَرْكَعُونَ
لَهُ تَعْظِيمًا؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ فَصَّلَتْ: ﴿لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ
وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ﴾ [فصلت: ٣٧].

وَالْمُسْلِمُونَ لَا يَسْجُدُونَ عَلَى الْأَرْضِ عِبَادَةً إِلَّا لِلَّهِ، وَلَا يَرْكَعُونَ تَعْظِيمًا
إِلَّا لِلَّهِ.

قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ فَصَّلَتْ: ﴿وَاسْجُدُوا لِلَّهِ﴾ [فصلت: ٣٧].

وَقَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ النَّجْمِ: ﴿فَاسْجُدُوا لِلَّهِ﴾ [النجم: ٦٢].

وَقَالَ فِي سُورَةِ الْحَجِّ: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا
وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ﴾ [الحج: ٧٧].

فَالْمُسْلِمُونَ فِي جَمِيعِ الشَّرَائِعِ السَّامِيَةِ غَيْرِ الْمُحَرَّفَةِ، لَا يَسْجُدُونَ عِبَادَةً،
وَلَا يَرْكَعُونَ تَعْظِيمًا إِلَّا لِلَّهِ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ مَرْيَمَ: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ

عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّنَ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴿٥٨﴾ [مريم: ٥٨].

فَالْمُسْلِمُونَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَا يَسْجُدُونَ عِبَادَةً، وَلَا يَرْكَعُونَ تَعْظِيمًا إِلَّا
لِلَّهِ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ: ﴿مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ
اللَّهِ ءَاتَاءَ آلِيلٍ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾ [آل عمران: ١١٣].

وَقَالَ فِي سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ: ﴿يَمْرِيءُ أَقْنِي لِرَبِّكِ وَأَسْجُدِي وَأَرْكَعِي مَعَ
الرَّكَعِينَ﴾ [آل عمران: ٤٣].

وَالْمُسْلِمُونَ مِنْ أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَسْجُدُونَ عِبَادَةً، وَلَا يَرْكَعُونَ
تَعْظِيمًا إِلَّا لِلَّهِ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْفُرْقَانِ: ﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا
وَقِيَمًا﴾ [الفرقان: ٦٤].

وَقَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْفَتْحِ: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ
رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكْعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾ [الفتح: ٢٩].

وَأَمَّا أَنْوَاعُ السُّجُودِ..

فَنَوْعَانِ: سُجُودُ عِبَادَةٍ، وَسُجُودُ تَحِيَّةٍ.

فَأَمَّا سُجُودُ الْعِبَادَةِ وَالتَّعْظِيمِ.

فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ سُجُودَ الْعِبَادَةِ وَالتَّعْظِيمِ لِغَيْرِ اللَّهِ فِي جَمِيعِ الشَّرَائِعِ السَّائِغَةِ؛
فَقَالَ فِي سُورَةِ الزُّخْرَفِ: ﴿وَسَلِّ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجْعَلْنَا مِنْ
دُونِ الرَّحْمَنِ إِلَهَةً يُعْبَدُونَ﴾ [الزخرف: ٤٥].

وَأَمَّا سُجُودُ التَّحِيَّةِ وَالسَّلَامِ عَلَى الْمَخْلُوقِ، وَهُوَ الْإِيْمَاءُ بِالرُّكُوعِ مِنْ غَيْرِ عِبَادَةٍ وَلَا تَعْظِيمٍ.

فَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ الْمَلَائِكَةَ أَنْ تُحِيبِي بِهِ آدَمَ؛ فَقَالَ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا﴾ [البقرة: ٣٤].

وَأَحَلَّهُ اللَّهُ لِلْمُسْلِمِينَ فِي شَرِيعَةٍ مِنْ قَبْلِنَا؛ فَقَالَ فِي سُورَةِ يُوسُفَ: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا﴾ [يوسف: ١٠٠].

وَحَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ فِي شَرِيعَتِنَا؛ عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَفَلَا نَسْجُدُ لَكَ؟ قَالَ: «لَا» [رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ وَالتِّرْمِذِيُّ] (١).

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا يَصْلُحُ لِبَشَرٍ أَنْ يَسْجُدَ لِبَشَرٍ» [رَوَاهُ أَحْمَدُ] (٢).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَسْجُدَ لِأَحَدٍ» [رَوَاهُ ابْنُ جَبَانَ] (٣).

فَضَرَقَ بَيْنَ أَنْوَاعِ السُّجُودِ..

فَإِذَا رَأَيْتَ الْمُسْلِمِينَ مِنْ أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ يَسْجُدُونَ لِلْمَخْلُوقِينَ عِبَادَةً، وَيَرْكَعُونَ لَهُمْ تَعْظِيمًا؛ فَاعْلَمْ أَنَّهُمْ قَدْ اسْتَبَدَّلُوا دِينَ الْمُسْلِمِينَ بِدِينِ الْمُشْرِكِينَ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الزُّمَرِ: ﴿قُلْ أَغْيَرَ اللَّهُ تَأْمُرُوَنِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ﴾ [الزمر: ٦٤].

(١) «الْمُعْجَمُ الْكَبِيرُ» لِلطَّبْرَانِيِّ.

(٢) «مُسْنَدُ أَحْمَدَ».

(٣) «صَحِيحُ ابْنِ جَبَانَ» [ذَكَرَ تَعْظِيمَ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا حَقَّ الزَّوْجِ عَلَى رَوْجَتِهِ].

وَإِذَا رَأَيْتَ الْمُسْلِمِينَ مِنْ أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ يَسْجُدُونَ لِلْمَخْلُوقِينَ حَيَّةً وَسَلَامًا؛
فَاعْلَمْ أَنَّهُمْ قَدْ اسْتَبَدَّلُوا شَرِيعَةَ الْمُسْلِمِينَ مِنْ أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النَّاسِخَةَ
بِشَرِيعَةٍ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ الْمَنْسُوخَةِ.

فَشَرَائِعُ الْمُسْلِمِينَ قَبْلَنَا قَدْ نَسَخَهَا اللَّهُ، وَبَدَّلَهَا بِشَرِيعَتِنَا؛ فَقَالَ فِي سُورَةِ
الْمَائِدَةِ: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ
وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨].

وَأَمَرَ اللَّهُ مَنْ قَبْلَنَا بِاتِّبَاعِ شَرِيعَتِنَا؛ فَقَالَ فِي سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ: ﴿وَقُلْ
لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ ءَاسَلَمْتُمْ فَإِنْ أَسَلَمُوا فَقَدْ أَهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا
فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ [آل عمران: ٢٠].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ
بِيَدِهِ لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٍّ وَلَا نَصْرَانِيٍّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ
بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ؛ إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ» [رواه مسلم] (١).

فَلِلْمُسْلِمِينَ دِينٌ وَطَرِيقَةٌ، وَلِلْمُشْرِكِينَ دِينٌ وَطَرِيقَةٌ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ
الْكَافُرُونَ: ﴿قُلْ يَتَأَيُّهَا الْكَافِرُونَ ١ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ٢
وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ٣ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مِمَّا عَبْدْتُمْ ٤ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ
مَا أَعْبُدُ ٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [سورة الكافرون].

(١) «صَحِيحُ مُسْلِمٍ» [بابُ وُجُوبِ الْإِيمَانِ بِرِسَالَةِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى جَمِيعِ النَّاسِ، وَنَسْخِ الْمَلَلِ
بِمِلَّتِهِ].

وَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ الْمُسْلِمَ أَنْ يَرُدَّ عَلَى كُلِّ مَنْ يَدْعُوهُ لِدِينِ الْمُشْرِكِينَ؛ فَقَالَ فِي
سُورَةِ الزُّمَرِ: ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ﴾ [الزمر: ٦٤].

وَتَوَعَّدَ اللَّهُ كُلَّ مَنْ اسْتَبَدَلَ دِينَ الْمُسْلِمِينَ بِدِينِ الْمُشْرِكِينَ؛ فَقَالَ فِي سُورَةِ
الْحَجَرِ: ﴿الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ [الحجر: ٩٦].

وَاللَّهُ أَعْلَمُ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّم



الدَّرْسُ الْحَادِي عَشَرَ^(١)

اللَّهُ يَتَحَدَّثُ عَنِ السَّحْرِ فِي دِينِ الْمُشْرِكِينَ وَالسَّحْرِ فِي دِينِ الْمُسْلِمِينَ



الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ، عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي
خَلَقَ الْإِنْسَانَ، عَلَّمَهُ الْبَيَانَ، وَالصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ عَلَى الَّذِي لَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى،
إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى، **أَمَّا بَعْدُ:**

فَسَوْفَ نَسْتَمِعُ إِلَى اللَّهِ لِيُحَدِّثَنَا عَنِ السَّحْرِ وَالسَّاحِرِ فِي دِينِ الْمُشْرِكِينَ
وَدِينِ الْمُسْلِمِينَ.

قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ النَّسَاءِ: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٨٧].

فَأَمَّا السَّحْرُ عِنْدَ الْمُشْرِكِينَ فَيَخْتَلِفُ عَنِ السَّحْرِ عِنْدَ الْمُسْلِمِينَ.

لَا خِتَافَ دِينِهِمَا؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْكَافُرُونَ: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾

[الكافرون: ٦].

وَلَا خِتَافَ طَرِيقَتِهِمَا فِي عِبَادَةِ اللَّهِ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْكَافُرُونَ: ﴿قُلْ

يَتَأْتِيَ الْكَافِرُونَ ﴿١﴾ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا

أَعْبُدُ﴾ [الكافرون: ١-٣].

(١) اجْعَلْهُ خُطْبَةً، وَمُحَاصَرَةً، وَدَرْسًا، وَكَلِمَةً، وَبَرْنَاجًا فِي الإِذَاعَةِ أَوْ التَّلْفَازِ، وَمَتْنًا حَفِظَهُ.

فَالسَّحَرُ فِي دِينِ الْمُشْرِكِينَ أَحَلَّهُ الْمُشْرِكُونَ بِالرَّأْيِ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ
الْبَقَرَةِ: ﴿وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيْطَانُ عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيْمَنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ
وَلَكِنَّ الشَّيْطَانَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾ [البقرة: ١٠٢].

وَالسَّحَرُ فِي دِينِ الْمُسْلِمِينَ حَرَّمَهُ اللَّهُ بِالْوَحْيِ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْفَلَقِ:
﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴿١﴾ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا
وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾ [الفلق: ١-٤].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «اجْتَنِبُوا الْمُوبِقَاتِ:
الشُّرْكَ بِاللَّهِ، وَالسُّحْرُ» [رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ] (١).

وَطَرِيقَةُ الْمُشْرِكِينَ فِي التَّعَامُلِ مَعَ السَّحَرِ تَخْتَلِفُ عَنْ طَرِيقَةِ
الْمُسْلِمِينَ.

فَالْمُشْرِكُونَ:

يَتَعَلَّمُونَ السَّحْرَ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا
يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ﴾ [البقرة: ١٠٢].

وَقَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ: ﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ﴾
[البقرة: ١٠٢].

وَيَعْلَمُونَ السَّحْرَ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ: ﴿وَلَكِنَّ الشَّيْطَانَ
كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾ [البقرة: ١٠٢].

(١) «صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ» [بَابُ: الشُّرْكَ وَالسُّحْرُ مِنَ الْمُوبِقَاتِ].

وَقَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ [البقرة: ١٠٢].

وَالْمُشْرِكُونَ يَعْمَلُونَ بِالسِّحْرِ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ طه: ﴿إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سِحْرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾ [طه: ٦٩].

وَقَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ﴾ [البقرة: ١٠٢].

وَالْمُشْرِكُونَ يَحْلُونَ السِّحْرَ بِالسِّحْرِ؛ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ النَّشْرَةِ فَقَالَ: «هُوَ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ». [رواه أبو داود^(١) بِسَنَدٍ صَحِيحٍ].

وَالْمُشْرِكُونَ يَطْلُبُونَ حَلَّ السِّحْرِ مِنَ السَّحَرَةِ؛ عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ الْحَكَمِ السُّلَمِيِّ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أُمُورًا كُنَّا نَصْنَعُهَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ، كُنَّا نَأْتِي الْكُهَّانَ، قَالَ: «فَلَا تَأْتُوا الْكُهَّانَ» [رواه مسلم^(٢)].

وَعَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ الْحَكَمِ السُّلَمِيِّ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي حَدِيثُ عَهْدٍ بِجَاهِلِيَّةٍ، وَقَدْ جَاءَ اللَّهُ بِالْإِسْلَامِ، وَإِنَّ مِنَّا رِجَالًا يَأْتُونَ الْكُهَّانَ، قَالَ: «فَلَا تَأْتِهِمْ» [رواه مسلم^(٣)].

(١) «سُنَنُ أَبِي دَاوُدَ»: [بَابُ فِي النَّشْرَةِ].

(٢) «صَحِيحُ مُسْلِمٍ»: [بَابُ تَحْرِيمِ الْكُهَّانَةِ وَإِتْيَانِ الْكُهَّانِ].

(٣) «صَحِيحُ مُسْلِمٍ»: [بَابُ تَحْرِيمِ الْكَلَامِ فِي الصَّلَاةِ، وَنَسْخِ مَا كَانَ مِنْ إِبَاحَتِهِ].

وَالْمُشْرِكُونَ يَجْعَلُونَ السَّاحِرَ شَرِيكًا لِلَّهِ فِي مِلْكِ كَشْفِ الضَّرِّ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْإِسْرَاءِ: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضَّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا﴾ [الإسراء: ٥٦].

وَأَمَّا الْمُسْلِمُونَ.

فَلَا يَتَعَلَّمُونَ السَّحْرَ؛ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «اجْتَنِبُوا الْمُؤَبَقَاتِ: الشُّرْكَ بِاللَّهِ، وَالسَّحْرُ» [رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ] ^(١).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ عَقَدَ عُقْدَةً، ثُمَّ نَفَثَ فِيهَا: فَقَدْ سَحَرَ، وَمَنْ سَحَرَ فَقَدْ أَشْرَكَ» [رَوَاهُ النَّسَائِيُّ] ^(٢) بِسَنَدٍ ضَعِيفٍ.

وَلَا يُعَلَّمُونَ السَّحْرَ؛ عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ سَحَرَ» [رَوَاهُ الْبَزَّازُ بِسَنَدٍ جَيِّدٍ].

وَلَا يَطْلُبُونَ حَلَّ السَّحْرِ بِالسَّحْرِ؛ عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ الْحَكَمِ السُّلَمِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا تَأْتُوا الْكُهَانَ» [رَوَاهُ مُسْلِمٌ] ^(٣).

وَعَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ الْحَكَمِ السُّلَمِيِّ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي حَدِيثُ عَهْدٍ بِجَاهِلِيَّةٍ، وَقَدْ جَاءَ اللَّهُ بِالْإِسْلَامِ، وَإِنَّ مِنَّا رَجَالًا يَأْتُونَ الْكُهَانَ، قَالَ: «فَلَا تَأْتِهِمْ» [رَوَاهُ مُسْلِمٌ] ^(٤).

(١) «صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ»: بَابُ: الشُّرْكَ وَالسَّحْرُ مِنَ الْمُؤَبَقَاتِ.

(٢) «سُنَنُ النَّسَائِيِّ»: [الْحُكْمُ فِي السَّحَرَةِ].

(٣) «صَحِيحُ مُسْلِمٍ»: [بَابُ تَحْرِيمِ الْكُهَانَةِ وَإِثْنَانِ الْكُهَانَ].

(٤) «صَحِيحُ مُسْلِمٍ»: [بَابُ تَحْرِيمِ الْكَلَامِ فِي الصَّلَاةِ، وَنَسْخِ مَا كَانَ مِنْ إِبَاحَتِهِ].

وَعَنْ بَعْضِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ أَتَى عَرَافًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ؛ لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً» [رَوَاهُ مُسْلِمٌ] ^(١).

وَعَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَيْسَ مِنْنَا مَنْ تَكْهَنَ أَوْ تَكْهَّنَ لَهُ، أَوْ سَحَرَ أَوْ سُحِرَ لَهُ، وَمَنْ عَقَدَ عُقْدَةً وَمَنْ أَتَى كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ؛ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» [رَوَاهُ الْبُزَارِيُّ بِسَنَدٍ جَيِّدٍ].

وَلَا يَطْلُبُونَ حَلَ السَّحْرِ مِنْ غَيْرِ اللَّهِ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ يُونُسَ: ﴿وَمَنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ﴾ [يُونُسَ: ١٠٧].

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا مَرِضَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِهِ نَفَثَ عَلَيْهِ بِالْمُعَوِّذَاتِ [رَوَاهُ مُسْلِمٌ] ^(٢).

فَاللَّهُ وَحْدَهُ هُوَ الَّذِي يَمْلِكُ إِبْطَالَ السَّحْرِ عِنْدَ الْمُسْلِمِينَ فِي جَمِيعِ شَرَائِعِ اللَّهِ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ يُونُسَ: ﴿فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السَّحْرَ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [يُونُسَ: ٨١].

وَقَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْأَعْرَافِ: ﴿فَوْقَ الْحَقِّ وَبَطْلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١١٨].

وَقَدْ سَحَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَمْ يَسْأَلْ حَلَ سِحْرِهِ مِنْ غَيْرِ اللَّهِ؛ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: سَحَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حَتَّى كَانَ يُحْيِلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ يَفْعَلُ الشَّيْءَ

(١) «صَحِيحُ مُسْلِمٍ»: [بَابُ تَحْرِيمِ الْكُهَانَةِ وَإِثْنَانِ الْكُهَانِ].

(٢) «صَحِيحُ مُسْلِمٍ»: [بَابُ رُقِيَةِ الْمَرِيضِ بِالْمُعَوِّذَاتِ وَالتَّقَاتِ].

وَمَا يَفْعَلُهُ، حَتَّى إِذَا كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ، أَوْ ذَاتَ لَيْلَةٍ، دَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ دَعَا، ثُمَّ دَعَا، ثُمَّ قَالَ: أَتَانِي رَجُلَانِ: فَقَعَدَ أَحَدُهُمَا عِنْدَ رَأْسِي وَالْآخَرُ عِنْدَ رِجْلِي، فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِلْآخَرِ: مَا وَجَعَ الرَّجُلُ؟ قَالَ: مَطْبُوبٌ، قَالَ: وَمَنْ طَبَّهُ؟ قَالَ: لَبِيدُ بْنُ الْأَعْصَمِ، قَالَ: فِي مَادَا؟ قَالَ: فِي مُشْطٍ وَمُشَاطَةٍ وَجُفٍّ طَلَعَةٍ ذَكَرَ، قَالَ: فَأَيْنَ هُوَ؟ قَالَ: فِي بئرِ ذَرَوَانَ؛ فَخَرَجَ إِلَيْهَا النَّبِيُّ ﷺ، ثُمَّ رَجَعَ فَقَالَ لِعَائِشَةَ حِينَ رَجَعَ: «نَخْلُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ». فَقُلْتُ: اسْتَخَرَجْتَهُ؟ فَقَالَ: «لَا، أَمَّا أَنَا فَقَدْ شَفَانِي اللَّهُ، وَخَشِيتُ أَنْ يُثِيرَ ذَلِكَ عَلَى النَّاسِ شَرًّا» ثُمَّ دُفِنَتِ الْبئرُ. [رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ] (١).

فَأَرْسَلَ اللَّهُ إِلَيْهِ جِبْرِيلَ فَرَقَاهُ؛ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ جِبْرِيلَ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ! اشْتَكَيْتَ؟ فَقَالَ: «نَعَمْ» قَالَ: «بِاسْمِ اللَّهِ أَرْقِيكَ، مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يُؤْذِيكَ، مِنْ شَرِّ كُلِّ نَفْسٍ أَوْ عَيْنٍ حَاسِدٍ، اللَّهُ يَشْفِيكَ، بِاسْمِ اللَّهِ أَرْقِيكَ» [رَوَاهُ مُسْلِمٌ] (٢).

وَلَا يُوجَدُ تَعَارُضٌ بَيْنَ إِثْبَاتِ السَّحْرِ لِلنَّبِيِّ ﷺ فِي السُّنَّةِ، وَنَفْيِ السَّحْرِ عَنْهُ فِي الْقُرْآنِ.

فَسِحْرُ الْعَقْلِ الَّذِي يُؤَدِّي إِلَى الْجُنُونِ، وَالَّذِي اتَّهَمَ الْمُشْرِكُونَ بِهِ النَّبِيَّ هُوَ الَّذِي نَفَاهُ اللَّهُ عَنْهُ؛ فَقَالَ فِي سُورَةِ الْفُرْقَانِ: ﴿وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا﴾ (٨) أَنْظِرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَلَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿﴾ [الفرقان: ٨، ٩].

(١) «صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ» [بَابُ صِفَةِ إِبْلِيسَ وَجُنُودِهِ].

(٢) «صَحِيحُ مُسْلِمٍ» [بَابُ الطَّبِّ وَالْمَرَضِ وَالرَّقَى].

وَسِحْرُ الْبَدَنِ الَّذِي هُوَ مَرَضٌ مِنْ أَمْرَاضِ الْبَدَنِ - مِمَّا لَا أَثَرَ لَهُ عَلَى الْعَقْلِ - هُوَ الَّذِي أَثْبَتَهُ اللَّهُ لَهُ؛ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «سَحَرَ حَتَّى كَانَ يَرَى أَنَّهُ يَأْتِي النِّسَاءَ وَلَا يَأْتِيَهُنَّ» [رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ] ^(١).

وَسِحْرُ الْبَدَنِ غَيْرُ سِحْرِ الْعَقْلِ.

فَسِحْرُ الْعَقْلِ: جُنُونٌ عَصَمَ اللَّهُ مِنْهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْمُؤْمِنُونَ: ﴿أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُم بِالْحَقِّ وَكَثُرَتْ لَهُمُ الْخُشُوعَاتُ﴾ [المؤمنون: ٧٠].

وَقَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ سَبَأٍ: ﴿أَفَتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ﴾ [سبأ: ٨].

وَسِحْرُ الْبَدَنِ: مَرَضٌ لَمْ يَعْصِمِ اللَّهُ مِنْهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ مَسْعُودٍ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنِّي أُوعَكُ كَمَا يُوعَكُ رَجُلَانِ مِنْكُمْ» [رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ] ^(٢)، وَمُسْلِمٌ ^(٣).

وَقَدْ ظَنَّ بَعْضُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ أَهْلِ الْكَلَامِ الَّذِينَ دَرَسُوا مَعْرِفَةَ الدِّينِ عَلَى الْفَلَاسِفَةِ أَنَّ فِيهِ تَعَارُضًا بَيْنَ الْآيَةِ وَالْحَدِيثِ؛ مِمَّا اضْطَرَّ لَهُمْ إِلَى انْكَارِ صِحَّةِ حَدِيثِ سِحْرِ الْبَدَنِ؛ لِأَنَّهُمْ لَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ سِحْرِ الْبَدَنِ، وَسِحْرِ الْعَقْلِ.

وَأَمَّا السَّاحِرُ فِي دِينِ الْمُشْرِكِينَ فَيَخْتَلِفُ عَنِ السَّاحِرِ فِي دِينِ الْمُسْلِمِينَ.

(١) «صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ»: [بَابٌ: هَلْ يَسْتَخْرِجُ السَّحَرُ؟].

(٢) «صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ»: [بَابٌ وَضَعَ الْيَدَ عَلَى الْمَرِيضِ].

(٣) «صَحِيحُ مُسْلِمٍ»: [بَابُ ثَوَابِ الْمُؤْمِنِ فِيمَا يُصِيبُهُ].

فَالسَّاحِرُ فِي دِينِ الْمُشْرِكِينَ مُقَرَّبٌ وَيُعْطَى أَجْرًا عَلَى سِحْرِهِ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الشُّعَرَاءِ: ﴿فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَإِنَّا لَنَا أَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ﴾ [الشعراء: ٤١، ٤٢].

وَالسَّاحِرُ فِي دِينِ الْمُسْلِمِينَ كَافِرٌ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَكَرُوا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٠٢].

وَمُبْعَدٌ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ طه: ﴿وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾ [طه: ٦٩].

وَمُحَارِبٌ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ، وَمُفْسِدٌ فِي الْأَرْضِ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْمَائِدَةِ: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِّنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٣].

وَيُقْتَلُ إِذَا ثَبَتَ سِحْرُهُ بِالْإِعْتِرَافِ، أَوْ الْبَيِّنَةِ؛ عَنْ بَجَالَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: كُنْتُ كَاتِبًا لِّجَزْءِ بْنِ مُعَاوِيَةَ عَمِّ الْأَحْنَفِ بْنِ قَيْسٍ، إِذْ جَاءَنَا كِتَابُ عُمَرَ قَبْلَ مَوْتِهِ بِسَنَةِ: «اقْتُلُوا كُلَّ سَاحِرٍ»؛ فَقَتَلْنَا فِي يَوْمٍ ثَلَاثَةَ سَوَاحِرَ.

[رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ ^(١) بِسَنَدٍ صَحِيحٍ]

(١) «سُنَنُ أَبِي دَاوُدَ»: [بَابٌ فِي اخْتِذِ الْجَزْيَةِ مِنَ الْمَجُوسِ].

وَعَنْ جُنْدُبٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «حَدَّثَ السَّاحِرُ ضَرْبَةً
بِالسَّيْفِ» [رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ ^(١) بِسَنَدٍ ضَعِيفٍ مَرْفُوعًا، وَصَحِّحَ مُوقُفًا].

فَلِلْمُسْلِمِينَ دِينٌ وَطَرِيقَةٌ، وَلِلْمُشْرِكِينَ دِينٌ وَطَرِيقَةٌ.

قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْكَافِرُونَ: ﴿قُلْ يَتَأْتِيهَا الْكَاثِرُونَ ۝ (١) لَا أَعْبُدُ
مَا تَعْبُدُونَ ۝ (٢) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۝ (٣) وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ ۝ (٤)
وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۝ (٥) لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [سورة الكافرون].

وَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ الْمُسْلِمَ أَنْ يَرُدَّ عَلَى كُلِّ مَنْ يَدْعُوهُ لِدِينِ الْمُشْرِكِينَ؛ فَقَالَ فِي
سُورَةِ الزُّمَرِ: ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ﴾ [الزمر: ٦٤].

وَتَوَعَّدَ اللَّهُ كُلَّ مَنْ اسْتَبَدَلَ دِينَ الْمُسْلِمِينَ بِدِينِ الْمُشْرِكِينَ؛ فَقَالَ فِي سُورَةِ
الْحَجَرِ: ﴿الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ [الحجر: ٩٦].
وَاللَّهُ أَعْلَمُ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.



(١) «سُنَنُ التِّرْمِذِيِّ»: [بَابُ مَا جَاءَ فِي حَدِّ السَّاحِرِ].

الدَّرْسُ الثَّانِي عَشَرَ^(١)

اللّٰهُ يَتَحَدَّثُ عَنِ الْأَوْلِيَاءِ فِي دِينِ الْمُشْرِكِينَ وَالْأَوْلِيَاءِ فِي دِينِ الْمُسْلِمِينَ



الْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ، عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ، الْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي خَلَقَ الْإِنْسَانَ، عَلَّمَهُ الْبَيَانَ، وَالصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ عَلَى الَّذِي لَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى، إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى، آمَّا بَعْدُ:

فَسَوْفَ نَسْتَمِعُ إِلَى اللَّهِ لِيُحَدِّثَنَا عَنِ الْأَوْلِيَاءِ^(٢) فِي دِينِ الْمُشْرِكِينَ،
وَالْأَوْلِيَاءِ فِي دِينِ الْمُسْلِمِينَ.

(١) اجْعَلْهُ حُطْبَةً، وَمُحَاصَرَةً، وَدَرْسًا، وَكَلِمَةً، وَبَرْنًا جَا فِي الْإِدَاعَةِ أَوْ التَّلْفَازِ، وَمَتْنًا حَقَّظُهُ.

(٢) وَالْأَوْلِيَاءُ عِنْدَ الْمُشْرِكِينَ يَخْتَلِفُونَ عَنِ الْأَوْلِيَاءِ عِنْدَ الْمُسْلِمِينَ؛ لِاخْتِلَافِ دِينِهِمَا؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْكَافُرُونَ: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون: ٦]؛ وَلَا اخْتِلَافَ طَرِيقَتَيْهَا فِي عِبَادَةِ اللَّهِ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْكَافُرُونَ: ﴿قُلْ يَتَّخِذُهَا الْكَافِرُونَ ۖ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۚ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ [الكافرون: ١-٣]، فَطَرِيقَةُ الْمُشْرِكِينَ مِنَ الْأُمِّيِّينَ أَنَّهُمْ يَعْبُدُونَ إِلَهَيْنِ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ النَّحْلِ: ﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا نَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَحْدٌ﴾ [النحل: ٥١]، وَطَرِيقَةُ الْمُشْرِكِينَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ: أَنَّهُمْ يَعْبُدُونَ ثَلَاثَةً، فَيَقُولُونَ: اللَّهُ إِلَهُ، وَجِبْرِيلُ إِلَهُ، وَعِيسَى إِلَهُ، فَنَحْنُ نَعْبُدُ الثَّلَاثَةَ، فَرَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ فِي سُورَةِ النَّسَاءِ؛ فَقَالَ: ﴿وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةً ۚ أَنْتَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَحْدٌ﴾ [النساء: ١٧١]، وَرَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ فِي سُورَةِ الْمَائِدَةِ؛ فَقَالَ: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثُ ثَلَاثٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَحْدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٧٣]، وَطَرِيقَةُ الْمُشْرِكِينَ مِنَ الْأُمِّيِّينَ: أَنَّهُمْ يَعْبُدُونَ اللَّهَ، وَيَعْبُدُونَ مَعَ اللَّهِ كُلَّ شَيْءٍ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ ص: ﴿وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سِحْرٌ كَذَّابٌ﴾ [ص: ٤، ٥].

=



قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ النَّسَاءِ: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٨٧].

وَالأُولِيَاءُ عِنْدَ الْمُشْرِكِينَ يَخْتَلِفُونَ عَنِ الْأُولِيَاءِ عِنْدَ الْمُسْلِمِينَ فِي تَعْرِيفِهِمْ،
وَعَلَامَاتِهِمْ، وَمُعَامَلَتِهِمْ، وَكَرَامَاتِهِمْ.

لَا خِتْلَافَ دِينِهِمَا؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْكَافِرُونَ: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾
[الكافرون: ٦]؛ وَلَا خِتْلَافَ طَرِيقَتَيْهِمَا فِي عِبَادَةِ اللَّهِ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْكَافِرُونَ:
﴿قُلْ يَتَايَأُهَا الْكُفْرُوتُ ۖ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۚ﴾ (٢) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ
مَا أَعْبُدُ ﴿[الكافرون: ١-٣].

فَأَمَّا تَعْرِيفُ الْأُولِيَاءِ.

فَالأُولِيَاءُ فِي دِينِ الْمُشْرِكِينَ هُمُ الَّذِينَ يَعْبُدُونَهُمْ مَعَ اللَّهِ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ
الزَّمَرِ: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ ۖ﴾ (١) مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى
اللَّهِ ﴿[الزمر: ٣].

= وَقَدْ رَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ فِي سُورَةِ الْمُؤْمِنُونَ؛ فَقَالَ: ﴿وَأَنَّهُمْ لَكَذِبُونَ ۖ﴾ (١٠) مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلِيٍّ وَمَا
كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهِ ﴿[المؤمنون: ٩٠، ٩١]، وَأَمَّا طَرِيقَةُ الْمُسْلِمِينَ فِي الْعِبَادَةِ: فَأُلْسِلُومُونَ
لَا يَعْبُدُونَ إِلَّا إِيَّاهُ وَاحِدًا؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ التَّوْبَةِ: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا
وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ [التوبة: ٣١]، وَالْإِلَهِ الْوَاحِدُ الَّذِي يَعْبُدُهُ الْمُسْلِمُونَ هُوَ اللَّهُ؛ قَالَ اللَّهُ
فِي سُورَةِ الْبَيِّنَةِ: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ﴾ [البينة: ٥]، وَقَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ ص: ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ
إِلَّا اللَّهُ﴾ [ص: ٦٥]، وَقَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

(١) ﴿أَوْلِيَاءَ﴾ مَعْنَاهَا: أَرْبَابًا وَآلِهَةً كَمَا فَسَّرَهَا قَوْلُهُمْ: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ﴾ .
وَالأُولِيَاءُ هُمْ كُلُّ مَنْ جَعَلُوهُمْ أَرْبَابًا وَآلِهَةً مَعَ اللَّهِ.
سِوَاهُ كَانَ الْأُولِيَاءُ مِنَ الْأَشْخَاصِ؛ قَالَ فِي سُورَةِ التَّوْبَةِ: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَابَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ
أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا
وَاحِدًا﴾ [التوبة: ٣١].

= وَقَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ نُوحٍ: ﴿وَقَالُوا لَا نَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا نَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾
[نوح: ٢٣].

وَقَالَ اللَّهُ: ﴿أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِ أَوْلِيَائِهِ إِنَّا أَعَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا﴾
[الكهف: ١٠٢].

أَوْ كَانَ الْأَوْلِيَاءُ مِنَ الشَّيَاطِينِ؛ قَالَ اللَّهُ: ﴿إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ
وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ٣٠].

وَقَالَ اللَّهُ: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾
[الكهف: ٥٠].

أَوْ كَانَ الْأَوْلِيَاءُ مِنَ الْأَصْنَامِ وَالْأَوْثَانِ؛ قَالَ اللَّهُ: ﴿قُلْ أَفَاتَخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ
نَعْمًا وَلَا صَرًْا﴾ [الرعد: ١٦].

وَقَالَ اللَّهُ: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا
وَلِئِنْ أَهَرَبَ الْبُيُوتُ لَبِثَتْ الْعَنْكَبُوتُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤١].

وَقَالَ اللَّهُ: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ اللَّهُ حَفِظُ عَلَيْهِمْ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾
[الشورى: ٦].

وَقَالَ اللَّهُ: ﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَأَلَّفَهُ هُوَ أَوْلِيًا وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾
[الشورى: ٩].

وَقَالَ اللَّهُ: ﴿مَنْ وَرَّاهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئًا وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ وَلَهُمْ
عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [الجاثية: ١٠].

وَالْمَوْتَى؛ هُوَ الرَّبُّ وَالْمَالِكُ؛ قَالَ اللَّهُ: ﴿وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [التحريم: ٢].

وَالْوِلَايَةُ: هِيَ النُّصْرَةُ؛ قَالَ اللَّهُ: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلِيَّتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى
يُهَاجِرُوا﴾ [الأنفال: ٧٢]، ثُمَّ نَسَخَ اللَّهُ ذَلِكَ فَقَالَ: ﴿وَلِئِنْ أَسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ إِلَّا
عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِثْقَلُ ذَرَّةٍ مِنْ كَرِهٍ﴾ [الأنفال: ٧٢].

وَكُلُّ وَلَاءٍ يَدَانِ بِهِ لِلْوَلِيِّ، سَوَاءٌ كَانَ عِبَادَةً أَوْ طَاعَةً أَوْ اتِّبَاعًا أَوْ حُبًّا؛ فَإِنَّمَا يَدَانِ لَهُ بِهِ عَلَى اللَّهِ
رَبِّ وَمَالِكٌ وَنَاصِرٌ أَوْ أَنَّهُ نَاصِرٌ؛ قَالَ اللَّهُ: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ
الْمُغْلِبُونَ﴾ [المائدة: ٥٦].

وَالْأُولِيَاءُ فِي دِينِ الْمُسْلِمِينَ هُمْ الَّذِينَ يَعْبُدُونَ اللَّهَ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ
الْأَنْعَامِ: ﴿قُلْ أَغَيَّرَ اللَّهُ أَخِيذُ وَلِيًّا^(١)﴾ [الأنعام: ١٤].

وَأَمَّا مُعَامَلَةُ الْأُولِيَاءِ.

فَالْمُشْرِكُونَ يَعْبُدُونَ الْأُولِيَاءَ مَعَ اللَّهِ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْكَهْفِ:
﴿أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِ الْأُولِيَاءِ إِنَّا أَعْنَدْنَا جَهَنَّمَ
لِلْكَافِرِينَ نَزْلًا﴾ [الكهف: ١٠٢].

وَالْمُسْلِمُونَ لَا يَعْبُدُونَ الْأُولِيَاءَ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ: ﴿قُلْ أَغَيَّرَ اللَّهُ
أَتَّخِذُ وَلِيًّا﴾ [الأنعام: ١٤].

وَالْمُشْرِكُونَ يَسْأَلُونَ الْأُولِيَاءَ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الرَّعْدِ: ﴿قُلْ أَفَاتَّخِذْتُمْ
مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾ [الرعد: ١٦].

وَالْمُسْلِمُونَ لَا يَسْأَلُونَ الْأُولِيَاءَ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ يُونُسَ: ﴿وَلَا تَدْعُ
مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٦﴾ وَإِنْ
يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِيدَكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ
لِفَضْلِهِ﴾ [يونس: ١٠٦، ١٠٧].

(١) ﴿وَلِيًّا﴾ مَعْنَاهُ: مَعْبُودًا، وَالْوَلِيُّ هُوَ الْمَعْبُودُ، سَوَاءً كَانَ الْوَلِيُّ الْمَعْبُودُ بِحَقٍّ؛ قَالَ اللَّهُ: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ
الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [البقرة: ٢٥٧].
أَوْ كَانَ الْوَلِيُّ الْمَعْبُودُ بِبَاطِلٍ؛ قَالَ اللَّهُ: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَائُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ
النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٧].

وَالْمُشْرِكُونَ يَتَوَسَّلُونَ بِالْأَوْلِيَاءِ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْإِسْرَاءِ: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ﴾ [الإسراء: ٥٧].

وَالْمُسْلِمُونَ لَا يَتَوَسَّلُونَ بِالْأَوْلِيَاءِ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ: ﴿قُلْ أَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْنَا اللَّهُ﴾ [الأنعام: ٧١].

وَالْمُشْرِكُونَ يَتَبَرَّكُونَ بِالْأَوْلِيَاءِ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ هُودٍ: ﴿وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ يُضْعِفُ لَهُمُ الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ﴾ [هود: ٢٠].

وَالْمُسْلِمُونَ لَا يَتَبَرَّكُونَ بِالْأَوْلِيَاءِ؛ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «الْبَرَكَةُ مِنَ اللَّهِ» [رواهُ مُسْلِمٌ].

وَالْمُشْرِكُونَ يَتَعَلَّقُونَ بِالْأَوْلِيَاءِ فِي كُلِّ شَيْءٍ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْعَنْكَبُوتِ: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ أَخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ أُتْخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤١].

وَالْمُسْلِمُونَ لَا يَتَعَلَّقُونَ بِغَيْرِ اللَّهِ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ: ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْنَى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٦٤].

وَالْمُشْرِكُونَ يَدْعُونَ النَّاسَ إِلَى عِبَادَةِ الْأَوْلِيَاءِ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ نُوحٍ:
﴿وَقَالُوا لَا نَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا نَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾
[نوح: ٢٣].

وَالْمُسْلِمُونَ فِي جَمِيعِ الشَّرَائِعِ السَّمَاوِيَّةِ لَا يَدْعُونَ النَّاسَ إِلَى عِبَادَةِ الْأَوْلِيَاءِ.
قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْمَائِدَةِ: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ
اتَّخِذُونِي وَأُمِّي آلِهَتَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالِ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ
لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ
إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَّا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي
وَرَبَّكُمْ﴾ [المائدة: ١١٦، ١١٧].

وَأَمَّا عَلَامَاتُ الْأَوْلِيَاءِ.

فَاللَّهُ وَضَعَ عَلَامَاتِ أَوْلِيَاءِ الْمُسْلِمِينَ فِي دِينِهِ، وَالْمُشْرِكُونَ وَضَعُوا
عَلَامَاتِ أَوْلِيَاءِ الْمُشْرِكِينَ فِي دِينِهِمْ.

فَعَلَامَاتُ الْأَوْلِيَاءِ فِي دِينِ الْمُسْلِمِينَ وَضَعَهَا اللَّهُ.

وَضَعَ اللَّهُ لِلْمُسْلِمِينَ عَلَامَتَيْنِ يُعْرَفُونَ بِهِمَا الْأَوْلِيَاءِ الَّذِينَ يَعْبُدُونَ اللَّهَ
فِي كُلِّ زَمَانٍ، وَمَكَانٍ.

الْأَوَّلَى: الْإِيمَانُ بِاللَّهِ، وَالثَّانِيَةُ: التَّقْوَى لِلَّهِ، يُعْرَفُونَ بِهِمَا فِي كُلِّ زَمَانٍ
وَمَكَانٍ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ يُونُسَ: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ
وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٢، ٦٣].

فَبِالْإِيمَانِ، وَالتَّقْوَى أَصْبَحَ كُلُّ مُسْلِمٍ وَلِيًّا لِلَّهِ؛ لِأَنَّ عَلامَةَ الْأَوْلِيَاءِ فِي الْإِسْلَامِ هِيَ الْإِيمَانُ، وَعَلامَةُ الْإِيمَانِ هِيَ التَّوْحِيدُ، وَالصَّلَاةُ، وَالزَّكَاةُ، وَالصِّيَامُ؛ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «هَلْ تُدْرُونَ مَا الْإِيمَانُ بِاللَّهِ؟» قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَصِيَامُ رَمَضَانَ» [رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (١)، وَمُسْلِمٌ (٢)].

وَالْمُسْلِمُونَ كُلُّهُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ؛ لِأَنَّهُمْ يَنْطِقُونَ الشَّهَادَتَيْنِ، وَيُصَلُّونَ، وَيَصُومُونَ، وَيُزَكُّونَ، وَيُحْجُونَ، وَيَتَوَسَّلُونَ إِلَى اللَّهِ بِهَذِهِ الْفَرَائِضِ.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «قَالَ اللَّهُ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ» [رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٣)].

فَبِالتَّوْحِيدِ، وَالصَّلَاةِ، وَالزَّكَاةِ، وَالصِّيَامِ، وَالْحَجِّ، يَعْرِفُ الْمُسْلِمُ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ الَّذِينَ أَمَرَهُ اللَّهُ بِمَوَالَاتِهِمْ، وَحَبَّبَتْهُمْ، وَنَصَرَتْهُمْ؛ فَقَالَ فِي سُورَةِ التَّوْبَةِ: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٧١].

(١) «صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ»: [بَابُ أَدَاءِ الْخَمْسِ مِنَ الْإِيمَانِ].

(٢) «صَحِيحُ مُسْلِمٍ»: [بَابُ الْأَمْرِ بِالْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ].

(٣) «صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ»: [بَابُ التَّوَأُّعِ].

وَنَهَا عَنْ أَذِيَّتِهِمْ؛ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «قَالَ اللَّهُ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ» [رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ] ^(١).

فَالْمُسْلِمُونَ لَا يُعَادُونَ أَوْلِيَاءَهُمْ فِي دِينِ الْإِسْلَامِ؛ لِأَنَّ مَنْ عَادَى مُسْلِمًا فَقَدْ حَارَبَ اللَّهَ، وَالْمُسْلِمُونَ كُلُّهُمْ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ؛ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «قَالَ اللَّهُ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا، فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ» [رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ] ^(٢).

وَالْمُسْلِمُونَ يُحِبُّونَ جَمِيعَ أَوْلِيَائِهِمُ الْمُسْلِمِينَ، وَيَنْصُرُونَهُمْ؛ لِأَنَّهُمْ إِخْوَانُهُمْ فِي الْإِسْلَامِ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْمَائِدَةِ: ﴿إِنَّا وَلِيُّكُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ [المائدة: ٥٥].

وَقَدْ خَصَّصَ بَعْضُ الْمُسْلِمِينَ بِالرَّأْيِ وَلَايَةَ اللَّهِ الْعَامَّةَ لِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِوَلَايَةِ اللَّهِ لِطَائِفَةٍ مُعَيَّنَةٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَهُمْ الَّذِينَ دُفِنُوا فِي الْمَسَاجِدِ، وَوُضِعَ عَلَى قُبُورِهِمْ قَبَابٌ، وَأَخْرَجُوا بَقِيَّةَ الْمُسْلِمِينَ مِنْ وَلَايَةِ اللَّهِ!

وَأَمَّا عَلَامَاتُ الْأَوْلِيَاءِ فِي دِينِ الْمُشْرِكِينَ فَقَدْ وَضَعَهَا الْمُشْرِكُونَ: فَوَضَعُوا لِلْمُشْرِكِينَ عَلَامَاتٍ يَعْرِفُونَ بِهَا الْأَوْلِيَاءَ الَّذِينَ يَعْبُدُونَهُمْ مَعَ اللَّهِ فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ.

(١) «صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ»: [بَابُ التَّوَاضُّعِ].

(٢) «صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ»: [بَابُ التَّوَاضُّعِ].

الْعَلَامَةُ الْأُولَى: كُلُّ مَنْ بُنِيَ عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِدٌ، أَوْ دُفِنَ فِي الْمَسْجِدِ فَهُوَ وَلِيُّ عِنْدَ الْمُشْرِكِينَ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْكَهْفِ: ﴿قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾ [الكهف: ٢١].

لَمَّا أَطْلَعَ اللَّهُ قَوْمَ أَهْلِ الْكَهْفِ عَلَى الْفِتْيَةِ فِي كَهْفِهِمْ، تَنَازَعَ الْمُسْلِمُونَ وَالْمُشْرِكُونَ^(١)، فَقَالَ الْمُسْلِمُونَ: نَدْفِنُهُمْ وَنَتْرُكُهُمْ، رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ، وَقَالَ الْمُشْرِكُونَ: نَبْنِي عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْكَهْفِ: ﴿وَكَذَلِكَ أَغْتَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّهُ وَعْدُ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَزَّعُونَ مِنْهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَانًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾ [الكهف: ٢١].

فِبَنَاءِ الْمَسَاجِدِ عَلَى الْأَوْلِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ أَخَذَ مِنْ دِينِ الْمُشْرِكِينَ، وَأَدْخَلَ فِي دِينِ الْمُسْلِمِينَ.

فَالْمُشْرِكُونَ مِنْ قَوْمِ أَصْحَابِ الْكَهْفِ بَنَوْا عَلَى الصَّالِحِينَ مِنْ فِتْيَةِ الْكَهْفِ مَسْجِدًا؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْكَهْفِ: ﴿قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾ [الكهف: ٢١].

(١) قَالَ اللَّهُ: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى (١٣) وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَدْعُو مِن دُونِهِ إِلَّا هَٰؤُلَاءِ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا (١٤) هَٰؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَن أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ [الكهف: ١٣-١٥].

وَبِنَاءِ الْمَسَاجِدِ عَلَى الْأَوْلِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ أَخَذَ مِنْ دِينِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى،
وَأَدْخَلَ فِي دِينِ الْمُسْلِمِينَ؛ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ أُمَّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ذَكَرَتْ
لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَنِيسَةً رَأَتْهَا بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ يُقَالُ لَهَا: مَارِيَّةُ، فَذَكَرَتْ
لَهُ مَا رَأَتْ فِيهَا مِنَ الصُّورِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أُولَئِكَ قَوْمٌ إِذَا مَاتَ
فِيهِمُ الْعَبْدُ الصَّالِحُ أَوْ الرَّجُلُ الصَّالِحُ، بَنَوْا عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِدًا؛ أُولَئِكَ شِرَارُ
الْخَلْقِ عِنْدَ اللَّهِ» [رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (١)، وَمُسْلِمٌ (٢)].

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى
الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى؛ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ» [رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٣)، وَمُسْلِمٌ (٤)].

وَالْمَسَاجِدُ فِي دِينِ الْمُسْلِمِينَ دُورٌ لِلْعِبَادَةِ، وَلَيْسَتْ لِدَفْنِ الْأَمْوَاتِ؛ قَالَ اللَّهُ
فِي سُورَةِ النُّورِ: ﴿ فِي بُيُوتِ الَّذِينَ أَنْزَلَ اللَّهُ أَنْ تَرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا أَسْمُهُمْ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا
بِالْعُدُوِّ وَالْأَصَالِ ۖ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ
وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴾ [النور: ٣٦، ٣٧].

وَالْمَسَاجِدُ فِي دِينِ الْمُشْرِكِينَ دُورٌ لِدَفْنِ الْأَمْوَاتِ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ
الْكَهْفِ: ﴿ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا ﴾
[الْكَهْف: ٢١].

(١) «صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ»: [بَابُ الصَّلَاةِ فِي الْبَيْعَةِ].

(٢) «صَحِيحُ مُسْلِمٍ»: [بَابُ النَّهْيِ عَنْ بِنَاءِ الْمَسَاجِدِ عَلَى الْقُبُورِ].

(٣) «صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ»: [بَابُ الصَّلَاةِ فِي الْبَيْعَةِ].

(٤) «صَحِيحُ مُسْلِمٍ»: [بَابُ النَّهْيِ عَنْ بِنَاءِ الْمَسَاجِدِ عَلَى الْقُبُورِ].

وَالْمَقَابِرُ فِي دِينِ الْمُسْلِمِينَ دُورٌ لِدَفْنِ الْأَمْوَاتِ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ التَّكْوِيْنِ: ﴿أَلْهَكُمُ التَّكْوِيْنُ ۝ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ۝﴾ [التكوير: ١، ٢].

وَالْمَقَابِرُ فِي دِينِ الْمُشْرِكِينَ دُورٌ لِلْعِبَادَةِ؛ فَهُمْ يَقُومُونَ بِالْبِنَاءِ عَلَيْهَا، وَالطَّوَافِ بِهَا، وَالصَّلَاةِ عِنْدَهَا، وَدُعَاءِ أَهْلِهَا، وَالتَّقَرُّبِ إِلَيْهِمْ بِالذَّبَائِحِ وَالنُّذُورِ.

الْعَلَامَةُ الثَّانِيَّةُ: كُلُّ مَنْ عُدَّ مَعَ اللَّهِ فَهُوَ عِنْدَ الْمُشْرِكِينَ وَلِيٌّ.

قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ نُوحٍ: ﴿وَقَالُوا لَا نَذَرُ ۚ الْهَتَكُمْ وَلَا نَذَرُ ۚ وَدَا وَلَا سَوَاعَا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ۝﴾ [نوح: ٢٣].

وَقَالَ فِي سُورَةِ التَّوْبَةِ: ﴿اتَّخِذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَنَهُمْ أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا ۝﴾ [التوبة: ٣١].

الْعَلَامَةُ الثَّالِثَةُ: كُلُّ مَنْ يَتَّبِعُهُ النَّاسُ غَيْرَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيُؤْصِلَهُمْ إِلَى اللَّهِ بِزَعْمِهِمْ؛ فَهُوَ عِنْدَهُمْ وَلِيٌّ.

قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْأَعْرَافِ: ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ۝﴾ [الأعراف: ٣].

الْعَلَامَةُ الرَّابِعَةُ: كُلُّ مَنْ طَلَبَ مِنَ النَّاسِ تَعْطِيلَ عُقُوبِهِمْ وَأَسْمَاعِهِمْ وَاتِّبَاعَهُ؛ فَهُوَ عِنْدَهُمْ وَلِيٌّ.

قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ هُودٍ: ﴿وَمَا كَانَ لَهُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءُ يُضَاعِفُ لَهُمْ الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ﴾ [هود: ٢٠].

وَأَخْبَرَ عَنْ حَسْرَتِهِمْ، وَنَدَمِهِمْ عَلَى تَعْطِيلِ حَوَاسِهِمْ.

فَقَالَ فِي سُورَةِ الْمُلْكِ: ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [الملك: ١٠].

وَذَكَرَ تَبَرُّأَ الْأَوْلِيَاءِ مِنْهُمْ؛ فَقَالَ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾ ﴿٣٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّا كَرِهْنَا لَنَّا كَرِهْنَا فَنَتَّبِعَهُمْ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ [البقرة: ١٦٦، ١٦٧].

الْعَلَامَةُ الْخَامِسَةُ: كُلُّ سَاحِرٍ وَلِيٍّ عِنْدَ الْمُشْرِكِينَ؛ فَالسَّحَرُ، وَالْكَهَانَةُ، وَالشَّعْوَذَةُ عِنْدَ الْمُشْرِكِينَ كَرَامَاتٌ يَعْرِفُونَ بِهَا الْأَوْلِيَاءَ!

وَقَدْ رَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ بِأَنَّ السَّحَرَ كَرَامَةٌ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ: ﴿وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾ [البقرة: ١٠٢].

وَأَمَّا كَرَامَاتُ الْأَوْلِيَاءِ:

فَكَرَامَاتُ الْأَوْلِيَاءِ فِي دِينِ الْمُسْلِمِينَ مِنَ اللَّهِ.

قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ يُوسُفَ: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ﴿٦٢﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٢، ٦٣].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «قَالَ اللَّهُ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ» [رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ] ^(١).

وَكَرَامَاتُ الْأَوْلِيَاءِ فِي دِينِ الْمُشْرِكِينَ مِنَ الشَّيْطَانِ:

وَقَدْ أَكْرَمَ الشَّيْطَانُ أَوْلِيَاءَ الْمُشْرِكِينَ بِخَمْسِ كَرَامَاتٍ.

الكَرَامَةُ الْأُولَى: عَلَّمَهُمُ السَّحْرَ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ: ﴿وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾ [البقرة: ١٠٢].

الكَرَامَةُ الثَّانِيَّةُ: عَلَّمَهُمُ الْكُفْرَ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ [البقرة: ١٠٢].

الكَرَامَةُ الثَّالِثَةُ: عَلَّمَهُمُ الْإِضْرَارَ بِالنَّاسِ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ﴾ [البقرة: ١٠٢].

الكَرَامَةُ الرَّابِعَةُ: عَلَّمَهُمُ الْإِضْرَارَ بَأَنْفُسِهِمْ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ: ﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ﴾ [البقرة: ١٠٢].

الكَرَامَةُ الْخَامِسَةُ: شَرَى مِنْهُمْ الْإِيمَانَ وَالْإِسْلَامَ بِالسَّحْرِ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ: ﴿وَلَقَدْ عَلَّمُوا لِمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَكَرُوا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٠٢].

(١) «صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ»: [بَابُ التَّوَاضُّعِ].

فَلِلْمُسْلِمِينَ دِينٌ وَطَرِيقَةٌ، وَلِلْمُشْرِكِينَ دِينٌ وَطَرِيقَةٌ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ
الْكَافِرُونَ: ﴿قُلْ يَتَأَيُّهَا الْكَافِرُونَ ۝١ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢
وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۝٣ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبْدُكُمْ ۝٤ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ
مَا أَعْبُدُ ۝٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [سورة الكافرون].

وَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ الْمُسْلِمَ أَنْ يَرُدَّ عَلَى كُلِّ مَنْ يَدْعُوهُ لِدِينِ الْمُشْرِكِينَ؛ قَالَ اللَّهُ فِي
سُورَةِ الزُّمَرِ: ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونَنِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ﴾ [الزمر: ٦٤].

وَتَوَعَّدَ اللَّهُ كُلَّ مَنْ اسْتَبَدَلَ دِينَ الْمُسْلِمِينَ بِدِينِ الْمُشْرِكِينَ.

قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْحَجَرِ: ﴿الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ
يَعْلَمُونَ﴾ [الحجر: ٩٦].

وَاللَّهُ أَعْلَمُ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ



نبذة عن تعريف شامل للأولياء يقرأ للفائدة العلمية^(١)

(١) التَّوَلَّى: هُوَ الْمَعْبُودُ.

سَوَاءٌ كَانَ التَّوَلَّى مَعْبُودًا بِحَقٍّ؛ قَالَ اللَّهُ: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [البقرة: ٢٥٧].

أَوْ كَانَ التَّوَلَّى مَعْبُودًا بِبَاطِلٍ؛ قَالَ اللَّهُ: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَائُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٧].

وَالْأَوْلِيَاءُ هُمْ كُلُّ مَنْ جَعَلُوهُمْ أَرْبَابًا وَآلِهَةً مَعَ اللَّهِ.

سَوَاءٌ كَانَ الْأَوْلِيَاءُ مِنَ الْأَشْخَاصِ؛ قَالَ اللَّهُ: ﴿أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن يَنَازِلُوا عِبَادِي مِن دُونِي أَوْلِيَائًا إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا﴾ [الكهف: ١٠٢].

وَقَالَ فِي سُورَةِ التَّوْبَةِ: ﴿اتَّخِذُوا أَحِبَّائِهِمْ وَرَهْبَتَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا﴾ [التوبة: ٣١].

وَقَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ نُوحٍ: ﴿وَقَالُوا لَا تَدْرِيءُ إِلَهَهُمْ وَلَا تَدْرِيءُ وَدًّا وَلَا سَوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ [نوح: ٢٣].

أَوْ كَانَ الْأَوْلِيَاءُ مِنَ الشَّيَاطِينِ؛ قَالَ اللَّهُ: ﴿إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَائًا مِن دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ٣٠].

وَقَالَ اللَّهُ: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾ [الكهف: ٥٠].

أَوْ كَانَ الْأَوْلِيَاءُ مِنَ الْأَصْنَامِ وَالْأَوْثَانِ؛ قَالَ اللَّهُ: ﴿قُلْ أَفَاتَخَذْتُم مِّن دُونِي أَوْلِيَائَ لَا يَمْلِكُونَ لَأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾ [الرعد: ١٦].

وَقَالَ اللَّهُ: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَائَ كَمَثَلِ الْعَنَكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بِيْتًا وَإِنَّ أَوْهَرَ أَلْبُيُوتَ لَبَيْتُ الْعَنَكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤١].

وَقَالَ اللَّهُ: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِي أَوْلِيَائَ اللَّهُ حَفِظَ عَلَيْهِمْ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾ [الشورى: ٦].

وَقَالَ اللَّهُ: ﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِي أَوْلِيَائًا فَإِنَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الشورى: ٩].

وَقَالَ اللَّهُ: ﴿مِن وَرَائِهِمْ جَهَنَّمٌ وَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئًا وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَائًا وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [الجاثية: ١٠].

= وَالْمَوْلَى: هُوَ الرَّبُّ وَالْمَالِكُ؛ قَالَ اللَّهُ: ﴿وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [التحریم: ۲].

والولاية أنواع:

وَالْوِلَايَةُ أَنْوَاعٌ: مُوَالَاةُ الْعِبَادَةِ، مُوَالَاةُ الطَّاعَةِ، مُوَالَاةُ الْإِتِّبَاعِ، مُوَالَاةُ الْمَحَبَّةِ، مُوَالَاةُ النَّصْرَةِ، فَوِلَايَةُ النَّصْرَةِ؛ قَالَ اللَّهُ: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا﴾ [الأنفال: ۷۲].

ثُمَّ نَسَخَ اللَّهُ ذَلِكَ؛ فَقَالَ: ﴿وَإِنْ أَسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ يَبِينَكُمْ وَيَبِينُهُمْ مَبِينٌ﴾ [الأنفال: ۷۲].
وَالْوِلَايَةُ - وَكُلُّ وَلَاءٍ يُدَانُ بِهِ لِلْوَلِيِّ سِوَاءَ كَانَ عِبَادَةً أَوْ طَاعَةً أَوْ إِتِّبَاعًا أَوْ مَحَبَّةً - فَإِنَّمَا يُدَانُ لَهُ بِهِ عَلَى أَنَّهُ رَبٌّ وَمَالِكٌ وَنَاصِرٌ أَوْ أَنَّهُ نَاصِرٌ؛ قَالَ اللَّهُ: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حَرْبَ اللَّهِ هُمْ الْعَدَاوَةُ﴾ [المائدة: ۵۶].

فَالْمُشْرِكُونَ دَانُوا لِلْأَوْلِيَاءِ بِالْعِبَادَةِ؛ لَا عِقَادِهِمْ أَنَّهُمْ أَرْبَابٌ مَالِكُونَ لِنُصْرَتِهِمْ.
فَرَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ؛ قَالَ اللَّهُ: ﴿وَمَا كَانَتْ لَهُمْ مِنْ أَوْلِيَاءَ يَنْصُرُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [الشورى: ۴۶].
وَقَالَ اللَّهُ: ﴿وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ [هود: ۱۱۳].
وَقَالَ اللَّهُ: ﴿وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ يُضْعِفُ لَهُمْ الْعَذَابَ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ﴾ [هود: ۲۰].

وَقَالَ اللَّهُ: ﴿مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ﴾ [الكهف: ۲۶].
وَالْمُشْرِكُونَ دَانُوا لِلْأَوْلِيَاءِ بِالطَّاعَةِ؛ لَا عِقَادِهِمْ أَنَّهُمْ أَرْبَابٌ مَالِكُونَ لِنُصْرَتِهِمْ.
فَرَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ؛ قَالَ اللَّهُ: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾ [الكهف: ۵۰].

وَالْمُشْرِكُونَ دَانُوا لِلْأَوْلِيَاءِ بِالْإِتِّبَاعِ؛ لَا عِقَادِهِمْ أَنَّهُمْ أَرْبَابٌ مَالِكُونَ لِنُصْرَتِهِمْ.
فَرَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ؛ قَالَ اللَّهُ: ﴿إِنَّمَا ذَلِكَ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ، فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ۱۷۵].

وَقَالَ اللَّهُ: ﴿فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ۷۶].
وَقَالَ اللَّهُ: ﴿وَتَتَّبِعْ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ﴾ ② كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ قَوْلَاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ، وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ [الحج: ۴، ۳].

وَقَالَ اللَّهُ: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ۵۱].
وَبَعْضُ الْمُسْلِمِينَ دَانَ بِوِلَاةِ النَّصْرَةِ لِلْكَفَّارِ؛ طَلَبًا لِنُصْرَتِهِمْ؛ قَالَ اللَّهُ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوَّيْكُمْ وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا﴾ [المتحنة: ۱].
=

= وَبَعْضُ الْمُسْلِمِينَ دَانَ بِوَلَاءِ الْآتِبَاعِ لِلْكَفَّارِ؛ طَلَبًا لِنُصْرَتِهِمْ؛ قَالَ اللَّهُ: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ٥١]، يتوَلَّهُمْ: أي يتبعهم.

وَالْأَوْلِيَاءُ هُمُ الْأَنْصَارُ فِي الْخَيْرِ أَوِ الشَّرِّ، الْأَنْصَارُ فِي الْخَيْرِ؛ قَالَ اللَّهُ: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ﴾ [التوبة: ٧١].
وَقَالَ اللَّهُ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوَأُوا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [الأنفال: ٧٢]. وَالْأَنْصَارُ فِي الشَّرِّ؛ قَالَ اللَّهُ: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [الأنفال: ٧٣].

وَقَالَ اللَّهُ: ﴿وَالْأَظْلَمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحج: ١٩].
وَقَالَ اللَّهُ: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا ءَابَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فإِنَّهُمْ أُولُوكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [التوبة: ٢٣].
وَالْمَوْلَى هُوَ النَّصِيرُ؛ قَالَ اللَّهُ: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ﴾ [محمد: ١١].

وَقَالَ اللَّهُ: ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَكُمْ نِعَمَ الْمَوْلَى وَنِعَمَ النَّصِيرِ﴾ [الأنفال: ٤٠].
وَقَالَ اللَّهُ: ﴿وَأَعَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَكُمْ فَنِعَمَ الْمَوْلَى وَنِعَمَ النَّصِيرِ﴾ [الحج: ٧٨].
وَقَالَ اللَّهُ: ﴿يَدْعُوا لِمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ لَيْسَ الْمَوْلَى وَلَيْسَ الْعَشِيرُ﴾ [الحج: ١٣].
وَيُسَمَّى الْقَرِيبُ مَوْلَى؛ لِمَا بَيْنَ الْقَرَابَةِ مِنْ وَلَايَةِ الْمَحَبَّةِ وَالنُّصْرَةِ؛ قَالَ اللَّهُ: ﴿يَوْمَ لَا يَغْنَى مَوْلَى عَنْ مَوْلَى شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ [الدخان: ٤١].

وَيُسَمَّى الْوَارِثُ مَوْلَى؛ لِمَا بَيْنَ الْمَوْرَثِ وَالْوَارِثِ مِنْ وَلَايَةِ التَّوَارُثِ وَالنُّصْرَةِ؛ قَالَ اللَّهُ حِكَايَةً عَنْ زَكَرِيَّا: ﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوْلَى مِنْ وَرَءَى وَكَانَتْ أُمْرَاقِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ۖ﴾ [مريم: ٦، ٥].
وَيُسَمَّى الصَّاحِبُ وَالْجَارُ وَالْحَلِيفُ: مَوْلَى؛ لِمَا بَيْنَهُمَا مِنْ وَلَايَةِ الْمَحَبَّةِ وَالنُّصْرَةِ.
وَيُسَمَّى مَنْ تَوَلَّى أُمُورَ الْعَبْدِ مَوْلَى وَوَالِي وَوَلِيٍّ؛ لِمَا بَيْنَهُمَا مِنْ وَلَايَةِ الرَّعَايَةِ وَالتَّذْيِيرِ؛ كَوَلَّى الْأَمْرِ وَوَلَّى الْمَرْأَةَ.

وَالْقَرِينُ يُسَمَّى وَلِيًّا؛ لِمَا بَيْنَهُمَا مِنْ وَلَايَةِ الطَّاعَةِ وَالْآتِبَاعِ؛ قَالَ اللَّهُ: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ٢٧].

الدَّرْسُ الثَّالِثُ عَشَرَ^(١)

اللَّهُ يَتَحَدَّثُ عَنِ التَّوَسُّلِ فِي دِينِ الْمُشْرِكِينَ وَالتَّوَسُّلِ فِي دِينِ الْمُسْلِمِينَ



الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ، عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ الْإِنْسَانَ، عَلَّمَهُ الْبَيَانَ، وَالصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ عَلَى الَّذِي لَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى، إِنَّهُ هُوَ الْوَحْيُ يُوحَى، أَمَّا بَعْدُ:

فَسَوْفَ نَسْتَمِعُ إِلَى اللَّهِ لِيُحَدِّثَنَا^(٢) عَنِ التَّوَسُّلِ فِي دِينِ الْمُشْرِكِينَ،
وَالتَّوَسُّلِ فِي دِينِ الْمُسْلِمِينَ.

- (١) اجْعَلْهُ خُطْبَةً، وَمُحَاضَرَةً، وَدَرْسًا، وَكَلِمَةً، وَبَرْنًا جَا فِي الإِدَاعَةِ أَوْ التَّلْفَازِ، وَمَتْنًا حَقَّقْهُ.
- (٢) وَالتَّوَسُّلِ عِنْدَ الْمُشْرِكِينَ يَخْتَلِفُ عَنِ التَّوَسُّلِ عِنْدَ الْمُسْلِمِينَ؛ لاختلاف دينهما؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْكَافُرُونَ: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون: ٦]؛ وَلاختلاف طَرِيقَتَيْهَا فِي عِبَادَةِ اللَّهِ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْكَافُرُونَ: ﴿قُلْ يَتَّخِذُ الْكَافِرُونَ ① لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ②﴾ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿[الكافرون: ١-٣]، فَطَرِيقَةُ الْمُشْرِكِينَ مِنَ الْأُمِّيِّينَ أَنَّهُمْ يَعْبُدُونَ إِلَهَيْنِ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ النُّحْلِ: ﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَحِدٌ﴾ [النحل: ٥١]، وَطَرِيقَةُ الْمُشْرِكِينَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ: أَنَّهُمْ يَعْبُدُونَ ثَلَاثَةً، فَيَقُولُونَ: اللَّهُ إِلَهُ، وَجِبْرِيلُ إِلَهُ، وَعِيسَى إِلَهُ، فَنَحْنُ نَعْبُدُ الثَّلَاثَةَ، فَرَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ فِي سُورَةِ النَّسَاءِ؛ فَقَالَ: ﴿وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ أَنْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌُ وَحِدٌ﴾ [النساء: ١٧١]، وَرَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ فِي سُورَةِ الْمَائِدَةِ؛ فَقَالَ: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌُ وَحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٧٣]، وَطَرِيقَةُ الْمُشْرِكِينَ مِنَ الْأُمِّيِّينَ: أَنَّهُمْ يَعْبُدُونَ اللَّهَ، وَيَعْبُدُونَ مَعَ اللَّهِ كُلَّ شَيْءٍ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ ص: ﴿وَقَالَ الْكُفْرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ ④﴾ أَجْعَلْ آلِهَةً إِلَهًا وَحِدًا ﴿[ص: ٤، ٥].

قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ النَّسَاءِ: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٨٧].

وَالْوَسِيلَةُ: اسْمُ سَمَى اللَّهِ بِهَا الْوَاسِطَةَ.

فَقَالَ فِي سُورَةِ الْمَائِدَةِ: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا^(١) إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ [المائدة: ٣٥].

وَالْتَّوَسَّلُ فِي دِينِ الْمُشْرِكِينَ يَخْتَلِفُ عَنِ التَّوَسَّلِ فِي دِينِ الْمُسْلِمِينَ فِي تَعْرِيفِهِ، وَأَنْوَاعِهِ.

لَا خِتْلَافَ دِينَهُمَا؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْكَافِرُونَ: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون: ٦].

وَلَا خِتْلَافَ طَرِيقَتَيْهِمَا فِي عِبَادَةِ اللَّهِ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْكَافِرُونَ: ﴿قُلْ يَتَأَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴿١﴾ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ [الكافرون: ١-٣].

= وقد رَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ فِي سُورَةِ الْمُؤْمِنُونَ؛ فَقَالَ: ﴿وَانْهَمْ لَكَذِبُونَ ﴿٩٠﴾ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ﴾ [المؤمنون: ٩٠، ٩١]، **وَأَمَّا طَرِيقَةُ الْمُسْلِمِينَ فِي الْعِبَادَةِ: فَالْمُسْلِمُونَ لَا يَعْبُدُونَ إِلَّا إِلَهًا وَاحِدًا؛** قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ التَّوْبَةِ: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ [التوبة: ٣١]، **وَالْإِلَٰهُ الْوَاحِدُ الَّذِي يَعْبُدُهُ الْمُسْلِمُونَ هُوَ اللَّهُ؛** قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْبَنَةِ: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ﴾ [البينة: ٥]، وَقَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ ص: ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ﴾ [ص: ٦٥].

وَقَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ [البقرة: ٢٥٥].
(١) ﴿وَابْتَغُوا﴾ مَعْنَاهَا: اطْلُبُوا؛ قَالَ اللَّهُ: ﴿فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ [الجمعة: ١٠].

وَقَالَ اللَّهُ: ﴿فَأَنْتَنَ بَشَرُوهُمْ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٧].
وَيَبْتَغُونَ: يَطْلُبُونَ؛ قَالَ اللَّهُ: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ﴾.
وَيَبْتَغِي: تَطْلُبُ؛ قَالَ اللَّهُ حِكَايَةً عَنْ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَأَرْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا﴾ [الكهف: ٦٤].

فَأَمَّا تَعْرِيفُ التَّوَسُّلِ:

فَالْتَّوَسُّلُ عِنْدَ الْمُشْرِكِينَ هُوَ التَّوَسُّطُ عِنْدَ اللَّهِ بِالْأَعْمَالِ الَّتِي نَهَى اللَّهُ عَنْهَا؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الزُّمَرِ: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ﴾ [الزمر: ٣].

فَرَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ فِي سُورَةِ الْكَهْفِ؛ فَقَالَ: ﴿أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْنَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا﴾ [الكَهْف: ١٠٢].

وَالْتَّوَسُّلُ عِنْدَ الْمُسْلِمِينَ هُوَ التَّوَسُّطُ عِنْدَ اللَّهِ بِالْأَعْمَالِ الَّتِي أَمَرَ اللَّهُ بِهَا؛ فَقَالَ فِي سُورَةِ الْمَائِدَةِ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا^(١) إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ [المائدة: ٣٥].

وَأَمَّا أَنْوَاعُ التَّوَسُّلِ عِنْدَ الْمُشْرِكِينَ فَتَوَعُّ وَاحِدٌ هُوَ التَّوَسُّطُ عِنْدَ اللَّهِ بِالْأَعْمَالِ الَّتِي نَهَى اللَّهُ عَنْهَا؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الزُّمَرِ: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ﴾ [الزمر: ٣].

فَرَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ فِي سُورَةِ هُودٍ؛ فَقَالَ: ﴿وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ يُضْعِفُ لَهُمْ الْعَذَابَ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ﴾ [هود: ٢٠].

(١) ﴿وَابْتَغُوا﴾ مَعْنَاهَا: اطْلُبُوا. قَالَ اللَّهُ: ﴿فَأَنْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ [الجمعة: ١٠].

وَقَالَ اللَّهُ: ﴿فَأَنْتَنَ بَشَرُوهُمْ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٧].
وَيَبْتَغُونَ: يَطْلُبُونَ. قَالَ اللَّهُ: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ﴾.
وَيَبْتَغِي: تَطْلُبُ. قَالَ اللَّهُ حِكَايَةً عَنْ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغُ فَأَرْسَلْنَا عَلَىٰ أَثَارِهَا فَصَصَا﴾ [الكَهْف: ٦٤].

فَالْمُشْرِكُونَ: تَوَسَّطُوا عِنْدَ اللَّهِ لِتَقْرِيْبِهِمْ مِنْ اللَّهِ بِعِبَادَةِ الْأَصْنَامِ وَالْأَوْثَانِ
الَّتِي نَهَاَهُمُ اللَّهُ عَنْ عِبَادَتِهَا؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْأَحْقَافِ: ﴿ فَلَوْلَا نَصْرُهُمُ الَّذِينَ
أَتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا ^(١) ۚ إِلَهَةً ۚ بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ ۚ وَذَلِكَ إِفْكَهُمْ ۚ وَمَا كَانُوا
يَفْقَرُونَ ﴾ [الأحقاف: ٢٨].

وَتَوَسَّطُوا عِنْدَ اللَّهِ لِتَقْرِيْبِهِمْ مِنْ اللَّهِ بِعِبَادَةِ الْأَوْلِيَاءِ مَعَ اللَّهِ الَّذِينَ نَهَاَهُمُ
اللَّهُ عَنْ عِبَادَتِهِمْ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْإِسْرَاءِ: ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ
إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ ﴾ [الإسراء: ٥٧].

وَقَوْلُهُ: ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ ﴾ أَي:
أُولَئِكَ الَّذِينَ يَتَوَسَّطُونَ بِهِمْ، يَطْلُبُونَ مَنْ يَتَوَسَّطُ لَهُمْ.

وَأَمَّا أَنْوَاعُ التَّوَسُّلِ عِنْدَ الْمُسْلِمِينَ فَنَوْعَانِ:

نَوْعٌ أَمَرَهُمُ اللَّهُ بِهِ، وَنَوْعٌ نَهَاَهُمُ اللَّهُ عَنْهُ.

فَأَمَّا النَّوْعُ الَّذِي أَمَرَ اللَّهُ بِهِ الْمُسْلِمِينَ:

فَهُوَ التَّوَسُّطُ لِتَقْرِيْبِهِمْ، وَقَبُولِ سُؤَالِهِمْ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْمَائِدَةِ:
﴿ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ ﴾ [المائدة: ٣٥].

وَحَدَّدَ اللَّهُ لِلْمُسْلِمِينَ الْأَعْمَالَ الَّتِي يَتَوَسَّطُونَ بِهَا لِتَقْرِيْبِهِمْ مِنَ اللَّهِ.

(١) ﴿ فَلَوْلَا نَصْرُهُمُ الَّذِينَ أَتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا ۚ إِلَهَةً ﴾ أَي: فَلَوْلَا نَصْرَتُهُمُ الْإِلَهَةُ الَّتِي عَبَدُوهَا
لِتَقْرِيْبِهِمْ مِنَ اللَّهِ؛ قَالَ اللَّهُ - حِكَايَةً عَنْهُمْ -: ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا ﴾.

فَحَدَّدَ اللَّهُ لِلْمُسْلِمِينَ الْعَمَلَ الَّذِي يَتَوَسَّلُونَ بِهِ لِتَقْرِيبِهِمْ بِالْإِيمَانِ
وَالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ؛ فَقَالَ فِي سُورَةِ سَبَأٍ: ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي
تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَىٰ^(١) إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الصَّعِفِ^(٢)
بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ ءَامِنُونَ ﴿[سَبَأٌ: ٣٧].

وَحَدَّدَ اللَّهُ لِلْمُسْلِمِينَ الْعَمَلَ الَّذِي يَتَوَسَّلُونَ بِهِ لِتَقْرِيبِهِمْ بِالسَّجُودِ لِلَّهِ؛
فَقَالَ فِي سُورَةِ الْعَلَقِ: ﴿وَأَسْجُدْ وَاقْتَرِبْ ﴿[الْعَلَقُ: ١٩].

وَحَدَّدَ اللَّهُ لِلْمُسْلِمِينَ الْعَمَلَ الَّذِي يَتَوَسَّلُونَ بِهِ لِتَقْرِيبِهِمْ بِالتَّوْحِيدِ،
وَالصَّلَاةِ، وَالزَّكَاةِ، وَالصِّيَامِ، وَالْحَجِّ، وَنَوَافِلِهَا؛ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «قَالَ اللَّهُ: مَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ
عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ» [رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ]^(٣).

وَحَدَّدَ اللَّهُ لِلْمُسْلِمِينَ الْعَمَلَ الَّذِي يَتَوَسَّلُونَ بِهِ لِقَبُولِ سُؤَالِهِمْ بِسُؤَالِهِ
بِأَسْمَائِهِ؛ فَقَالَ فِي سُورَةِ الْأَعْرَافِ: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ﴿[الْأَعْرَافُ: ١٨٠].

وَحَدَّدَ اللَّهُ لِلْمُسْلِمِينَ الْعَمَلَ الَّذِي يَتَوَسَّلُونَ بِهِ لِقَبُولِ سُؤَالِهِمْ بِالتَّوْحِيدِ.

(١) ﴿زُلْفَىٰ﴾ مَعْنَاهَا: تَقَرُّبًا، وَأَزْلَفَتْ: قُرْبَتْ؛ قَالَ اللَّهُ: ﴿وَأَزْلَفَتْ الْجَنَّةُ لِلْمُنْعِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾
[ق: ٣١].

(٢) الصَّعِفُ: الْحَسَنَةُ بِعَشْرِ حَسَنَاتٍ؛ قَالَ اللَّهُ: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الْأَنْعَامُ: ١٦٠].

(٣) «صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ»: [بَابُ التَّوَضُّعِ].

فَتَوَسَّلَ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالتَّوْحِيدِ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْأَنْبِيَاءِ: ﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَكَادِي فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَنَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧].

فَاسْتَجَابَ اللَّهُ لَهُ؛ فَقَالَ فِي الْآيَةِ الَّتِي بَعْدَهَا: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَخَيَّرْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُخَيِّرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٨].

وَتَوَسَّلَ أَيُّوبُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالتَّوْحِيدِ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْأَنْبِيَاءِ: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣].

فَاسْتَجَابَ اللَّهُ لَهُ؛ فَقَالَ فِي الْآيَةِ الَّتِي بَعْدَهَا: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَفَكَّشْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ﴾ [الأنبياء: ٨٤].

وَتَوَسَّلَ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالتَّوْحِيدِ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْقَمَرِ: ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَأَنْصِرْ﴾ [القمر: ١٠].

فَاسْتَجَابَ اللَّهُ لَهُ؛ فَقَالَ فِي الْآيَةِ الَّتِي بَعْدَهَا: ﴿فَفَنَحْنَا نُوحَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ الْوُجْهِ وَدُسِّرَ ﴿١٣﴾ تَجْرَى بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ﴾ [القمر: ١١-١٤].

وَتَوَسَّلَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالتَّوْحِيدِ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْقَصَصِ: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي﴾ [القصة: ١٦].

فَاسْتَجَابَ اللَّهُ لَهُ؛ فَقَالَ فِي نَفْسِ الْآيَةِ: ﴿فَغَفَرَ لَهُ﴾ [القصة: ١٦].

وَتَوَسَّلَ الْمُسْلِمُونَ بِالتَّوْحِيدِ، وَالاعْتِرَافِ بِالذَّنْبِ وَالنَّعَمِ؛ عَنْ شَدَّادِ
ابْنِ أَوْسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «سَيِّدُ الْأَسْتَغْفَارِ أَنْ تَقُولَ: اللَّهُمَّ
أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا
اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي،
فَاغْفِرْ لِي؛ فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ» [رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ] (١).

وَحَدَّدَ اللَّهُ لِلْمُسْلِمِينَ الْعَمَلَ الَّذِي يَتَوَسَّلُونَ بِهِ لِقَبُولِ سُؤَالِهِمْ بِالْقِيَامِ
بِالْأَعْمَالِ الَّتِي أَمَرَهُمُ اللَّهُ بِهَا، وَتَرْكِ الْأَعْمَالِ الَّتِي نَهَاَهُمُ اللَّهُ عَنْهَا.

فَتَوَسَّلَ أَصْحَابُ الصَّخْرَةِ عِنْدَ اللَّهِ لِقَبُولِ سُؤَالِهِمْ بِعَمَلِهِمْ بِمَا أَمَرَهُمُ
اللَّهُ بِهِ، وَتَرْكِهِمْ لِمَا نَهَاَهُمُ اللَّهُ عَنْهُ.

فَتَوَسَّطَ الْأَوَّلُ: لِقَبُولِ سُؤَالِهِ بِقِيَامِهِ بِمَا أَمَرَهُ اللَّهُ بِهِ مِنْ بَرِّ آبَوَيْهِ.

وَتَوَسَّطَ الثَّانِي: بِقِيَامِهِ بِمَا أَمَرَهُ اللَّهُ بِهِ مِنْ آدَاءِ الْأَمَانَةِ.

وَتَوَسَّطَ الثَّالِثُ: بِتَرْكِهِ لِمَا نَهَاَهُ اللَّهُ عَنْهُ مِنَ الزُّنَى.

فَانْفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ عَنْهُمْ فَخَرَجُوا يَمْشُونَ.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ:
«انْطَلَقَ ثَلَاثَةُ رَهْطٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَتَّى أَوْوَا الْمَبِيتَ إِلَى غَارٍ؛ فَدَخَلُوهُ،
فَانْحَدَرَتْ صَخْرَةٌ مِنَ الْجَبَلِ، فَسَدَّتْ عَلَيْهِمُ الْغَارَ، فَقَالُوا: إِنَّهُ لَا يُنْجِيكُمْ مِنْ
هَذِهِ الصَّخْرَةِ إِلَّا أَنْ تَدْعُوا اللَّهَ بِصَالِحِ أَعْمَالِكُمْ.

(١) «صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ» بَابُ: أَفْضَلُ الْأَسْتَغْفَارِ.

فَقَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ: اللَّهُمَّ كَانَ لِي أَبَوَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ، وَكُنْتُ لَا أَغْنِي قَبْلَهُمَا أَهْلًا وَلَا مَالًا؛ فَحَلَبْتُ لَهُمَا فَوَجَدْتُهُمَا نَائِمَيْنِ، فَلَبِثْتُ وَالْقَدَحُ عَلَى يَدَيَّ، أَنْتَظِرُ اسْتِيقَاضَهُمَا حَتَّى بَرَقَ الْفَجْرُ، فَاسْتَيْقَظَا، فَشَرِبَا؛ اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ، فَفَرِّجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ، فَانْفَرَجَتْ شَيْئًا لَا يَسْتَطِيعُونَ الْخُرُوجَ.

وَقَالَ الْآخَرُ: اللَّهُمَّ كَانَتْ لِي بِنْتُ عَمٍّ، كَانَتْ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَيَّ، فَأَرَدْتُهَا عَنْ نَفْسِهَا، فَأَمْتَنَعَتْ مِنِّي، حَتَّى أَلَمْتُ بِهَا سَنَةً مِنَ السَّنِينَ؛ فَجَاءَتْنِي، فَأَعْطَيْتُهَا عَشْرِينَ وَمِائَةَ دِينَارٍ عَلَى أَنْ تُخَلِّيَ بَيْنِي وَبَيْنَ نَفْسِهَا، فَفَعَلْتُ حَتَّى إِذَا قَدَرْتُ عَلَيْهَا، قَالَتْ: لَا أَجِلُّ لَكَ أَنْ تَقْضِيَ الْخَاتِمَ إِلَّا بِحَقِّهِ، فَانْصَرَفْتُ عَنْهَا وَتَرَكْتُ الذَّهَبَ الَّذِي أَعْطَيْتُهَا، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ، فَافْرِجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ، فَانْفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ غَيْرَ أَنَّهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ الْخُرُوجَ مِنْهَا.

وَقَالَ الثَّالِثُ: اللَّهُمَّ إِنِّي اسْتَأْجَرْتُ أَجْرَاءَ، فَأَعْطَيْتُهُمْ أَجْرَهُمْ غَيْرَ رَجُلٍ وَاحِدٍ تَرَكَ الَّذِي لَهُ وَذَهَبَ؛ فَثَمَرْتُ أَجْرَهُ حَتَّى كَثُرَتْ مِنْهُ الْأَمْوَالُ، فَجَاءَنِي بَعْدَ حِينٍ، فَقَالَ: يَا عَبْدَ اللَّهِ! أَدِّ إِلَيَّ أَجْرِي، فَقُلْتُ لَهُ: كُلُّ مَا تَرَى مِنْ أَجْرِكَ مِنَ الْإِبِلِ وَالْبَقَرِ وَالْغَنَمِ وَالرَّقِيقِ، فَقَالَ: يَا عَبْدَ اللَّهِ! لَا تَسْتَهْزِئْ بِي، فَقُلْتُ: إِنِّي لَا أَسْتَهْزِئُ بِكَ، فَأَخَذَهُ كُلَّهُ فَاسْتَاقَهُ، فَلَمْ يَتْرِكْ مِنْهُ شَيْئًا، اللَّهُمَّ فَإِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ، فَافْرِجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ، فَانْفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ، فَخَرَجُوا يَمْشُونَ» [رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ] ^(١).

(١) «صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ»: [بَابُ مَنْ اسْتَأْجَرَ أَجِيرًا فَتَرَكَ الْأَجِيرُ أَجْرَهُ، فَعَمِلَ فِيهِ الْمُسْتَأْجِرُ فَرَادَ].

وَالْمُسْلِمُونَ يَتَوَسَّطُونَ عِنْدَ اللَّهِ بِكُلِّ مُسْلِمٍ حَيٍّ أَنْ يَدْعُوَهُمْ، وَيَسْتَغْفِرَ لَهُمْ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ يُوسُفَ: ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ﴾ ﴿١٧﴾ قَالَ سَوْفَ اسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٨﴾ [يوسف: ٩٧، ٩٨].

وَقَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ النَّسَاءِ: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ [النساء: ٦٤].

وَأَمَّا نَوْعُ التَّوَسُّلِ الَّذِي نَهَى اللَّهُ عَنْهُ الْمُسْلِمِينَ:
فَهُوَ التَّوَسُّطُ عِنْدَ اللَّهِ بِمَنْ يُوصِّلُ سُؤْلَهُمْ إِلَى اللَّهِ.

فَقَدْ نَهَى اللَّهُ الْمُسْلِمِينَ عَنِ التَّوَسُّطِ لِتَوْصِيلِ سُؤْلِهِمْ إِلَى اللَّهِ.

لَأَنَّ اللَّهَ مُوجُودٌ مَعَ السَّائِلِ فَلَا يَحْتَاجُ وَاسِطَةً لِتَوْصِيلِ سُؤْلِهِ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْمَائِدَةِ: ﴿وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ﴾ [المائدة: ١٢].

وَقَالَ فِي سُورَةِ مُحَمَّدٍ: ﴿وَاللَّهُ مَعَكُمْ﴾ [محمد: ٣٥].

وَقَالَ فِي سُورَةِ طه: ﴿إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ [طه: ٤٦].

وَاللَّهُ قَرِيبٌ مِنَ السَّائِلِ فَلَا يَحْتَاجُ وَاسِطَةً لِتَوْصِيلِ سُؤْلِهِ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦].

يَرَاهُ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْحَدِيدِ: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد: ٤].

وَعَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «فَإِنْكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا؛ إِنَّمَا تَدْعُونَ سَمِيعًا بَصِيرًا قَرِيبًا» [رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ] ^(١).

وَيَسْمَعُهُ؛ س قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ طه: ﴿إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ﴾ [طه: ٤٦].

وَقَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الشُّعَرَاءِ: ﴿إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ﴾ [الشُّعَرَاءِ: ١٥].

وَعَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «فَإِنْكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ؛ إِنَّمَا تَدْعُونَ سَمِيعًا» [رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ] ^(٢).

وَيَعْلَمُ حَاجَتَهُ وَإِنْ لَمْ يَتَكَلَّمْ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ﴾ [البقرة: ٢٣٥].

وَقَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْأَحْزَابِ: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ﴾

[الأحزاب: ٥١].

وَيُحِبُّ سُؤَالَهِ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ: ﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦].

فَالسَّائِلُ لَا يَحْتَاجُ وَاسِطَةً لِتَوْصِيلِ سُؤَالِهِ إِلَّا إِذَا حَاجَبَهُ الْمَسْئُولُ.

وَاللَّهُ لَمْ يَحْجِبِ السَّائِلَ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ غَافِرٍ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠].

وَالسَّائِلُ لَا يَحْتَاجُ وَاسِطَةً إِلَّا إِذَا كَانَ الْمَسْئُولُ بَعِيدًا، وَاللَّهُ قَرِيبٌ مِّنَ

السَّائِلِ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ

أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦].

(١) «صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ»: [بَابُ قَوْلِ اللَّهِ: ﴿وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾]

(٢) «صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ»: [بَابُ قَوْلِ اللَّهِ: ﴿وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾].

وَعَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «فَإِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ غَائِبًا؛ إِنَّهُ مَعَكُمْ، إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ» [رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (١)، وَمُسْلِمٌ (٢)].

وَالسَّائِلُ لَا يَحْتَاجُ وَاسِطَةً إِلَّا إِذَا كَانَ الْمَسْئُولُ غَائِبًا عَنِ السَّائِلِ، وَاللَّهُ لَيْسَ بِغَائِبٍ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْأَعْرَافِ: ﴿وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ﴾ [الأعراف: ٧].

وَعَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «فَإِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ غَائِبًا؛ إِنَّهُ مَعَكُمْ» [رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٣)، وَمُسْلِمٌ (٤)].

وَالسَّائِلُ لَا يَحْتَاجُ وَاسِطَةً إِلَّا إِذَا كَانَ الْمَسْئُولُ أَصَمًّا لَا يَسْمَعُ السَّائِلَ، وَاللَّهُ لَيْسَ بِأَصَمٍّ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْمَجَادِلَةِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ [المجادلة: ١].

وَقَالَ اللَّهُ فِي نَفْسِ الْآيَةِ: ﴿وَاللَّهُ يَسْمَعُ﴾ [المجادلة: ١].

وَعَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «فَإِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمًّا؛ إِنَّمَا تَدْعُونَ سَمِيعًا» [رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٥)].

وَالسَّائِلُ لَا يَحْتَاجُ وَاسِطَةً إِلَّا إِذَا كَانَ الْمَسْئُولُ أَعْمَى لَا يَرَى السَّائِلَ، وَاللَّهُ لَيْسَ بِأَعْمَى؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْعَلَقِ: ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى﴾ [العلق: ١٤].

وَقَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الشُّعَرَاءِ: ﴿الَّذِي يَرِنُكَ حِينَ تَقُومُ﴾ [الشعراء: ٢١٨].

(١) «صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ»: [بَابُ مَا يُكْرَهُ مِنْ رَفْعِ الصَّوْتِ بِالتَّكْبِيرِ].

(٢) «صَحِيحُ مُسْلِمٍ»: [بَابُ اسْتِحْبَابِ خَفْضِ الصَّوْتِ بِالذِّكْرِ].

(٣) «صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ»: [بَابُ مَا يُكْرَهُ مِنْ رَفْعِ الصَّوْتِ بِالتَّكْبِيرِ].

(٤) «صَحِيحُ مُسْلِمٍ»: [بَابُ اسْتِحْبَابِ خَفْضِ الصَّوْتِ بِالذِّكْرِ].

(٥) «صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ»: [بَابُ قَوْلِ اللَّهِ: ﴿وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾].

وَالسَّائِلُ لَا يَحْتَاجُ وَاسِطَةً إِلَّا إِذَا كَانَ الْمَسْئُولُ لَا يَعْلَمُ حَاجَةَ السَّائِلِ،
وَاللَّهُ يَعْلَمُ حَاجَتَهُ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي
أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ﴾ [البقرة: ٢٣٥].

وَقَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْأَحْزَابِ: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ﴾
[الأحزاب: ٥١].

فَمَا عَلَى السَّائِلِ إِلَّا أَنْ يَتَوَجَّهَ بِالسُّؤَالِ إِلَى الْمَسْئُولِ مُبَاشَرَةً بَدُونِ وَاسِطَةٍ؛
قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ النَّسَاءِ: ﴿وَسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [النساء: ٣٢].

فَلِلْمُسْلِمِينَ دِينٌ وَطَرِيقَةٌ، وَلِلْمُشْرِكِينَ دِينٌ وَطَرِيقَةٌ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ
الْكَافِرُونَ: ﴿قُلْ يَتَّيِّهَا الْكَافِرُونَ ﴿١﴾ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾
وَلَا أَنْتُمْ عِبِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ ﴿٤﴾ وَلَا أَنْتُمْ عِبِدُونَ
مَا أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [سورة الكافرون].

وَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ الْمُسْلِمَ أَنْ يَرُدَّ عَلَى كُلِّ مَنْ يَدْعُوهُ لِدِينِ الْمُشْرِكِينَ؛ فَقَالَ فِي
سُورَةِ الزَّمَرِ: ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ﴾ [الزمر: ٦٤].

وَتَوَعَّدَ اللَّهُ كُلَّ مَنْ اسْتَبَدَلَ دِينَ الْمُسْلِمِينَ بِدِينِ الْمُشْرِكِينَ؛ فَقَالَ فِي سُورَةِ
الْحَجَرِ: ﴿الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ [الحجر: ٩٦].

وَاللَّهُ أَعْلَمُ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّم.



الدُّرُسُ الرَّابِعُ عَشَرَ^(١)

اللَّهُ يَتَحَدَّثُ عَنِ التَّبَرُّكِ فِي دِينِ الْمُشْرِكِينَ، وَدِينِ الْمُسْلِمِينَ



الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ، عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ الْإِنْسَانَ، عَلَّمَهُ الْبَيَانَ، وَالصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ عَلَى الَّذِي لَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى، إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى، **أَمَّا بَعْدُ:**

فَسَوْفَ نَسْتَمِعُ إِلَى اللَّهِ لِيُحَدِّثَنَا عَنْ تَعْرِيفِ الْبَرَكَةِ، وَالْمُبَارَكِ، وَالتَّبَرُّكِ، وَالْمَالِكِ لِلْبَرَكَةِ فِي دِينِ الْمُشْرِكِينَ، وَدِينِ الْمُسْلِمِينَ.

قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ النَّسَاءِ: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٨٧].

فَأَمَّا تَعْرِيفُ الْبَرَكَةِ: فَهِيَ الْخَيْرُ؛ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «الْبَرَكَةُ فِي نَوَاصِي الْخَيْلِ» [رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ^(٢)، وَمُسْلِمٌ^(٣)].

ثُمَّ فَسَّرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْبَرَكَةَ بِالْخَيْرِ؛ عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «الْخَيْلُ مَعْقُودٌ بِنَوَاصِيهَا الْخَيْرُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ: الْأَجْرُ وَالْغَنِيمَةُ» [رَوَاهُ مُسْلِمٌ^(٤)].

(١) اجْعَلْهُ خُطْبَةً، وَمُحَاضَرَةً، وَدَرْسًا، وَكَلِمَةً، وَبَرْنَامَجًا فِي الْإِدَاعَةِ أَوْ التَّلَافُزِ، وَمَتْنًا حَفَظَهُ.

(٢) «صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ»: [بَابُ: الْخَيْلُ مَعْقُودٌ فِي نَوَاصِيهَا الْخَيْرُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ].

(٣) «صَحِيحُ مُسْلِمٍ»: [بَابُ: الْخَيْلُ فِي نَوَاصِيهَا الْخَيْرُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ].

(٤) «صَحِيحُ مُسْلِمٍ»: [بَابُ: الْخَيْلُ فِي نَوَاصِيهَا الْخَيْرُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ].

وَبَرَكَاتُهُ: خَيْرَاتُهُ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ هُودٍ: ﴿رَحِمْتُ اللَّهَ وَبَرَكَتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ [هود: ٧٣].

وَالْبَرَكَاتُ هِيَ الْخَيْرَاتُ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْأَعْرَافِ: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَنَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ٩٦].

وَفَسَّرَ اللَّهُ: بَرَكَاتِ السَّمَاءِ بِالْمَطَرِ، وَبَرَكَاتِ الْأَرْضِ بِالنَّبَاتِ؛ فَقَالَ فِي سُورَةِ ق: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبْرَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ﴾ [ق: ٩].

وَأَمَّا تَعْرِيفُ الْمُبَارَكِ: فَهُوَ الشَّيْءُ الَّذِي وَضَعَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا وَنَفْعًا لِلنَّاسِ.

كَالْقُرْآنِ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ﴾ [الأنعام: ١٥٥].

وَكَاالْمَطَرِ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ ق: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبْرَكًا﴾ [ق: ٩].
وَكَبَعْضِ الشَّجَرِ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ النُّورِ: ﴿يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُّبْرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ﴾ [النور: ٣٥].

وَكَبَعْضِ الْأَشْخَاصِ؛ قَالَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ﴾ [مريم: ٣١]، أَيُّ: نَافِعًا لِلنَّاسِ بِقَوْلِهِ وَفِعْلِهِ.

وَكَبَعْضِ الْمَنَازِلِ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْمُؤْمِنُونَ: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾ [المؤمنون: ٢٩].



وَكَبْعُضِ الْأَمَاكِنِ؛ كَمَكَّةَ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا﴾ [آل عمران: ٩٦].

وَالشَّامِ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْإِسْرَاءِ: ﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ﴾ [الإسراء: ١].

وَالْيَمَنِ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ سَبَأٍ: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ﴾ [سبأ: ١٨].

وَكَبْعُضِ الْأَزْمِنَةِ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الدُّخَانِ: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَرَّكَةٍ﴾ [الدخان: ٣].

وَكَبْعُضِ الْأَعْمَالِ؛ كَالْإِيمَانِ وَالتَّقْوَى؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْأَعْرَافِ: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ٩٦].

وَكَبْعُضِ الْحَيَوَانَاتِ؛ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «الْبَرَكَةُ فِي نَوَاصِي الْخَيْلِ» [رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ^(١)، وَمُسْلِمٌ^(٢)].

وَكَبْعُضِ الْأَكْلَاتِ؛ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «تَسَحَّرُوا؛ فَإِنَّ فِي السُّحُورِ بَرَكََةً» [رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ^(٣)].

(١) «صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ»: [بَابُ: الْخَيْلُ مَعْقُودٌ فِي نَوَاصِيهَا الْخَيْرُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ].

(٢) «صَحِيحُ مُسْلِمٍ»: [بَابُ الْخَيْلُ فِي نَوَاصِيهَا الْخَيْرُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ].

(٣) «صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ»: [بَابُ بَرَكَةِ السُّحُورِ].

وَأَمَّا تَعْرِيفُ الْمُبَارِكِ؛ فَهُوَ الَّذِي يَضَعُ الْخَيْرَ فِي الْأَشْيَاءِ وَيُكَثِّرُهُ،
وَلَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَضَعَ الْخَيْرَ فِي الشَّيْءِ وَأَنْ يُكَثِّرَهُ وَيَزِيدَ فِيهِ إِلَّا اللَّهُ؛ عَنْ جَابِرِ
ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «الْبَرَكَهَ مِنَ اللَّهِ» [رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ] ^(١).
وَبَارَكَ اللَّهُ فِي الشَّيْءِ: كَثَّرَ الْخَيْرَ فِيهِ.

قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ فُصِّلَتْ: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رُوسًا مِنْ فَوْقِهَا وَبَرَكَ فِيهَا﴾
[فصلت: ١٠]، أَيُّ: كَثَّرَ خَيْرَاتِ الْأَرْضِ.

وَبَارَكَ اللَّهُ الشَّيْءَ كَثَّرَهُ؛ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي صَاعِنَا وَمُدِّنَا، وَاجْعَلْ مَعَ الْبَرَكَهَ
بَرَكَتَيْنِ» [رَوَاهُ مُسْلِمٌ] ^(٢).

وَبَارَكَ اللَّهُ لَكَ وَعَلَيْكَ: كَثَّرَ لَكَ وَعَلَيْكَ الْخَيْرَ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ
هُودٍ: ﴿قِيلَ يَتْلُو آهٍ يَطُوعٌ بِسَلَامٍ مِّنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِّمَّنْ مَعَكَ﴾
[هود: ٤٨].

وَلَا نَعْرِفُ بِأَنَّ الشَّيْءَ مُبَارَكٌ، وَيَتَبَرَّكُ بِهِ إِلَّا إِذَا أَخْبَرَنَا اللَّهُ بِهِ؛ لِأَنَّهُ
الْمُبَارَكُ الَّذِي وَضَعَ الْبَرَكَهَ وَالْخَيْرَ فِيهِ؛ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «الْبَرَكَهَ مِنَ اللَّهِ» [رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ].

(١) «صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ»: [بَابُ شُرْبِ الْبَرَكَهَ وَالْمَاءِ الْمُبَارَكِ].

(٢) «مُسْلِمٌ»: [بَابُ التَّرْغِيبِ فِي سَكَنِ الْمَدِينَةِ وَالصَّبْرِ عَلَى لَأْوَائِهَا].

وَأَمَّا تَعْرِيفُ التَّبَرُّكِ: فَهُوَ طَلَبُ، وَسُؤَالُ زِيَادَةِ الْخَيْرِ وَتَكْثِيرُهُ؛ قَالَ
اللَّهُ فِي سُورَةِ الْمُؤْمِنُونَ: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾
[المؤمنون: ٢٩٠].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي
مَدِينَتِنَا، وَفِي ثَمَارِنَا، وَفِي مُدِّنَا، وَفِي صَاعِنَا بَرَكَهً مَعَ بَرَكَهٍ» [رَوَاهُ مُسْلِمٌ] ^(١).

وَأَمَّا طَرِيقَةُ طَلَبِ الْبَرَكَهَةِ عِنْدَ الْمُشْرِكِينَ فَيَخْتَلِفُ عَنِ الْمُسْلِمِينَ؛
لَا خِتْلَافَ دِينِهِمَا؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْكَافِرُونَ: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾
[الكافرون: ٦].

وَلَا خِتْلَافَ طَرِيقَتَيْهِمَا فِي عِبَادَةِ اللَّهِ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْكَافِرُونَ: ﴿قُلْ
يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴿١﴾ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا
أَعْبُدُ﴾ [الكافرون: ١-٣].

فَالْمُسْلِمُونَ لَا يَطْلُبُونَ الْبَرَكَهَةَ، وَلَا يَسْأَلُونَ زِيَادَةَ الْخَيْرِ وَتَكْثِيرَهُ إِلَّا مِنْ اللَّهِ.
قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْجِنِّ: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ٢٠].
وَقَالَ فِي سُورَةِ الْجِنِّ: ﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨].

وَالْمُشْرِكُونَ يَطْلُبُونَ الْبَرَكَهَةَ، وَيَسْأَلُونَ زِيَادَةَ الْخَيْرِ وَتَكْثِيرَهُ مِنْ اللَّهِ
وَمِنْ غَيْرِ اللَّهِ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ غَافِرٍ: ﴿ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ،
كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكُ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ﴾ [غافر: ١٢].

(١) «صَحِيحُ مُسْلِمٍ»: [بَابُ فَضْلِ الْمَدِينَةِ].

فَطَرِيقَةُ الْمُشْرِكِينَ سُؤَالُ الْبَرَكَةِ مِمَّنْ لَا يَمْلِكُهَا:

فَالْمُشْرِكُونَ يَسْأَلُونَ الْبَرَكَةَ، وَزِيَادَةَ الْخَيْرِ، وَتَكْثِيرَهُ مِنَ الْأَمْوَاتِ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ النَّحْلِ: ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [النحل: ٢٠، ٢١].

وَيَسْأَلُونَ الْبَرَكَةَ، وَزِيَادَةَ الْخَيْرِ، وَتَكْثِيرَهُ مِنَ الْجَمَادَاتِ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْأَعْرَافِ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَلُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلَيْسَ تَجِيبُوا لَكُمْ إِنَّ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٩٤﴾ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُوا فَلَا تُنْظَرُونَ﴾ [الأعراف: ١٩٤، ١٩٥].

وَيَسْأَلُونَ الْبَرَكَةَ وَزِيَادَةَ الْخَيْرِ وَتَكْثِيرَهُ مِنَ الْأَصْنَامِ وَالْأَوْثَانِ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ هُودٍ: ﴿فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [هود: ١٠].

وَطَرِيقَةُ الْمُسْلِمِينَ سُؤَالُ الْبَرَكَةِ مِمَّنْ يَمْلِكُهَا

فَالْمُسْلِمُونَ يَسْأَلُونَ الْبَرَكَةَ، وَزِيَادَةَ الْخَيْرِ، وَتَكْثِيرَهُ مِنَ اللَّهِ فِي كُلِّ شَيْءٍ. عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «الْبَرَكَةُ مِنَ اللَّهِ». [رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ] ^(١).

فَيَسْأَلُونَ اللَّهَ الْبَرَكَةَ، وَزِيَادَةَ الْخَيْرِ، وَتَكْثِيرَهُ فِي مَنَازِلِهِمْ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْمُؤْمِنُونَ: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾ [المؤمنون: ٢٩].

(١) «صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ»: [باب شرب البركة والماء المبارك].

وَيَسْأَلُونَ اللَّهَ الْبَرَكَهَ، وَزِيَادَةَ الْخَيْرِ، وَتَكْثِيرَهُ فِي مَدِينَتِهِمْ، وَمَزَارِعِهِمْ.
عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي مَدِينَتِنَا،
وَفِي ثَمَارِنَا، وَفِي مَدَنَّا، وَفِي صَاعِنَا بَرَكَهً مَعَ بَرَكَهٍ» [رَوَاهُ مُسْلِمٌ] ^(١).

وَيَسْأَلُونَ اللَّهَ الْبَرَكَهَ، وَزِيَادَةَ الْخَيْرِ، وَتَكْثِيرَهُ فِي أَرْزَاقِهِمْ.

عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ النَّبِيَّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ فِي الطَّعَامِ إِذَا قُرِبَ إِلَيْهِ: «اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِيمَا رَزَقْتَنَا،
وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ، بِسْمِ اللَّهِ» [رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ] ^(٢).

وَيَسْأَلُونَ اللَّهَ الْبَرَكَهَ، وَزِيَادَةَ الْخَيْرِ، وَتَكْثِيرَهُ فِي طَعَامِهِمْ، وَشَرَابِهِمْ.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ
طَعَامًا فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِيهِ، وَأَطْعِمْنَا خَيْرًا مِنْهُ، وَإِذَا سَقَى لَبَنًا فَلْيَقُلْ:
اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِيهِ، وَزِدْنَا مِنْهُ؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ يُجْزَى مِنَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ إِلَّا
الْلبَنُ» [رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ] ^(٣).

وَيَسْأَلُ اللَّهَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ الْبَرَكَهَ، وَزِيَادَةَ الْخَيْرِ، وَتَكْثِيرَهُ؛ عَنْ أَنَسٍ

عَنْ أُمِّ سُلَيْمٍ، أَنَّهَا قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنَسُ خَادِمُكَ؛ ادْعُ اللَّهَ لَهُ، قَالَ: «اللَّهُمَّ
أَكْثِرْ مَالَهُ، وَوَلَدَهُ، وَبَارِكْ لَهُ فِيمَا أَعْطَيْتَهُ» [رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ] ^(٤).

(١) «صَحِيحُ مُسْلِمٍ»: [بَابُ فَضْلِ الْمَدِينَةِ].

(٢) «الدُّعَاءُ» لِلطَّبْرَانِيِّ: [بَابُ الْقَوْلِ عِنْدَ حُضُورِ الطَّعَامِ].

(٣) «سُنَنُ أَبِي دَاوُدَ»: [بَابُ مَا يَقُولُ إِذَا شَرِبَ اللَّبَنَ].

(٤) «صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ»: [بَابُ الدُّعَاءِ بِكَثْرَةِ الْمَالِ مَعَ الْبَرَكَهَةِ].

وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَى عَلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ أَثَرَ صُفْرَةٍ، قَالَ: «مَا هَذَا؟» قَالَ: إِنِّي تَزَوَّجْتُ امْرَأَةً عَلَى وَزْنِ نَوَاقٍ مِنْ ذَهَبٍ، قَالَ: «بَارَكَ اللَّهُ لَكَ، أَوْلِمَ وَلَوْ بِشَاةٍ» [رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ] (١).

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُسْرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «اللَّهُمَّ، بَارِكْ لَهُمْ فِي مَا رَزَقْتَهُمْ، وَاعْزِزْ لَهُمْ وَارْحَمْهُمْ» [رَوَاهُ مُسْلِمٌ] (٢).

وَأَمَّا طَرِيقَةُ التَّبَرُّكِ بِالْأَشْيَاءِ الْمُبَارَكَةِ فِي دِينِ الْمُسْلِمِينَ

فَيَتَّبِعُونَ الطَّرِيقَةَ الَّتِي أَمَرَهُمُ اللَّهُ بِاتِّبَاعِهَا؛ فَقَالَ فِي سُورَةِ الْجَاثِيَةِ: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا﴾ [الْجَاثِيَةِ: ١٨].

فَالْمُسْلِمُونَ يَتَبَرَّكُونَ بِالْمَكَانِ الْمُبَارَكِ بِعِبَادَةِ اللَّهِ فِيهِ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ قُرَيْشٍ: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ﴾ [قُرَيْشٍ: ٣].

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «صَلَاةٌ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَفْضَلُ مِنْ مِائَةِ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيَمَا سِوَاهُ» [رَوَاهُ أَحْمَدُ (٣) بِسَنَدٍ صَحِيحٍ].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَنْ حَجَّ لِلَّهِ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ؛ رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ» [رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٤)، وَمُسْلِمٌ (٥)].

(١) «صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ»: [بَابٌ: كَيْفَ يُدْعَى لِلْمُتَزَوِّجِ].

(٢) «مُسْلِمٌ»: [بَابُ اسْتِحْبَابِ وَضْعِ النُّوَى خَارِجَ التَّمْرِ].

(٣) «مُسْنَدُ أَحْمَدَ».

(٤) «صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ»: [بَابُ فَضْلِ الْحَجِّ الْمَبْرُورِ].

(٥) «صَحِيحُ مُسْلِمٍ»: [بَابُ فِي فَضْلِ الْحَجِّ].

وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ مَسْجِدَ الرُّكْنِ
الْيَمَانِيِّ وَالرُّكْنِ الْأَسْوَدَ يَحُطُّ الْخَطَايَا حَطًّا» [رَوَاهُ أَحْمَدُ ^(١) بِسَنَدٍ صَحِيحٍ].

وَالْمُسْلِمُونَ يَتَبَرَّكُونَ بِالزَّمَانِ الْمُبَارَكِ بِعِبَادَةِ اللَّهِ فِيهِ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ
الدخان: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَرَّكَةٍ﴾ [الدخان: ٣].

وَقَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْقَدْرِ: ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ [القدر: ٣].
وَالْمُسْلِمُونَ يَتَبَرَّكُونَ بِالْكَلَامِ الْمُبَارَكِ بِاتِّبَاعِهِ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ:
﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ﴾ [الأنعام: ١٠٥].

وَالْمُسْلِمُونَ يَتَبَرَّكُونَ بِالْقَوْلِ الْمُبَارَكِ بِالْعَمَلِ بِهِ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ النُّورِ:
﴿فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَرَّكَةٌ
طَيِّبَةٌ﴾ [النور: ٦١].

وَالْمُسْلِمُونَ يَتَبَرَّكُونَ بِالْأَشْخَاصِ الْمُبَارَكِينَ وَمَا اتَّصَلَ بِهِمْ؛ كَالشَّعْرِ أَوْ
مَا انفَصَلَ مِنْهُمْ؛ كَالْوُضُوءِ، أَوْ مَا خَرَجَ مِنْهُمْ؛ كَالْعَرَقِ، وَلَا يُوجَدُ شَخْصٌ
مِنَ الْمُسْلِمِينَ نَفْسُهُ مُبَارَكَةٌ وَيَتَبَرَّكُ بِهَا إِلَّا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فَعَرَقُهُ مُبَارَكٌ وَيَتَبَرَّكُ بِهِ؛ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
دَخَلَ بَيْتَ أُمِّ سُلَيْمٍ فَنَامَ عَلَى قِطْعَةٍ أَدِيمٍ، وَاسْتَنْقَعَ عَرَقُهُ، فَجَعَلَتْ تُشَفُّ ذَلِكَ
الْعَرَقَ فَتَعَصِرُهُ فِي قَوَارِيرِهَا، فَاسْتَيْقِظَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «مَا تَصْنَعِينَ يَا أُمَّ
سُلَيْمٍ؟» فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! نَرَجُو بَرَكَتَهُ لِصَبِيانِنَا، قَالَ: «أَصَبْتَ» [رَوَاهُ مُسْلِمٌ ^(٢)].

(١) «مُسْنَدُ أَحْمَدَ».

(٢) «مُسْلِمٌ»: [بَابُ طَيْبِ عَرَقِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالتَّبَرُّكِ بِهِ].

وَشَعْرُهُ مُبَارَكٌ وَيَتَبَرَّكُ بِهِ؛ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
عَامَ حَجَّةِ الْوَدَاعِ حَلَقَ رَأْسَهُ، فَأَعْطَاهُ أَبَا طَلْحَةَ فَقَالَ: «اقْسِمُهُ بَيْنَ النَّاسِ»
[رَوَاهُ مُسْلِمٌ] ^(١).

وَوُضُوؤُهُ مُبَارَكٌ وَيَتَبَرَّكُ بِهِ؛ عَنْ أَبِي جُحَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تَوَضَّأَ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَأْخُذُونَ مِنْ فَضْلِ وَضُوئِهِ فَيَتَمَسَّحُونَ بِهِ».
[رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ] ^(٢).

وَعَنِ السَّائِبِ بْنِ يَزِيدَ، قَالَ: ذَهَبَتْ بِي خَالَتِي إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ ابْنَ أُخْتِي وَجِعٌ، فَمَسَحَ رَأْسِي وَدَعَا لِي بِالْبَرَكَةِ، ثُمَّ
تَوَضَّأَ، فَشَرِبْتُ مِنْ وَضُوئِهِ» [رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ] ^(٣)، وَمُسْلِمٌ ^(٤).

وَهَذَا كُلُّهُ انْتَهَى بِمَوْتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمْ يَبْقَ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ، وَلَمْ يَبْقَ مِنَ
التَّبَرُّكِ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا التَّبَرُّكُ بِاتِّبَاعِهِ.

قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْأَعْرَافِ: ﴿وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾
[الأعراف: ١٥٨].

وَلَا يُقَاسُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَيْرُهُ مِنَ الصَّالِحِينَ؛ فَلَا يُقَالُ: إِنَّ
شَخْصًا غَيْرَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْ أَثَارَهُ مُبَارَكَةً، وَيَتَبَرَّكُ بِهَا مَهْمَا كَانَ صَلَاحُهُ،

(١) «صَحِيحُ مُسْلِمٍ»: [بَابُ بَيَانِ أَنَّ السُّنَّةَ يَوْمَ النَّحْرِ أَنْ يَرْمِيَ].

(٢) «صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ»: [بَابُ اسْتِعْمَالِ فَضْلِ وَضُوءِ النَّاسِ].

(٣) «صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ»: [بَابُ اسْتِعْمَالِ فَضْلِ وَضُوءِ النَّاسِ].

(٤) «مُسْلِمٌ»: [بَابُ إِثْبَاتِ خَاتَمِ النَّبُوَّةِ، وَصِفَتِهِ، وَحَلِّهِ مِنْ جَسَدِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ].

وَإِنْ كَانَ أَبَا بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ لِعَدَمِ الدَّلِيلِ مِنَ الْوَحْيِ، وَلَا يُقَاسُ عَلَيْهِ غَيْرُهُ مِنَ الصَّالِحِينَ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ مِثْلُهُ يُوْحَى إِلَيْهِ حَتَّى يُقَاسَ عَلَيْهِ ^(١).

فَلِلْمُسْلِمِينَ دِينٌ وَطَرِيقَةٌ، وَلِلْمُشْرِكِينَ دِينٌ وَطَرِيقَةٌ.

قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْكَافِرُونَ: ﴿قُلْ يَتَأْتِيهَا الْكُفْرُوتُ ۝١ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۝٣ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ ۝٤ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۝٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينٌ﴾ [سورة الكافرون].

وَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ الْمُسْلِمَ أَنْ يَرُدَّ عَلَى كُلِّ مَنْ يَدْعُوهُ لِدِينِ الْمُشْرِكِينَ؛ فَقَالَ فِي سُورَةِ الزَّمَرِ: ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونَنِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ﴾ [الزمر: ٦٤].

وَتَوَعَّدَ اللَّهُ كُلَّ مَنْ اسْتَبَدَلَ دِينَ الْمُسْلِمِينَ بِدِينِ الْمُشْرِكِينَ؛ فَقَالَ فِي سُورَةِ الْحَجَرِ: ﴿الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ [الحجر: ٩٦].
وَاللَّهُ أَعْلَمُ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.



(١) رَاجِعْ: «كِتَابُ الْقِيَاسِ الَّذِي أَمَرَ اللَّهُ بِهِ، وَالْقِيَاسِ الَّذِي هَمَى اللَّهُ عَنْهُ» لِلْمُؤَلِّفِ لِلْفَائِدَةِ إِنْ شِئْتَ..

الدَّرْسُ الْخَامِسُ عَشَرَ^(١)

اللَّهُ يَتَحَدَّثُ عَنِ الشَّفَاعَةِ فِي دِينِ الْمُشْرِكِينَ وَالشَّفَاعَةِ فِي دِينِ الْمُسْلِمِينَ



الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ، عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ الْإِنْسَانَ، عَلَّمَهُ الْبَيَانَ، وَالصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ عَلَى الَّذِي لَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى، إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى، أَمَّا بَعْدُ:

فَسَوْفَ نَسْتَمِعُ إِلَى اللَّهِ لِيُحَدِّثَنَا عَنِ الشَّفَاعَةِ^(٢) فِي دِينِ الْمُشْرِكِينَ، وَالشَّفَاعَةِ فِي دِينِ الْمُسْلِمِينَ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ النَّسَاءِ: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٨٧].

- (١) اجْعَلْهُ خُطْبَةً، وَمُحَاضَرَةً، وَدَرْسًا، وَكَلِمَةً، وَبَرْنَامَجًا فِي الْإِذَاعَةِ أَوْ التَّلْفَازِ، وَمَتْنًا حَفِظَهُ.
- (٢) وَالشَّفَاعَةُ عِنْدَ الْمُشْرِكِينَ تَخْتَلِفُ عَنِ الشَّفَاعَةِ عِنْدَ الْمُسْلِمِينَ؛ لِأَخْتِلَافِ دِينِهِمَا؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْكَافُرُونَ: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون: ٦]؛ وَلَا اخْتِلَافَ طَرِيقَتَيْهَا فِي عِبَادَةِ اللَّهِ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْكَافُرُونَ: ﴿قُلْ يَتَأْتِيَ الْكَافِرُونَ ① لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ② وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ [الكافرون: ١-٣]، فَطَرِيقَةُ الْمُشْرِكِينَ مِنَ الْأُمِّيِّينَ أَنَّهُمْ يَعْبُدُونَ إِلَهَيْنِ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ النَّحْلِ: ﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ﴾ [النحل: ٥١]، وَطَرِيقَةُ الْمُشْرِكِينَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ: أَنَّهُمْ يَعْبُدُونَ ثَلَاثَةً، فَيَقُولُونَ: اللَّهُ إِلَهُ، وَجِبْرِيلُ إِلَهُ، وَعِيسَى إِلَهُ، فَنَحْنُ نَعْبُدُ الثَّلَاثَةَ، فَرَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ فِي سُورَةِ النَّسَاءِ؛ فَقَالَ: ﴿وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ أَنْتَهُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌُ وَاحِدٌ﴾ [النساء: ١٧١]، وَرَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ فِي سُورَةِ الْمَائِدَةِ؛ فَقَالَ: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌُ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُوا لَكُنَّا مِنَ الَّذِينَ نَكُودُونَ﴾ [المائدة: ٧٣]، وَطَرِيقَةُ الْمُشْرِكِينَ مِنَ الْأُمِّيِّينَ: أَنَّهُمْ يَعْبُدُونَ اللَّهَ، وَيَعْبُدُونَ مَعَ اللَّهِ كُلَّ شَيْءٍ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ ص: ﴿وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سِحْرٌ كَذَّابٌ ④ أَجْعَلْ آلِهَةً إِلَهًا وَاحِدًا﴾ [ص: ٥، ٤].

وَالشَّفَاعَةِ: اسْمُ سَمَى اللهُ بِهِ الْوَاسِطَةَ^(١)؛ فَقَالَ فِي سُورَةِ يُوسُفَ: ﴿وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ [يونس: ١٨].

وَسَمَى الْوَسْطَاءَ شُفَعَاءَ؛ فَقَالَ فِي سُورَةِ الزُّمَرِ: ﴿أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ﴾ [الزمر: ٤٣].

وَسَمَى الَّذِي يَتَوَسَّطُ لِغَيْرِهِ بِالشَّافِعِ؛ فَقَالَ فِي سُورَةِ النَّسَاءِ: ﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفْعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفْعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقِينًا﴾ [النساء: ٨٥].

وَالَّذِي يَمْلِكُ أَنْ يَقْبَلَ الْوَاسِطَةَ أَوْ يَرُدَّهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاحِدٌ هُوَ اللَّهُ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الزُّمَرِ: ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفْعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٤٣].

= وقد رَدَّ اللهُ عَلَيْهِمْ فِي سُورَةِ الْمُؤْمِنُونَ؛ فَقَالَ: ﴿وَأَنَّهُمْ لَكَذِبُونَ﴾ ١٠ مَا اتَّخَذَ اللهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَتْ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ ﴿[المؤمنون: ٩٠، ٩١]، وَأَمَّا طَرِيقَةُ الْمُسْلِمِينَ فِي الْعِبَادَةِ: فَالْمُسْلِمُونَ لَا يَعْبُدُونَ إِلَّا إِلَهًا وَاحِدًا؛ قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ التَّوْبَةِ: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ [التوبة: ٣١]، وَالْإِلَهُ الْوَاحِدُ الَّذِي يَعْبُدُهُ الْمُسْلِمُونَ هُوَ اللهُ؛ قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ النَّبِيِّ: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ﴾ [البينة: ٥]، وَقَالَ اللهُ فِي سُورَةِ ص: ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ﴾ [ص: ٦٥]، وَقَالَ اللهُ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

(١) وَالشَّفَاعَةُ وَالْوَسِيلَةُ كِلَاهُمَا وَاسِطَةٌ، وَالْفَرْقُ بَيْنَهُمَا: أَنَّ الْوَسِيلَةَ: وَاسِطَةٌ فِي الدُّنْيَا لِتَقْرِيبِ الْعَبْدِ وَقَبُولِ سُؤَالِهِ، وَالشَّفَاعَةُ: وَاسِطَةٌ فِي الْآخِرَةِ فِيمَنْ دَخَلَ النَّارَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ لِيُخْرِجَ مِنْهَا.

وَقَدْ تَحَدَّثَ اللَّهُ عَنِ اخْتِلَافِ الشَّفَاعَةِ، وَالشَّافِعِ، وَالْمَشْفُوعِ فِيهِ،
وَمَنْ يَمْلِكُ الشَّفَاعَةَ فِي دِينِ الْمُشْرِكِينَ وَدِينِ الْمُسْلِمِينَ، وَمَنْ صَرَّحَ اللَّهُ لَهُ
بِالشَّفَاعَةِ، وَمَنْ لَمْ يُصَرِّحْ لَهُ بِالشَّفَاعَةِ.
فَأَمَّا الشَّفَاعَةُ.

فَالشَّفَاعَةُ فِي دِينِ الْمُشْرِكِينَ: يَقُولُونَ أَنْ آهَتَهُمْ تَتَوَسَّطُ لِمَنْ عَبْدَهَا
عِنْدَ اللَّهِ أَنْ لَا يُدْخِلَهُمُ النَّارَ.

فَكَشَفَ اللَّهُ قُوَّاهُمْ فِي سُورَةِ يُونُسَ؛ فَقَالَ: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ
اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعُونَا عِنْدَ اللَّهِ﴾
[يونس: ١٨].

وَرَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ فِي سُورَةِ الرُّومِ؛ فَقَالَ: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِنْ شُرَكَائِهِمْ
شُفَعَاؤُ﴾ [الرُّوم: ١٣].

وَالشَّفَاعَةُ فِي دِينِ الْمُسْلِمِينَ: هِيَ التَّصَدِيقُ بِمَا أَخْبَرَ اللَّهُ بِهِ مِنْ إِذْنِهِ
لِلْمَلَائِكَةِ، وَالنَّبِيِّينَ، وَالْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَتَوَسَّطُوا لِلْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ لَمْ يُشْرِكُوا،
وَدَخَلُوا النَّارَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا.

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يُوتَى بِالْجِسْرِ
فَيُجْعَلُ بَيْنَ ظَهْرِي جَهَنَّمَ؛ فَنَاجٍ مُسْلِمٌ، وَنَاجٍ مَخْدُوشٌ، وَمَكْدُوشٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، حَتَّى
يَمُرَّ آخِرُهُمْ يُسْحَبُ سَحْبًا؛ فَيَشْفَعُ النَّبِيُّونَ وَالْمَلَائِكَةُ وَالْمُؤْمِنُونَ» [رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ] ^(١).

(١) «صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ»: [بَابُ قَوْلِ اللَّهِ: ﴿وَمَنْ يُؤْمِرْ بِأَخِيهِ أَنْ يَضُرَّهُ﴾] إِلَى رَهْمَا نَاطِرُهُ ﴿﴾].

وَأَمَّا الْمَالِكُ لِلشَّفَاعَةِ:

فَالْمَالِكُ لِلشَّفَاعَةِ فِي دِينِ الْمُشْرِكِينَ: اهْتُمُّهُمْ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ يُوسُفَ: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعْنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ [يونس: ١٨].

فَرَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ فِي سُورَةِ الزَّخْرَفِ؛ فَقَالَ: ﴿وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفْعَةَ﴾ [الزخرف: ٨٦].

وَالْمَالِكُ لِلشَّفَاعَةِ فِي دِينِ الْمُسْلِمِينَ: هُوَ اللَّهُ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الزَّمَرِ: ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفْعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٤٤].

وَأَمَّا الْمَشْفُوعُ فِيهِ:

فَالْمَشْفُوعُ فِيهِ فِي دِينِ الْمُشْرِكِينَ هُمُ الْكَفَّارُ وَالْمُشْرِكُونَ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ يُوسُفَ: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعْنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ [يونس: ١٨].

فَرَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ فِي سُورَةِ الْمَدَّثَرِ؛ فَقَالَ: ﴿فَمَا نَنْفَعُهُمْ شَفْعَةُ الشَّفِيعِينَ﴾ [المدثر: ٤٨].

وَالْمَشْفُوعُ فِيهِ فِي دِينِ الْمُسْلِمِينَ هُمُ الْمُسْلِمُونَ الَّذِينَ لَمْ يُشْرِكُوا، وَدَخَلُوا النَّارَ.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ الْمَلَائِكَةَ أَنْ يُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا مِمَّنْ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» [رواه البخاري] (١).

(١) «صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ»: بَابُ قَوْلِ اللَّهِ: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ﴾ (٢٢) إِلَى رِبَّهَا نَاطِرَةٌ.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «وَأِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ فَهِيَ نَائِلَةٌ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ -، مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا» [رواه مُسْلِمٌ] ^(١).

وَأَمَّا الشَّافِعُ:

فَالشَّافِعُ فِي دِينِ الْمُشْرِكِينَ آهَتُهُمْ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ: ﴿وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ﴾ [الأنعام: ٩٤].

وَالشَّافِعُ فِي دِينِ الْمُسْلِمِينَ الْمَلَائِكَةُ، وَالْأَنْبِيَاءُ، وَالْمُؤْمِنُونَ، وَاللَّهُ يَشْفَعُ عِنْدَ نَفْسِهِ؛ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: شَفَعَتِ الْمَلَائِكَةُ، وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ، وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ، فَيُخْرِجُ مِنْهَا قَوْمًا» [رواه مُسْلِمٌ] ^(٢).

وَقَدْ أَنْكَرَ بَعْضُ الْمُسْلِمِينَ مِنَ الْمُعْتَزِلَةِ وَالْخَوَارِجِ.

مَا أَخْبَرَ اللَّهُ بِهِ مِنْ شَفَاعَةِ الْمَلَائِكَةِ، وَالْأَنْبِيَاءِ، وَالْمُؤْمِنِينَ فِي الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ دَخَلُوا النَّارَ؛ فَقَالُوا: لَا شَفَاعَةَ لِلْمُسْلِمِينَ؛ لِأَنَّ أَصْحَابَ الْكِبَائِرِ عِنْدَهُمْ كُفَّارٌ، وَمُحَلَّدُونَ فِي النَّارِ.

وَحَرَّفُوا الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ سُنَّةَ أَهْلِ الْكِتَابِ؛ فَاسْتَدَلُّوا بِأَدِلَّةٍ تَحْرِيمِ الشَّفَاعَةِ فِي الْكُفَّارِ عَلَى تَحْرِيمِ الشَّفَاعَةِ فِي الْمُسْلِمِينَ!

(١) «صَحِيحُ مُسْلِمٍ»: [بَابُ اخْتِبَاءِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَعْوَةَ الشَّفَاعَةِ لِأُمَّتِهِ].

(٢) «صَحِيحُ مُسْلِمٍ»: [بَابُ مَعْرِفَةِ طَرِيقِ الرُّؤْيَا].

فَرَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ؛ فَقَالَ فِي سُورَةِ طه: ﴿يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾ [طه: ١٠٩].

وَرَدَّ عَلَيْهِمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: شَفَعَتِ الْمَلَائِكَةُ، وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ، وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ، فَيُخْرِجُ مِنْهَا قَوْمًا» [رَوَاهُ مُسْلِمٌ] ^(١).

وَادَّعَى بَعْضُ الْمُسْلِمِينَ مِنَ الْمُرْجئة أَنَّ اللَّهَ يُخْرِجُ مِنَ النَّارِ بِالشَّفَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ تَرَكُوا الْعَمَلَ مِنَ الصَّلَاةِ، وَالصَّيَامِ، وَجَمِيعِ الْأَعْمَالِ، وَقَالُوا: الْأَعْمَالُ لَيْسَتْ مِنَ الْإِيمَانِ.

فَرَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ؛ فَقَالَ فِي سُورَةِ التَّوْبَةِ: ﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ﴾ [التوبة: ١٠٥].

وَأَمَرَهُمُ بِالْعَمَلِ؛ فَقَالَ فِي سُورَةِ الْكَهْفِ: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا﴾ [الكهف: ١١٠].

وَلَمْ يَشْهَدْ بِالْإِيمَانِ حَقًّا إِلَّا لِمَنْ عَمِلَ؛ فَقَالَ فِي سُورَةِ الْأَنْفَالِ: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ [الأَنْفَال: ٢-٤].

(١) «صَحِيحُ مُسْلِمٍ»: [بَابُ مَعْرِفَةِ طَرِيقِ الرُّؤْيَةِ].

وَلَمْ يَعِدْ بِالْأَمْنِ إِلَّا مَنْ عَمِلَ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَءَاتَوْا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٧].

وَجَعَلَ الشَّفَاعَةَ لِلْمُؤْمِنِ عَمَلٍ، وَدَخَلَ النَّارَ؛ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يُؤْتَى بِالْجِسْرِ فَيُجْعَلُ بَيْنَ ظَهْرِي جَهَنَّمَ، فَيَمُرُّ الْمُؤْمِنُونَ، فَنَاجٍ مُسَلِّمٌ، وَمَخْدُوشٌ مُرْسَلٌ، وَمَكْدُوشٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، حَتَّى يَمُرَّ آخِرُهُمْ يُسْحَبُ سَحْبًا، فَمَا أَنْتُمْ بِأَشَدَّ لِي مُنَاشِدَةً فِي الْحَقِّ مِنَ الْمُؤْمِنِ يَوْمَئِذٍ لِلْجَبَّارِ فِي إِخْوَانِهِمْ، يَقُولُونَ: رَبَّنَا إِخْوَانُنَا، كَانُوا يُصَلُّونَ مَعَنَا، وَيَصُومُونَ مَعَنَا، وَيَعْمَلُونَ مَعَنَا، فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: اذْهَبُوا، فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ دِينَارٍ مِنْ إِيْمَانٍ فَأَخْرِجُوهُ، وَيَحْرِمُ اللَّهُ صُورَهُمْ عَلَى النَّارِ، فَيُخْرِجُونَ مَنْ عَرَفُوا» [رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ] ^(١).

وَأَمَّا تَصَارِيحُ الشَّفَاعَةِ فَلَا يُسْمَحُ بِالشَّفَاعَةِ إِلَّا لِمَنْ يَحْمِلُ تَصْرِيحًا بِهَا مِنَ اللَّهِ.

قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ سَبَأٍ: ﴿وَلَا نَنْفَعُ الشَّفِيعَةَ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾ [سبأ: ٢٣].

وَقَدْ صَرَّحَ اللَّهُ لِلْمَلَائِكَةِ، وَالنَّبِيِّينَ، وَالْمُؤْمِنِينَ فِي الشَّفَاعَةِ فِي الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ دَخَلُوا النَّارَ بِثَلَاثَةِ شُرُوطٍ:

(١) «صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ»: [بَابُ قَوْلِ اللَّهِ: ﴿وَمَنْ يُؤْمِرْ بِأَخِيهِ أَنْ يَضُرَّهُ﴾ (٢٢) إِلَى رِيهَا نَاطِرَةً].

الشَّرْطُ الْأَوَّلُ: أَنْ يَسْتَأْذِنُوا مِنَ اللَّهِ قَبْلَ أَنْ يَشْفَعُوا؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وَقَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ يُونُسَ: ﴿مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ﴾ [يونس: ٣].
الشَّرْطُ الثَّانِي: أَنْ لَا يَشْفَعُوا فِي الْكُفَّارِ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْمَدَّثِرِ: ﴿فَمَا نَنْفَعُهُمْ^(١) شَفَعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ [المدثر: ٤٨].

وَقَالَ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ: ﴿يَوْمَ لَا بَيْعُ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٤].

وَقَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ غَافِرٍ: ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر: ١٨].

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «تُمْ تَحِلُّ الشَّفَاعَةَ، وَيَشْفَعُونَ حَتَّى يَخْرُجَ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» [رواه مسلم]^(٢).
فَكُلُّ نَفْسٍ كَافِرَةٍ مَنَعَ اللَّهُ الشَّفَاعَةَ فِيهَا؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ: ﴿وَلَا نَنْفَعُهَا شَفَعَةٌ﴾ [البقرة: ١٢٣].

وَقَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ: ﴿وَذَكَرْ بِهِ أَنْ تُبْسَلَ^(٣) نَفْسٌ يَمَّا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾ [الأنعام: ٧٠].

الشَّرْطُ الثَّالِثُ: أَنْ لَا يَشْفَعُوا فِي الْمُسْلِمِ الْمُشْرِكِ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْأَنْبِيَاءِ: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ أُرِضَ﴾ [الأنبياء: ٢٨].

(١) فَمَا تَنْفَعُهُمْ أَي: [لَا يَنْتَفِعُونَ بِوُجُودِ الشَّافِعِينَ؛ لِأَنَّ الشَّافِعِينَ مُنْعُوا مِنَ الشَّفَاعَةِ فِي الْكُفَّارِ].

(٢) «صَحِيحٌ مُسْلِمٌ»: [بَابُ أَذْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلُهُ فِيهَا].

(٣) تُبْسَلُ: تُجْبَسُ.

شُرُوطُ شَفَاعَةِ الْمَلَائِكَةِ فِي الْمُسْلِمِينَ ثَلَاثَةٌ

الشَّرْطُ الْأَوَّلُ: أَنْ يَسْتَأْذِنُوا مِنَ اللَّهِ قَبْلَ أَنْ يَشْفَعُوا؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ النَّجْمِ: ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾ [النجم: ٢٦].

الشَّرْطُ الثَّانِي: أَنْ لَا يَشْفَعُوا فِي مُسْلِمٍ مُشْرِكٍ مَاتَ عَلَى الشِّرْكِ؛ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِذَا فَرَغَ اللَّهُ مِنَ الْقَضَاءِ بَيْنَ الْعِبَادِ، وَأَرَادَ أَنْ يُخْرِجَ بِرَحْمَتِهِ مَنْ أَرَادَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ أَمْرَ الْمَلَائِكَةِ أَنْ يُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا مِمَّنْ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ». [رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ ^(١)، وَمُسْلِمٌ ^(٢)].

الشَّرْطُ الثَّلَاثُ: أَنْ لَا يَشْفَعُوا فِي الْمُسْلِمِ الَّذِي آمَنَ، وَنَطَقَ الشَّهَادَتَيْنِ. وَتَرَكَ الْعَمَلَ مِنَ الصَّلَاةِ، وَالصَّيَامِ، وَغَيْرِهَا؛ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِذَا فَرَغَ اللَّهُ مِنَ الْقَضَاءِ بَيْنَ الْعِبَادِ، وَأَرَادَ أَنْ يُخْرِجَ بِرَحْمَتِهِ مَنْ أَرَادَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ أَمْرَ الْمَلَائِكَةِ أَنْ يُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا مِمَّنْ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؛ فَيَعْرِفُونَهُمْ بِعَلَامَةِ آثَارِ السُّجُودِ ^(٣)».

(١) «صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ»: [بَابُ قَوْلِ اللَّهِ: ﴿وَمِنْهُمْ نَاصِرَةٌ﴾ ^(٢٢) إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ] .

(٢) «صَحِيحُ مُسْلِمٍ»: [بَابُ طَرِيقِ مَعْرِفَةِ الرُّؤْيَةِ] .

(٣) وَكُلُّ دَلِيلٍ تَعَلَّقَ بِهِ الْمُرْجُئَةُ أَنَّ مَنْ تَرَكَ الْعَمَلَ مِنَ الصَّلَاةِ وَالصَّيَامِ وَغَيْرِهَا كَانَ مُؤْمِنًا وَيُشْفَعُ فِيهِ وَيُخْرِجُ مِنَ النَّارِ، فَهُوَ مِنَ الْمُتَشَابِهِ الَّذِي أَمَرَنَا اللَّهُ بِالْإِيْمَانِ بِهِ، وَمَهَانَا عَنِ الْعَمَلِ بِهِ؛ لِأَنَّ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ نَوَعَانِ: نَوْعٌ مُحْكَمٌ أَمَرَنَا اللَّهُ بِالْإِيْمَانِ بِهِ وَالْعَمَلِ بِهِ، وَنَوْعٌ مُتَشَابِهٌ أَمَرَنَا اللَّهُ بِالْإِيْمَانِ بِهِ وَمَهَانَا =

فَيُخْرِجُونَهُمْ» [رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ^(١)، وَمُسْلِمٌ^(٢)].

شُرُوطُ شَفَاعَةِ الْأَنْبِيَاءِ فِي الْمُسْلِمِينَ ثَلَاثَةٌ

الشَّرْطُ الْأَوَّلُ: أَنْ يَسْتَأْذِنُوا مِنْ اللَّهِ قَبْلَ أَنْ يَشْفَعُوا.

قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

الشَّرْطُ الثَّانِي: أَنْ لَا يَشْفَعُوا فِي مُسْلِمٍ مُشْرِكٍ مَاتَ عَلَى الشِّرْكِ؛ قَالَ

اللَّهُ فِي سُورَةِ الْأَنْبِيَاءِ: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى﴾^(٣) [الأنبياء: ٢٨].

= **عَنِ الْعَمَلِ بِهِ؛** قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ

هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَبِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٧].

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: تَلَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَذِهِ الْآيَةَ فَقَالَ: «فَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ

مَا تَشَبَهَ مِنْهُ؛ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ سَمَى اللَّهُ فَاحْذَرُوهُمْ» [رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ].

وَمِنَ الْمُتَشَابِهِ الَّذِي تَعَلَّقَتْ بِهِ الْمُرْجَّةُ فِي الشَّفَاعَةِ فِي الْمُؤْمِنِ الَّذِي لَمْ يَعْمَلْ أَيْ عَمَلٍ مِنْ صَلَاةٍ

أَوْ صِيَامٍ أَوْ غَيْرِهَا: لَفْظَةُ فِي حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ فِي حَدِيثِ الشَّفَاعَةِ، عَارَضَتْ جَمِيعَ نُصُوصِ

الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ الَّتِي أَمَرَتِ الْمُؤْمِنَ بِالْعَمَلِ، وَعَارَضَتْ جَمِيعَ أَلْفَاظِ أَحَادِيثِ الشَّفَاعَةِ الَّتِي شُفِعَ

فِيهَا لِلْمُؤْمِنِ الَّذِي عَمَلَ، وَأَوَّلُ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ يَرُدُّ اللَّفْظَةَ الَّتِي فِي آخِرِهِ، وَإِلَيْكَ الْحَدِيثُ؛ عَنْ

أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «فَمَا أَنْتُمْ بِأَشَدَّ لِي مُنَاشِدَةً فِي الْحَقِّ، مِنْ الْمُؤْمِنِ

يَوْمَئِذٍ لِلْجَبَّارِ فِي إِخْوَانِهِمْ، يَقُولُونَ: رَبَّنَا إِخْوَانُنَا، كَانُوا يُصَلُّونَ مَعَنَا، وَيَصُومُونَ مَعَنَا، وَيَعْمَلُونَ

مَعَنَا، فَيُخْرِجُ أَقْوَامًا فَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ، أَدْخَلَهُمُ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ عَمَلٍ عَمِلُوهُ، وَلَا خَيْرٍ قَدَّمُوهُ». [رواه

البخاري]، فطار المرجئة بآخر الحديث وتركوا أول الحديث: «كَانُوا يُصَلُّونَ مَعَنَا، وَيَصُومُونَ

مَعَنَا، وَيَعْمَلُونَ مَعَنَا».

(١) «صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ»: [بَابُ قَوْلِ اللَّهِ: ﴿وَيَوْمَئِذٍ نَأْصِرُهُ﴾^(٢٢) إِلَى رَحِمَا نَاطِرُهُ] .

(٢) «صَحِيحُ مُسْلِمٍ»: [بَابُ طَرِيقِ مَعْرِفَةِ الرُّؤْيَةِ].

(٣) «إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى مَعْنَاهَا: لَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ رَضِيَ اللَّهُ قَوْلَهُ وَعَمَلَهُ؛ قَالَ اللَّهُ: ﴿وَاللَّسِيْقُونَ

مِنَ الْمُهْجَرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [التوبة: ١٠].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ، فَتَعَجَّلْ كُلُّ نَبِيٍّ دَعْوَتَهُ، وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِّأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ فَهِيَ نَائِلَةٌ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا».

[رَوَاهُ مُسْلِمٌ] ^(١).

الشَّرْطُ الثَّلَاثُ: أَنْ لَا يَشْفَعُوا فِي الْمُسْلِمِ الَّذِي آمَنَ، وَنَطَقَ الشَّهَادَتَيْنِ وَتَرَكَ الْعَمَلَ مِنَ الصَّلَاةِ، وَالصَّيَامِ، وَغَيْرِهَا.

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يُؤْتَى بِالْجِسْرِ فَيُجْعَلُ بَيْنَ ظَهْرِي جَهَنَّمَ، فَنَاجٍ مُسْلِمٌ، وَنَاجٍ مَخْدُوشٌ، وَمَكْدُوسٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، حَتَّى يَمُرَّ آخِرُهُمْ يُسْحَبُ سَحْبًا، فَيَشْفَعُ النَّبِيُّونَ وَالْمَلَائِكَةُ وَالْمُؤْمِنُونَ».

[رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ] ^(٢).

شُرُوطُ شَفَاعَةِ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْمُسْلِمِينَ ثَلَاثَةٌ

الشَّرْطُ الْأَوَّلُ: أَنْ يَسْتَأْذِنُوا مِنَ اللَّهِ قَبْلَ أَنْ يَشْفَعُوا؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ سَبَأٍ: ﴿وَلَا نَنْفَعُ الشَّفْعَةَ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾ [سَبَأٌ: ٢٣].

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «ثُمَّ يُضْرَبُ الْجِسْرُ عَلَى جَهَنَّمَ، وَتَحِلُّ الشَّفَاعَةُ» [رَوَاهُ مُسْلِمٌ] ^(٣).

(١) «صَحِيحُ مُسْلِمٍ»: [بَابُ اخْتِبَاءِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَعْوَةَ الشَّفَاعَةِ لِأُمَّتِهِ].

(٢) «صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ»: [بَابُ قَوْلِ اللَّهِ: ﴿وَجُوهٌ يُؤْمِنُ فَآخِرُهُ﴾ (٢٣) إِلَى رَحِمَا نَاطِرَةٍ].

(٣) «صَحِيحُ مُسْلِمٍ»: [بَابُ مَعْرِفَةِ طَرِيقِ الرُّؤْيَةِ].

الشَّرْطُ الثَّانِي: أَنْ لَا يَشْفَعُوا فِي مُسْلِمٍ مُشْرِكٍ مَاتَ عَلَى الشِّرْكِ.

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «ثُمَّ تَحِلُّ الشَّفَاعَةُ، وَيَشْفَعُونَ حَتَّى يَخْرُجَ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَكَانَ فِي قَلْبِهِ ^(١) مِنَ الْخَيْرِ مَا يَزِنُ شَعِيرَةً» [رَوَاهُ مُسْلِمٌ] ^(٢).

الشَّرْطُ الثَّلَاثُ: أَنْ لَا يَشْفَعُوا فِي الْمُسْلِمِ الَّذِي آمَنَ، وَنَطَقَ الشَّهَادَتَيْنِ وَتَرَكَ الْعَمَلَ مِنَ الصَّلَاةِ، وَالصِّيَامِ، وَغَيْرِهَا.

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يُؤْتَى بِالْجَسْرِ فَيُجْعَلُ بَيْنَ ظَهْرِي جَهَنَّمَ، فَيَمُرُّ الْمُؤْمِنُونَ، فَنَاجٍ مُسْلِمٌ، وَمَخْدُوشٌ مُرْسَلٌ، وَمَخْدُوشٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، حَتَّى يَمُرَّ آخِرُهُمْ يُسْحَبُ سَحْبًا، فَمَا أَنْتُمْ بِأَشَدَّ لِي مُنَاشِدَةً فِي الْحَقِّ مِنَ الْمُؤْمِنِ يَوْمَئِذٍ لِلْجَبَّارِ فِي إِخْوَانِهِمْ، يَقُولُونَ: رَبَّنَا إِخْوَانُنَا، كَانُوا يُصَلُّونَ مَعَنَا، وَيَصُومُونَ مَعَنَا، وَيَعْمَلُونَ مَعَنَا، فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: اذْهَبُوا، فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ دِينَارٍ مِنْ إِيْمَانٍ فَأَخْرِجُوهُ، وَيُحَرِّمُ اللَّهُ صُورَهُمْ عَلَى النَّارِ، فَيُخْرِجُونَ مَنْ عَرَفُوا» [رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ] ^(٣).

الشَّرْطُ الرَّابِعُ: أَنْ لَا يَشْفَعُوا فِي الْمُسْلِمِ الَّذِي آمَنَ، وَنَطَقَ الشَّهَادَتَيْنِ، وَتَرَكَ الْعَمَلَ مِنَ الصَّلَاةِ، وَالصِّيَامِ، وَغَيْرِهَا بِفَتْوَى الْمُرْجئةِ بِالرَّأْيِ.

(١) في هذا رد على بعض المسلمين من المرجئة الذين قالوا: إن الإيمان ثابت لا يزيد ولا ينقص.

(٢) «صَحِيحُ مُسْلِمٍ»: [بَابُ أَذْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلُهُ فِيهَا]

(٣) «صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ»: [بَابُ قَوْلِ اللَّهِ: ﴿وَمَنْ يُؤْمِرْ نَاصِرَةً﴾ (٢٢) إِلَى رِيهَا نَاطِرَةً]].

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «فَمَا أَنْتُمْ بِأَشَدَّ لِي مُنَاشِدَةً فِي الْحَقِّ مِنَ الْمُؤْمِنِ يَوْمئِذٍ لِلْجَبَّارِ فِي إِخْوَانِهِمْ، يَقُولُونَ: رَبَّنَا إِخْوَانُنَا، كَانُوا يُصَلُّونَ مَعَنَا، وَيَصُومُونَ مَعَنَا، وَيَعْمَلُونَ مَعَنَا» [رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ] ^(١).

وَأَمَّا شُفَعَاءُ الْمُشْرِكِينَ فَلَا يَحْمِلُونَ أَيَّ تَصْرِيحٍ مِنَ اللَّهِ بِالشَّفَاعَةِ عِنْدَهُ.

قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الزُّمَرِ: ﴿أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا﴾ [الزمر: ٤٣].

وَلَنْ يَشْفَعَ شُفَعَاءُ الْمُشْرِكِينَ فِيهِمْ لَعَدَمِ وُجُودِ تَصْرِيحٍ عِنْدَهُمْ بِالشَّفَاعَةِ.
قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الرُّومِ: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِّنْ شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاءُ وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ﴾ [الروم: ١٣].

وَقَوْلُ الْمُشْرِكِينَ لِلنَّاسِ بِأَنَّ عِنْدَ آلِهَتِهِمْ تَصَارِيحَ بِالشَّفَاعَةِ، كَذِبٌ كَشَفَهَا اللَّهُ، وَرَدَّ عَلَيْهَا؛ فَقَالَ فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ: ﴿وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ [الأنعام: ٩٤].

فَالْمُشْرِكُ ضَلَّ طَرِيقَ الْمَالِكِ لِلشَّفَاعَةِ، وَطَرِيقَ الشَّافِعِ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ النَّسَاءِ: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ﴾ [النساء: ١١٦].

(١) «صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ»: [بَابُ قَوْلِ اللَّهِ: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ﴾] إِلَى رَحْمَتِهَا نَاطِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَى رَحْمَتِهَا نَاطِرَةٌ ﴿٢٣﴾.

فَلِلْمُسْلِمِينَ دِينٌ وَطَرِيقَةٌ، وَلِلْمُشْرِكِينَ دِينٌ وَطَرِيقَةٌ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ
 الْكَافُرُونَ: ﴿قُلْ يَتَّيِّهَا الْكَافِرُونَ ۝١ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢
 وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۝٣ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ ۝٤ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ
 مَا أَعْبُدُ ۝٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينٌ﴾ [سورة الكافرون].

وَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ الْمُسْلِمَ أَنْ يَرُدَّ عَلَى كُلِّ مَنْ يَدْعُوهُ لِدِينِ الْمُشْرِكِينَ؛ فَقَالَ فِي
 سُورَةِ الزُّمَرِ: ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونَنِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ﴾ [الزمر: ٦٤].

وَتَوَعَّدَ اللَّهُ كُلَّ مَنْ اسْتَبَدَلَ دِينَ الْمُسْلِمِينَ بِدِينِ الْمُشْرِكِينَ؛ فَقَالَ فِي سُورَةِ
 الْحَجَرِ: ﴿الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ [الحجر: ٩٦].
 وَاللَّهُ أَعْلَمُ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.



الدَّرْسُ السَّادِسُ عَشَرَ^(١)

اللَّهُ يَتَحَدَّثُ عَنِ الَّذِينَ غَيَّرُوا دِينَ الْإِسْلَامِ وَفَرَّقُوا جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ



الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ، عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ الْإِنْسَانَ، عَلَّمَهُ الْبَيَانَ، وَالصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ عَلَى الَّذِي لَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى، إِنَّهُ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى، أَمَّا بَعْدُ:

فَسَوْفَ نَسْتَمِعُ إِلَى اللَّهِ لِيُحَدِّثَنَا عَنِ الَّذِينَ غَيَّرُوا دِينَ الْإِسْلَامِ، وَفَرَّقُوا جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ فِي جَمِيعِ شَرَائِعِ اللَّهِ، وَالطَّرِيقِ الَّتِي سَلَكَوْهَا؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ النَّسَاءِ: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٨٧].

فَأَمَّا الَّذِينَ غَيَّرُوا دِينَ الْإِسْلَامِ، وَفَرَّقُوا جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ فِي جَمِيعِ شَرَائِعِ اللَّهِ.

فَهُمُ الْمُبْتَدِعَةُ؛ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «خَيْرُ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلُّ بَدْعٍ ضَلَالَةٌ» [رَوَاهُ مُسْلِمٌ]^(٢).

(١) اجْعَلْهُ خُطْبَةً، وَمُخَاصَرَةً، وَدَرْسًا، وَكَلِمَةً، وَبَرْنَجًا فِي الْإِذَاعَةِ أَوْ التَّلَافُزِ، وَمَتْنًا حَفِظَهُ.

(٢) «صحيح مسلم» بَابُ: تَخْفِيفِ الصَّلَاةِ وَالْخُطْبَةِ

وَأَمَّا تَغْيِيرُ الْمُبْتَدِعَةِ لِدِينِ الْإِسْلَامِ..

فَالْمُبْتَدِعَةُ قَبْلَ نُوْحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ هُمُ الَّذِينَ غَيَّرُوا دِينَ الْإِسْلَامِ الَّذِي فَطَرَهُ اللَّهُ النَّاسَ عَلَيْهِ، وَاسْتَبَدَّلُوهُ بِدِينِ الْمُشْرِكِينَ، فَأَرْسَلَ اللَّهُ نُوحًا لِرَدِّهِمْ إِلَى دِينِ الْإِسْلَامِ فَعَصَوْهُ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ نُوحٍ: ﴿وَقَالُوا (١) لَا نَذَرُنَّ (٢) إِلَهَتَكُمْ (٣) وَلَا نَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ [نوح: ٢٣].

فَوَدٌّ: رَجُلٌ صَالِحٌ عَظُمُوهُ فَعَبَدُوهُ، وَسُوَاعٌ: رَجُلٌ صَالِحٌ عَظُمُوهُ فَعَبَدُوهُ، وَيَعُوثٌ: رَجُلٌ صَالِحٌ عَظُمُوهُ فَعَبَدُوهُ، وَنَسْرٌ: رَجُلٌ صَالِحٌ عَظُمُوهُ فَعَبَدُوهُ.

(١) الْقَائِلُ قَوْمُ نُوحٍ؛ قَالَ اللَّهُ: ﴿قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنِّي هُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مِنْ لَدُنِّي مَا لَهُ، وَلَوْلَاهُ إِلَّا خَسَارًا (١١) وَمَكْرُؤًا مَكْرًا كَبَارًا (١٢)﴾ وَقَالُوا لَا نَذَرُنَّ إِلَهَتَكُمْ.

(٢) ﴿لَا نَذَرُنَّ إِلَهَتَكُمْ﴾ أَيُّ: لَا تَتْرُكَنَّ عِبَادَةَ مَعْبُودَاتِكُمْ مِنَ الْأَوْلِيَاءِ. وَنَذَرَ مَعْنَاهَا: تَتْرَكَ؛ قَالَ اللَّهُ: ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ، وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾ [الأعراف: ٧٠].

وَقَالَ اللَّهُ: ﴿وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثَّتًا﴾ [مريم: ٧٢].

وَقَالَ اللَّهُ: ﴿وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الأنعام: ١١٠].

وَيَذَرُ: يَتْرِكُ؛ قَالَ اللَّهُ: ﴿وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٦].

لَا تَذَرُنَّ: لَا تَتْرُكُنَّ؛ قَالَ اللَّهُ: ﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٩].

وَلَا تَذَرُنَّ: لَا تَتْرُكُنَّ؛ قَالَ اللَّهُ: ﴿وَلَا نَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ [نوح: ٢٣].

(٣) إِلَهَتَكُمْ مَعْنَاهَا: مَعْبُودَاتِكُمْ؛ قَالَ اللَّهُ: ﴿فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [هود: ١٠١].

وَالْإِلَهِ: هُوَ الْمَعْبُودُ؛ قَالَ اللَّهُ: ﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَحْدٌ فَإِنِّي فَأَرْهَبُونُ﴾ [النحل: ٥١].

وَسَمُّوهُمْ آلِهَةً. ﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ﴾.

فَرَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ فِي سُورَةِ الْمُؤْمِنُونَ؛ فَقَالَ: ﴿وَأِنَّهُمْ لَكَذِبُونَ﴾^(١)
مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ ﴿[المؤمنون: ٩٠، ٩١].

وَالْمُبْتَدِعَةَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى، وَعِيسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، هُمُ الَّذِينَ
غَيَّرُوا دِينَ الْإِسْلَامِ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى وَعِيسَى، وَاسْتَبَدَّلُوهُ بِدِينِ الْمُشْرِكِينَ.
قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ التَّوْبَةِ: ﴿اتَّخِذُوا أَحْبَابَهُمْ^(١) وَرُهْبَنَهُمْ^(٢) أَرْبَابًا^(٣)
مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا

(١) الْعُلَمَاءُ سَمَّاهُمْ اللَّهُ فِي التَّوْرَةِ: أَحْبَارًا، وَفِي الْإِنْجِيلِ: رَبَّانِيِّينَ؛ قَالَ اللَّهُ: ﴿لَوْ لَا يَنْهَاهُمْ رَبِّيَنِيُونَ
وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمْ آلِهَةً وَأَكْلِهِمْ السَّحْتِ لَيْتَسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [المائدة: ٦٣].

وَفِي الْقُرْآنِ: عُلَمَاءٌ؛ قَالَ اللَّهُ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨].

(٢) وَرُهْبَنَهُمْ ﴿أَيُّ: عِبَادَهُمْ؛ لِأَنَّ اللَّهَ سَمَّى عُلَمَاءَ النَّصَارَى: قِسِّيسِينَ، وَسَمَّى عِبَادَهُمْ: رُهْبَانًا؛
قَالَ اللَّهُ: ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَرْتُكَ ذَلِكَ بِأَنَّ
مِنْهُمْ قَسِيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنْهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [المائدة: ٨٢].

(٣) ﴿أَرْبَابًا﴾ ﴿أَيُّ: مَعْبُودِينَ؛ قَالَ اللَّهُ: ﴿وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَّامُكُمْ
بِالْكَفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٨٠].

وَقَالَ اللَّهُ: ﴿قُلْ يَتَاهَلِ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ
وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا
مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤].

وَقَالَ اللَّهُ -حِكَايَةً عَنْ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ-: ﴿يَصْدِحِي السِّجْنَ ءَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ
الْوَحِيدُ الْقَهَّارُ﴾ [يوسف: ٣٩].

وَالْمَعْبُودُ لَا يَصْلُحُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ رَبًّا يَخْلُقُ وَيَرْزُقُ وَيُحْيِي وَيُمِيتُ؛ قَالَ اللَّهُ: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ
ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكَ مِمَّنْ شَيْءٌ سُبْحَنَهُ
وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الروم: ٤٠].

إِلَٰهَا وَحْدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَنَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾

[التوبة: ٣١].

فَمِنْ دِينِ الْإِسْلَامِ مَا أَخْفَاهُ الْمُبْتَدِعَةُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ: ﴿قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ (١) يُبَدُونَهَا (٢) وَتُخْفُونَ (٣) كَثِيرًا﴾ [الأنعام: ٩١].

(١) ﴿قَرَّاطِيسَ﴾ مَعْنَاهَا: صُحُفٌ وَدَفَاتِيرُ، وَالصَّحِيفَةُ تُسَمَّى قَرَّطَاسًا، وَالْدَّفْترُ يُسَمَّى قَرَّطَاسًا؛ قَالَ اللَّهُ: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قَرَّاطِيسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ [الأنعام: ٧].

(٢) ﴿يُبَدُونَهَا﴾ مَعْنَاهَا: تُظْهِرُونَهَا؛ قَالَ اللَّهُ: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾ [النور: ٢٩].
وَبَدَا مَعْنَاهَا فِي الْقُرْآنِ ظَهَرَ؛ قَالَ اللَّهُ: ﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا﴾ [الجنَّة: ٣٣].
وَقَالَ اللَّهُ: ﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا﴾ [الزمر: ٤٨].
وَقَالَ اللَّهُ: ﴿وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾ [الزمر: ٤٧].
وَقَالَ اللَّهُ: ﴿بَلْ بَدَا لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ﴾ [الأنعام: ٢٨].
وَقَالَ اللَّهُ: ﴿ثُمَّ بَدَا لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا آيَاتِنَا لَيْسَ جُنَّتْهُ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ [يوسف: ٣٥].
وَيَبْدِي يَظْهَرُ؛ قَالَ اللَّهُ: ﴿إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِيَ بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [القصص: ١٠].

وَيُبْدُونَ يُظْهِرُونَ؛ قَالَ اللَّهُ: ﴿يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ﴾ [آل عمران: ١٥٤].
(٣) ﴿وَتُخْفُونَ﴾ مَعْنَاهَا فِي الْقُرْآنِ: تَكْتُمُونَ؛ قَالَ اللَّهُ: ﴿وَإِنْ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٤٦].

وَقَالَ اللَّهُ: ﴿وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ﴾ [النساء: ٣٧].
وَقَالَ اللَّهُ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لُبِّيْنَهُ، لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾ [آل عمران: ١٨٧].

وَأَخْفَى: مَعْنَاهَا فِي الْقُرْآنِ: كَتَمَ؛ قَالَ اللَّهُ: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٤٠].

وَيُخْفِي: يَكْتُمُ؛ قَالَ اللَّهُ: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ﴾ [غافر: ٢٨]. =

وَمِنْ دِينِ الْإِسْلَامِ مَا بَدَّلَهُ الْمُبْتَدِعَةُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ بغيرِهِ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ: ﴿أَفَنظَمُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ، ^(١) مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ ^(٢) وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٧٥].

فَبَدَّلَ الْمُبْتَدِعَةُ دِينَ الْإِسْلَامِ الَّذِي كَتَبَهُ اللَّهُ ^(٣) بِدِينِ الْكُفْرِ وَالشِّرْكِ الَّذِي كَتَبُوهُ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾ [البقرة: ٧٩].

وَبَدَّلَ الْمُبْتَدِعَةُ دِينَ الْإِسْلَامِ الَّذِي قَالَهُ اللَّهُ بِدِينِ الْكُفْرِ وَالشِّرْكِ الَّذِي قَالُوهُ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُونِ السِّنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ

= وَنُخْفِي: نَكْتُمُ؛ قَالَ اللَّهُ: ﴿وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذَا لَمِنَ الْأَئِمِينَ﴾ [المائدة: ١٠٦].
وَيُخْفُونَ: يَكْتُمُونَ؛ قَالَ اللَّهُ: ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٧].

(١) ﴿يُحَرِّفُونَهُ، مَعْنَاهَا: يُبَدِّلُونَهُ وَيُغَيِّرُونَهُ.
وَحَرَفٌ مَعْنَاهَا: بَدَلٌ؛ قَالَ اللَّهُ: ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾ [البقرة: ٥٩].

وَعَبَّرَ؛ قَالَ اللَّهُ: ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾ [النساء: ٤٦].

(٢) ﴿عَقَلُوهُ، مَعْنَاهَا: عَلِمُوا بِهِ وَفَكَّرُوا فِيهِ وَتَدَبَّرُوهُ وَفَهَّمُوهُ.
وَلَا يَعْقِلُونَ مَعْنَاهَا: لَا يَعْلَمُونَ، وَلَا يَفْهَمُونَ، وَلَا يَتَفَكَّرُونَ، قَالَ اللَّهُ: ﴿صُمُّ بَكْمُ عُمَى فَهْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٧١].

(٣) كَتَبَهُ اللَّهُ؛ قَالَ اللَّهُ: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ، فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٤٥].

مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾ [آل عمران: ٧٨].

وَقَدْ أَرْسَلَ اللَّهُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لِيُبَيِّنَ مَا ابْتَدَعُوهُ فِي دِينِهِمْ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْمَائِدَةِ: ﴿يَتَأْهَلُ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾ [المائدة: ١٥].

وَالْمُبْتَدِعَةُ مِنَ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُمُ الَّذِينَ غَيَّرُوا دِينَ الْإِسْلَامِ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَاسْتَبَدَّلُوهُ بِدِينِ الْمُشْرِكِينَ، فَبَدَّلُوا الْإِيمَانَ كُفْرًا، وَالتَّوْحِيدَ شِرْكًَا، وَالْحَرَامَ حَلَالًا، وَالْأَجْتِنَاعَ فُرْقَةً.

قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ ^(١) وَكَانُوا شِيْعًا ^(٢) لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٩].

(١) ﴿فَرَّقُوا دِينَهُمْ﴾: أَيِ قَسَمُوهُ قِسْمَيْنِ، قِسْمَ يَقْبَلُونَهُ وَيَعْمَلُونَ بِهِ، وَقِسْمَ يَرُدُّونَهُ وَلَا يَعْمَلُونَ بِهِ؛ قَالَ اللَّهُ: ﴿وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُوا نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ [النساء: ١٥٠].

(٢) ﴿شِيْعًا﴾ فَسَّرَهَا اللَّهُ بِالطَّوَائِفِ، وَالْأَحْزَابِ، وَالْجَمَاعَاتِ. فَسَّرَ اللَّهُ الشَّيْعَ بِالطَّوَائِفِ؛ فَقَالَ فِي سُورَةِ الْقَصَصِ: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيْعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ﴾ [القصاص: ٤]. وَفَسَّرَ اللَّهُ الشَّيْعَ بِالْأَحْزَابِ؛ فَقَالَ فِي سُورَةِ الْأَحْزَابِ: ﴿مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيْعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [الروم: ٣٢]. وَفَسَّرَ اللَّهُ الشَّيْعَ بِالْجَمَاعَاتِ؛ فَقَالَ فِي سُورَةِ الْحَجَرِ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شَيْعِ الْأَوَّلِينَ﴾ [الحجر: ١٠].

وَالشَّيْعُ: اسْمٌ سَمَّى اللَّهُ بِهِ الطَّوَائِفَ، وَالْأَحْزَابَ، وَالْجَمَاعَاتِ، وَالْفِرْقَ؛ فَقَالَ فِي سُورَةِ مَرْيَمَ: ﴿ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيْعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عَيْنًا﴾ [مريم: ٦٩].

وَقَالَ فِي سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ^(١) فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾ [آل عمران: ٧].

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: تَلَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَذِهِ الْآيَةَ فَقَالَ: «إِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ^(٢) مِنْهُ؛ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ سَمَى اللَّهُ؛ فَاحْذَرُوهُمْ»

= وَشَبِيعَتُهُ: فِرْقَتُهُ وَجَمَاعَتُهُ وَحِزْبُهُ وَطَائِفَتُهُ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْقَصَصِ: ﴿فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَةِ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِمْ﴾ [القصاص: ١٥].

وَقَالَ اللَّهُ: ﴿وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ﴾ [الصافات: ٨٣].

(١) ﴿زَيْغٌ﴾ مَعْنَاهَا: الْمَيْلُ وَالْعُدُولُ إِلَى الْهَوَى وَالرَّأْيِ وَتَرْكُ الْوَحْيِ.
وَزَاغَ مَعْنَاهَا فِي الْقُرْآنِ: مَالَ وَعَدَلَ؛ قَالَ اللَّهُ: ﴿وَلِذَآعَتِ الْأَبْصُرُ﴾ [الأحزاب: ١٠].

وَقَالَ اللَّهُ: ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾ [النجم: ١٧].

وَقَالَ اللَّهُ: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الصف: ٥].

وَيَزِيغُ: يَمِيلُ؛ قَالَ اللَّهُ: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ مِنْهُمْ﴾ [التوبة: ١١٧].

(٢) ﴿تَشَبَهَ﴾ مَعْنَاهَا فِي الْقُرْآنِ: اخْتَلَطَ؛ قَالَ اللَّهُ: ﴿أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَبَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ﴾ [الرعد: ١٦]، أَيْ: اخْتَلَطَ خَلْقُهُمْ بِخَلْقِ اللَّهِ.

وَالْتَشَابُهَ فِي الْقُرْآنِ: هُوَ التَّمَثُّلُ؛ قَالَ اللَّهُ: ﴿إِنَّ الْبَقَرَ تَشَبَهَ عَلَيْنَا﴾ [البقرة: ٧٠].

كَالتَّمَثُّلِ فِي اللَّوْنِ؛ قَالَ اللَّهُ: ﴿كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَنُوتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا﴾ [البقرة: ٢٥].

وَالْتِمَاضُ أَنْوَاعُ:

التَّمَثُّلُ فِي الطَّعْمِ؛ قَالَ اللَّهُ: ﴿وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ﴾ [الأنعام: ٩٩].

وَالْتَّمَثُّلُ فِي الْقَوْلِ؛ قَالَ اللَّهُ: ﴿كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَبَهَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [البقرة: ١١٨].

وَالْتَّمَثُّلُ فِي الْمَعْنَى؛ قَالَ اللَّهُ: ﴿مِنْهُ ءَايَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ [آل عمران: ٧].

وَالْتَّمَثُّلُ فِي الشَّكْلِ؛ قَالَ اللَّهُ: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا﴾ [الزمر: ٢٣].

وَالْمُتَشَابَهَ فِي الْمَعْنَى: أَنَزَلَهُ اللَّهُ لِلْإِخْتِبَارِ، وَلَيْسَ لِلْعَمَلِ، فَلَا يُعْمَلُ بِهِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ نَهَى عَنِ الْعَمَلِ بِهِ إِلَّا إِذَا بَيَّنَّ الْمُحْكَمُ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ الْمَعْنَى الْمُرَادَ مِنَ الْمَعْنَى الْمُتَشَابِهَةِ، فَيُعْمَلُ بِالْمَعْنَى الَّذِي ذَلَّ الْمُحْكَمُ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ عَلَيْهِ، وَيَعْلَمُ ذَلِكَ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ.

[رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ^(١)، وَمُسْلِمٌ^(٢)].

وَأَمَّا تَفْرِيقُ الْمُبْتَدِعَةِ لِحِمَاةِ الْمُسْلِمِينَ فِي جَمِيعِ شَرَائِعِ اللَّهِ فَقَدْ
فَرَّقُوهُمْ.

قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا^(٣) وَاخْتَلَفُوا
مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ^(٤) وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٠٥].

فَالْمُبْتَدِعَةُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ - مِنْ قَوْمِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ - فَرَّقُوا جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ
بَعْدَ مَوْتِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ فِرْقَةً.

(١) «صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ»: بَابُ ﴿مِنْهُ ءَايَاتٌ تُحْكَمُ﴾.

(٢) «صَحِيحُ مُسْلِمٍ»: بَابُ النَّهْيِ عَنْ اتِّبَاعِ مُتَشَابِهِ الْقُرْآنِ.

(٣) ﴿تَفَرَّقُوا﴾ مَعْنَاهَا: اخْتَلَفُوا؛ قَالَ اللَّهُ: ﴿أَنْ أَقِيمُوا الَّذِينَ وَلَا نَنْفَرُقُوا فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣].

وَقَالَ اللَّهُ: ﴿وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى: ١٤].

وَالْتَفَرُّقُ: هُوَ الْأَخْتِلَافُ؛ قَالَ اللَّهُ - حِكَايَةً عَنْ يَعْقُوبَ -: ﴿وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ﴾
[يوسف: ٦٧].

وَالْتَفَرُّقُ: هُوَ الْأَنْفِسَامُ؛ قَالَ اللَّهُ: ﴿وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾
[البينة: ٤].

وَالْأَنْفِصَالُ: قَالَ اللَّهُ: ﴿وَإِنْ يَنْفَرَقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا﴾
[النساء: ١٣٠].

(٤) ﴿الْبَيِّنَاتُ﴾ مَعْنَاهَا: الْعِلْمُ؛ قَالَ اللَّهُ: ﴿وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ
الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾ [آل عمران: ١٩].

وَقَالَ اللَّهُ: ﴿فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّى جَاءَهُمُ الْعِلْمُ﴾ [يونس: ٩٣].

وَقَالَ اللَّهُ: ﴿وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى: ١٤].

وَقَالَ اللَّهُ: ﴿وَعَايَنْتُهُمْ بَيِّنَاتٍ مِنَ الْأَمْرِ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾
[الجاثية: ١٧].

عَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «افْتَرَقَتِ الْيَهُودُ عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، فَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ، وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ» [رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهَ ^(١) بِسَنَدٍ حَسَنٍ لَيْغِيهِ].

وَالْمُبْتَدِعَةُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ - مِنْ قَوْمِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ - فَرَّقُوا جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ بَعْدَ وَفَاةِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً.

عَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «افْتَرَقَتِ النَّصَارَى عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، فَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ، وَإِحْدَى وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ» [رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهَ ^(٢) بِسَنَدٍ حَسَنٍ لَيْغِيهِ].

وَالْمُبْتَدِعَةُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ - مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَرَّقُوا جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ بَعْدَ مَوْتِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً.

عَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَتَفْتَرِقَنَّ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، فَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ، وَثِنْتَانِ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ» قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! مَنْ هُمْ؟ قَالَ: «الْجَمَاعَةُ» ^(٣) [رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهَ ^(٤) بِسَنَدٍ حَسَنٍ لَيْغِيهِ].

(١) «سُنَنُ ابْنِ مَاجَهَ»: بَابُ افْتِرَاقِ الْأُمَمِ.

(٢) «سُنَنُ ابْنِ مَاجَهَ»: بَابُ افْتِرَاقِ الْأُمَمِ.

(٣) الْجَمَاعَةُ: هُمُ الَّذِينَ اجْتَمَعُوا عَلَى الْوَحْيِ الَّذِي اجْتَمَعَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابُهُ فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ، كَمَا فَسَّرَتْهَا لَفْظَةُ: «مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي».

(٤) «سُنَنُ ابْنِ مَاجَهَ»: بَابُ افْتِرَاقِ الْأُمَمِ.

وَأَمَّا الطَّرِيقُ الَّذِي سَلَكَهُ الْمُتَّبِعَةُ لِتَفْرِيقِ جَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ وَتَغْيِيرِ دِينِهِمْ
فَهُوَ طَرِيقُ الْإِحْدَاثِ فِي الدِّينِ؛ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:
« مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ » [رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ ^(١)، وَمُسْلِمٌ ^(٢)].
وَاللَّهُ أَعْلَمُ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.



-
- (١) «صحيح البخاري»: بَابُ: إِذَا اضْطَلَحُوا عَلَى ضُلْحِ جَوْرِ فَالضُّلْحُ مَرْدُودٌ
(٢) «صحيح مسلم»: [بَابُ: نَقْضُ الْأَحْكَامِ الْبَاطِلَةِ، وَرَدُّ مُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ].

اللَّهُ يَتَحَدَّثُ عَنِ الْبِدْعَةِ، وَالْمُبْتَدِعِ، وَقَوَاعِدِ نَشْرِ الْبِدْعَةِ



الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ، عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ الْإِنْسَانَ، عَلَّمَهُ الْبَيَانَ، وَالصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ عَلَى الَّذِي لَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى، إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى، أَمَّا بَعْدُ:

فَسَوْفَ نَسْتَمِعُ إِلَى اللَّهِ لِيُحَدِّثَنَا عَنِ الْبِدْعَةِ، وَالْمُبْتَدِعِ، وَقَوَاعِدِ نَشْرِ الْبِدْعِ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ النَّسَاءِ: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٨٧].

فَأَمَّا الْبِدْعَةُ:

فَقَدْ عَرَّفَ اللَّهُ الْبِدْعَةَ بِأَنَّهَا تَشْرِيعُ دِينٍ بِالرَّأْيِ؛ فَقَالَ فِي سُورَةِ الْحَدِيدِ: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً^(١) أَتَدْعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ﴾ [الحديد: ٢٧].

(١) فَاللَّهُ شَرَعَ لِلْمُسْلِمِينَ مَنْ أَتْبَعَ عَيْسَى أَتْبَاعَ دِينِ الْإِسْلَامِ الَّذِي فِي الْإِنْجِيلِ، وَمَيَّزَهُمْ أَنْ جَعَلَ فِي قُلُوبِهِمْ رَأْفَةً وَرَحْمَةً، فَتَرَكُوا مَا شَرَعَهُ اللَّهُ لَهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ، وَأَتَّبَعُوا مَا شَرَعُوهُ بِالرَّأْيِ لِأَنفُسِهِمْ مِنَ الرَّهْبَانِيَّةِ الَّتِي لَمْ يَسْتَطِيعُوا الْمَحَافَظَةَ عَلَيْهَا لِمَا فِيهَا مِنَ الْأَصَارِ، وَالْأَعْلَالِ لِأَنَّهَا مَنَعَتْهُمْ مِمَّا أَحَلَّ اللَّهُ لَهُمْ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْحَدِيدِ: ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَرِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [الحديد: ٢٧].

وَعَرَّفَ اللَّهُ الْبِدْعَةَ بِأَنَّهَا تَشْرِيعُ دِينٍ بغيرِ إِذْنٍ مِنَ اللَّهِ؛ فَقَالَ فِي سُورَةِ الشُّورَى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾ [الشورى: ٢١].

وَعَرَّفَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْبِدْعَةَ بِأَنَّهَا الْإِحْدَاثُ فِي الدِّينِ.

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ» [رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ ^(١)، وَمُسْلِمٌ ^(٢)].

وَوَصَفَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَمِيعَ الْمُحْدَثَاتِ الدِّينِيَّةِ الَّتِي لَمْ يَقُلْهَا اللَّهُ، أَوْ رَسُولُهُ بِالْبِدْعَةِ.

عَنِ الْعِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: إِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٍ» [رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ].

وَحَكَّمَ اللَّهُ عَلَى جَمِيعِ الْمُحْدَثَاتِ الدِّينِيَّةِ الَّتِي لَمْ يَقُلْهَا اللَّهُ، أَوْ رَسُولُهُ بِأَنَّهَا كُلُّهَا ضَلَالَةٌ، وَلَا يُوجَدُ فِيهَا بِدْعَةٌ وَاحِدَةٌ حَسَنَةٌ؛ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «كُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ» [رَوَاهُ مُسْلِمٌ ^(٣)].

وَعَنِ الْعِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٍ» [رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ].

(١) «صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ»: [بَابُ إِذَا اضْطَلَحُوا عَلَى صَلَاحٍ جَوْرٍ فَالْصُّلْحُ مَرْدُودٌ].

(٢) «صَحِيحُ مُسْلِمٍ»: [بَابُ نَقْضِ الْأَحْكَامِ الْبَاطِلَةِ، وَرَدُّ مُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ].

(٣) «صَحِيحُ مُسْلِمٍ»: [بَابُ تَخْفِيفِ الصَّلَاةِ وَالْحُطْبَةِ].

وَلَمْ يَحْكَمْ بَأَنَّ فِيهِ بِدْعَةٌ حَسَنَةٌ إِلَّا الْمُبْتَدِعَةُ، وَلَا يُقْبَلُ حُكْمُ الْمُدَّعِي
لِنَفْسِهِ.

وَيُقَابِلُ الْبِدْعَةَ السُّنَّةُ.

فَقَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ كِتَابًا وَسُنَّةً؛ فَقَالَ فِي سُورَةِ النَّسَاءِ: ﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ
الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ
عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٣].

فَفَسَّرَ اللَّهُ الْكِتَابَ بِكِتَابِ الْقُرْآنِ؛ فَقَالَ فِي سُورَةِ يُوسُفَ: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ
عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ
قَبْلِهِ لَمَنِ الْعَافِلِينَ﴾ [يوسف: ٣]، وَفَسَّرَتِ الْمَذَاهِبُ الْكَلَامِيَّةُ، وَالْمَذَاهِبُ
السُّنِّيَّةُ الْكِتَابَ فِي الْعَمَلِ بِكِتَابِ الْمَذْهَبِ.

وَفَسَّرَ اللَّهُ السُّنَّةَ بِأَقْوَالِ النَّبِيِّ، وَأَفْعَالِهِ؛ فَقَالَ فِي سُورَةِ الْأَعْرَافِ:
﴿فَتَأْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ
وَاتَّبِعُوهُ﴾ [الأعراف: ١٥٨].

وَقَالَ فِي سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ
وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: ٣١].

وَفَسَّرَ النَّبِيُّ السُّنَّةَ بِأَقْوَالِهِ، وَأَفْعَالِهِ؛ عَنْ أَنَسٍ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:
«لَكِنِّي أَصْلِي وَأَنَا، وَأَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ
مِنِّي» [رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ^(١)، وَمُسْلِمٌ^(٢)].

(١) «صحيح البخاري» باب: التَّزْوِجُ فِي النِّكَاحِ.

(٢) «صحيح مسلم» باب: اسْتِحْبَابُ النِّكَاحِ.

وَفَسَّرَتِ الْمَذَاهِبُ الْكَلَامِيَّةُ، وَالْمَذَاهِبُ السُّنِّيَّةُ السُّنَّةَ فِي الْعَمَلِ بِأَقْوَالِ
أَثَمَةِ الْمَذْهَبِ، وَأَعْمَاهُمْ.

فَاسْتَبَدَّتِ الْمَذَاهِبُ الْكَلَامِيَّةُ، وَالْمَذَاهِبُ السُّنِّيَّةُ فِي الْعَمَلِ تَعْرِيفَ اللَّهِ
وَرَسُولِهِ لِلْبِدْعَةِ وَالسُّنَّةِ بِتَعْرِيفِ الْمَذَاهِبِ فِي الْعَمَلِ لِلْبِدْعَةِ وَالسُّنَّةِ.

فَعَرَفَتِ الْمَذَاهِبُ الْكَلَامِيَّةُ، وَالْمَذَاهِبُ السُّنِّيَّةُ الْبِدْعَةَ بِأَنَّهَا إِحْدَاثُ
مَا لَيْسَ فِي الْمَذْهَبِ، وَاسْتَدَلَّتْ بِدَلِيلِ الرَّأْيِ.

حَدَّثَنَا أَصْحَابُ الرَّأْيِ عَنْ أَصْحَابِ الرَّأْيِ عَنِ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ: «مَنْ
قَالَ قَوْلًا لَمْ يَقُلْهُ الْأَثَمَةُ أَوْ عَمِلَ عَمَلًا لَمْ يَعْمَلْهُ الْأَثَمَةُ فَهُوَ رَدٌّ». رَوَاهُ صَاحِبُ
الرَّأْيِ فِي كِتَابِ الْجَهْلِ فِي بَابِ الظَّنِّ مِنْ حَدِيثِ مَنْ حَرَّفُوا دِينَ الْإِسْلَامِ فِي
شَرِيعَةِ مُحَمَّدٍ!

وَعَرَفَتِ الْمَذَاهِبُ الْكَلَامِيَّةُ وَالْمَذَاهِبُ السُّنِّيَّةُ السُّنَّةَ فِي الْعَمَلِ بِأَنَّهَا أَقْوَالُ
الْأَثَمَةِ وَأَعْمَاهُمْ، وَاسْتَدَلَّتْ بِدَلِيلِ الرَّأْيِ؛ حَدَّثَنَا أَصْحَابُ الرَّأْيِ عَنْ أَصْحَابِ
الرَّأْيِ عَنِ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ: «لَا تَقُلْ قَوْلًا لَيْسَ لَكَ فِيهِ إِمَامٌ» رَوَاهُ صَاحِبُ
الرَّأْيِ فِي كِتَابِ الْجَهْلِ فِي بَابِ الظَّنِّ مِنْ حَدِيثِ مَنْ حَرَّفُوا دِينَ الْإِسْلَامِ فِي
شَرِيعَةِ مُحَمَّدٍ!

فَحَكَمَ كُلُّ مَذْهَبٍ بِاتِّبَاعِ السُّنَّةِ لِمَنِ اتَّبَعَ مَا فِي مَذْهَبِهِمْ وَلَيْسَ لِمَنِ اتَّبَعَ مَا
فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ.

وَحَكَمَ كُلُّ مَذْهَبٍ بِاتِّبَاعِ الْبِدْعَةِ لِمَنْ خَالَفَ مَا فِي مَذْهَبِهِمْ وَلَيْسَ لِمَنْ
خَالَفَ مَا فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ!

فَمَذْهَبُ الْخَلْفِ يَقُولُ: مَنْ خَالَفَ أَقْوَالَ الْخَلْفِ وَأَعْمَاهُمْ فَقَدْ تَرَكَ
السُّنَّةَ، وَاتَّبَعَ الْبِدْعَةَ.

وَمَذْهَبُ السَّلَفِ يَقُولُ: مَنْ خَالَفَ أَقْوَالَ السَّلَفِ وَأَعْمَاهُمْ فَقَدْ تَرَكَ
السُّنَّةَ، وَاتَّبَعَ الْبِدْعَةَ.

وَدَيْنُ الْإِسْلَامِ يَقُولُ: مَنْ خَالَفَ قَوْلَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَقَدْ تَرَكَ السُّنَّةَ، وَاتَّبَعَ
الْبِدْعَةَ، وَالْمَذَاهِبُ جَعَلَتِ الدِّينَ قَوْلًا لِلْخَلْفِ، أَوْ قَوْلًا لِلْسَّلَفِ، وَخَيَّرَتِ
الْمُسْلِمِينَ بَيْنَهُمَا، وَلَمْ تُعْطِ الْخِيَارَ الثَّالِثَ: أَوْ اخْتَرَتْ قَوْلَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ فِي الدِّينِ.
لَأَنَّ الْمَذَاهِبَ لَوْ أَضَافَتِ الْخِيَارَ الثَّالِثَ اخْتَرَتْ قَوْلَ السَّلَفِ فِي الدِّينِ
أَوْ قَوْلَ الْخَلْفِ، أَوْ قَوْلَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ.

لَا خِتَارَ جَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ قَوْلَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ فِي الدِّينِ وَلَمْ يَبْقَ عَلَى الْمَذَاهِبِ
مُسْلِمٌ.

فَلنُخَيِّرِ الْمُسْلِمَ بَيْنَ ثَلَاثِ خِيَارَاتٍ: اخْتَرَتْ قَوْلَ السَّلَفِ فِي الدِّينِ، أَوْ قَوْلَ
الْخَلْفِ، أَوْ قَوْلَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَلَنَتْرُكُ لَهُ الْخِيَارَ.

وَسَوْفَ يَقُولُ لَكَ السَّلَفِيُّ: قَوْلُ السَّلَفِ فِي الدِّينِ هُوَ قَوْلُ اللَّهِ، وَرَسُولِهِ.
فَقُلْ لَهُ: قَوْلُ السَّلَفِ هُوَ قَوْلُ السَّلَفِ، وَقَوْلُ اللَّهِ، وَرَسُولِهِ هُوَ قَوْلُ اللَّهِ،
وَرَسُولِهِ.

وَسَوْفَ يَقُولُ لَكَ الْخَلْفِيُّ: قَوْلُ الْخَلْفِ فِي الدِّينِ هُوَ قَوْلُ اللَّهِ وَرَسُولِهِ.
فَقُلْ لَهُ: قَوْلُ الْخَلْفِ هُوَ قَوْلُ الْخَلْفِ، وَقَوْلُ اللَّهِ وَرَسُولِهِ هُوَ قَوْلُ اللَّهِ وَرَسُولِهِ.
فَالْعَلَامَةُ الَّتِي يَعْرِفُ بِهَا الْمُسْلِمُونَ دِينَهُمْ وَجَمَاعَتَهُمْ فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ:
هِيَ قَوْلُ رَبِّهِمْ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ
فَاتَّبِعُوهُ﴾ [الأنعام: ١٥٥].

وَقَوْلُ رَسُولِهِمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ قَالَ فِي سُورَةِ الْحَشْرِ: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ
فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: ٧].

وَالْعَلَامَةُ الَّتِي يَعْرِفُ بِهَا الْمُبْتَدِعَةُ دِينَهُمْ وَجَمَاعَتَهُمْ فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ:
هِيَ أَقْوَالُ أَئِمَّتِهِمْ وَأَعْمَالُهُمْ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ التَّوْبَةِ: ﴿اتَّخِذُوا أَحْبَارَهُمْ
وَرُهْبَنَهُمْ أَرْكَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١].

وَأَمَّا الْمُبْتَدِعُ

فَقَدْ عَرَفَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَنَّهُ مَن يَعْمَلُ فِي الدِّينِ بِغَيْرِ قَوْلِ اللَّهِ
وَرَسُولِهِ؛ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ
عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ» [رواهُ مُسْلِمٌ] (١).

وَعَرَفَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَنَّهُ الْمُحْدِثُ فِي الدِّينِ.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «تَرِدُونَ عَلَيَّ غُرًّا
مُحَجَّلِينَ مِنْ أَثَارِ الْوُضُوءِ، وَلَيْصَدَّنَّ عَنِّي طَائِفَةٌ مِنْكُمْ فَلَا يَصِلُونَ، فَأَقُولُ:
(١) «صَحِيحُ مُسْلِمٍ»: [بَابُ نَقْضِ الْأَحْكَامِ الْبَاطِلَةِ، وَرَدُّ مُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ].

يَا رَبِّ! هَؤُلَاءِ مِنْ أَصْحَابِي، فَيُجِيبُنِي مَلَكٌ، فَيَقُولُ: وَهَلْ تَدْرِي مَا أَحَدَثُوا
بَعْدَكَ؟» [رَوَاهُ مُسْلِمٌ] ^(١).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَلَا لِيُذَادَنَّ رِجَالٌ
عَنْ حَوْضِي كَمَا يُذَادُ الْبَعِيرُ الضَّالُّ، أُنَادِيهِمْ: أَلَا هَلُمُّ! فَيُقَالُ: إِنَّهُمْ قَدْ بَدَلُوا
بَعْدَكَ، فَأَقُولُ: سُحْقًا سُحْقًا لِمَنْ بَدَلَ بَعْدِي» [رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ] ^(٢)، وَمُسْلِمٌ ^(٣).

وَعَرَفَتِ الْمَذَاهِبُ الْكَلَامِيَّةُ، وَالْمَذَاهِبُ السُّنِّيَّةُ الْمُبْتَدِعَ بِأَنَّهُ الْمُحْدِثُ لِمَا
لَمْ يَقُلْهُ الْأَئِمَّةُ؛ وَاسْتَدَلَّتْ بِدَلِيلِ الرَّأْيِ.

حَدَّثَنَا أَصْحَابُ الرَّأْيِ عَنْ أَصْحَابِ الرَّأْيِ عَنِ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ: «مَنْ
قَالَ قَوْلًا لَمْ يَقُلْهُ الْأَئِمَّةُ أَوْ عَمِلَ عَمَلًا لَمْ يَعْمَلْهُ الْأَئِمَّةُ فَهُوَ رَدٌّ». رَوَاهُ صَاحِبُ
الرَّأْيِ فِي كِتَابِ الْجَهْلِ فِي بَابِ الظَّنِّ مِنْ حَدِيثٍ مَنْ حَرَّفُوا دِينَ الْإِسْلَامِ فِي
شَرِيعَةِ مُحَمَّدٍ!

وَحَدَّثَنَا أَصْحَابُ الرَّأْيِ عَنْ أَصْحَابِ الرَّأْيِ عَنِ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ «إِذَا
قَالَ الْأَئِمَّةُ قَوْلَيْنِ فَلَا تُحْدِثُ قَوْلًا ثَالِثًا» رَوَاهُ صَاحِبُ الرَّأْيِ فِي كِتَابِ الْجَهْلِ
فِي بَابِ الظَّنِّ مِنْ حَدِيثٍ مَنْ حَرَّفُوا دِينَ الْإِسْلَامِ فِي شَرِيعَةِ مُحَمَّدٍ!

(١) «صَحِيحُ مُسْلِمٍ»: [بَابُ اسْتِحْبَابِ إِطَالَةِ الْعُرَّةِ وَالتَّحْجِيلِ فِي الْوُضُوءِ].

(٢) «صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ»: [بَابُ مَا جَاءَ فِي قَوْلِ اللَّهِ: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾].

(٣) «صَحِيحُ مُسْلِمٍ»: [بَابُ اسْتِحْبَابِ إِطَالَةِ الْعُرَّةِ وَالتَّحْجِيلِ فِي الْوُضُوءِ].

وَالْمُبْتَدِعُ

يَسْتَحْدِمُهُ أَعْدَاءُ الْإِسْلَامِ لِهَذِمِ الْإِسْلَامِ، وَتَغْيِيرِهِ بِدِينِ الْكُفْرِ وَالشَّرِّ؛
قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ النَّسَاءِ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ
يُؤْمِنُونَ بِالْجَبَّتِ وَالطَّلُغُوتِ ^(١) وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ
ءَامَنُوا سَبِيلًا﴾ [النساء: ٥١].

وَقَالَ فِي سُورَةِ التَّوْبَةِ: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَحْبَارِ
وَالرُّهْبَانِ لِيَآكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾
[التوبة: ٣٤].

وَعَنْ ثَوْبَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّمَا أَخَافُ عَلَى
أُمَّتِي الْأَنْيَمَةَ الْمُضِلِّينَ» [رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ ^(٢) بِسَنَدٍ صَحِيحٍ].

(١) الطَّلُغُوتُ: اسْمٌ سَمَّى اللَّهُ بِهِ الشَّيْطَانَ فِي جَمِيعِ آيَاتِ الْقُرْآنِ؛ فَقَالَ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ: ﴿وَالَّذِينَ
كَفَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الطَّلُغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَةِ﴾ [البقرة: ٢٥٧].
وَقَالَ فِي سُورَةِ النَّسَاءِ: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقْنَلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقْنَلُونَ فِي سَبِيلِ
الطَّلُغُوتِ﴾.
ثُمَّ فَسَّرَ الطَّلُغُوتَ بِالشَّيْطَانِ؛ فَقَالَ فِي الْآيَةِ نَفْسَهَا: ﴿فَقَنَلُوا أُولَئِكَ الشَّيْطَانُ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ
ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٧٦].

وَقَالَ فِي سُورَةِ النَّسَاءِ: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّلُغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ﴾.
ثُمَّ فَسَّرَ الطَّلُغُوتَ بِالشَّيْطَانِ؛ فَقَالَ فِي الْآيَةِ نَفْسَهَا: ﴿وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا
بَعِيدًا﴾ [النساء: ٦٠].
فَالشَّيْطَانُ: هُوَ الَّذِي يَعْبُدُهُ الْمُشْرِكُونَ، وَهُوَ الَّذِي يُتَحَاكَمُونَ إِلَيْهِ حَقِيقَةً؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ النَّسَاءِ:
﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا إِنْتًا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا سَيِّطَنًا مَّزِيدًا﴾ [النساء: ١١٧].
(٢) «سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ»: بَابُ ذِكْرِ الْفِتَنِ وَدَلَالِهَا.

وَأَمَّا قَوَاعِدُ الْمُبْتَدِعَةِ لِتَغْيِيرِ دِينِ الْإِسْلَامِ

فَلَهُمْ قَوَاعِدُ بَنَوْا عَلَيْهَا تَغْيِيرَ دِينِ الْمُسْلِمِينَ، وَتَفْرِيقَ جَمَاعَتِهِمْ:
القاعدة الأولى: اسْتِبْدَالُ وَحْيِ الرَّحْمَنِ بِوَحْيِ الشَّيْطَانِ.

لَأَنَّ وَحْيَ الرَّحْمَنِ يُغْلَقُ عَلَيْهِمْ أَبْوَابُ الْبِدْعِ، وَوَحْيَ الشَّيْطَانِ يَفْتَحُ لَهُمْ
أَبْوَابَهَا؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ
لِّمَا مَعَهُمْ بَدَّ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ
كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيْطَانُ﴾ [البقرة: ١٠١، ١٠٢].

وَقَالَ فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ: ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ
لِيُجَدِّدُوا لَهُمْ دِينًا وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ١٢١].

القاعدة الثانية: اسْتِبْدَالُ وَحْيِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ بِالْهَوَىٰ وَحْيِ النَّفْسِ
الْأَمَّارَةِ بِالسُّوءِ.

لَأَنَّ وَحْيَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ يُغْلَقُ عَلَيْهِمْ أَبْوَابُ الْبِدْعِ، وَالْهَوَىٰ يَفْتَحُ
لَهُمْ أَبْوَابَهَا؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْقَصَصِ: ﴿فَإِنْ لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا
يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ
اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [القصاص: ٥٠].

القاعدة الثالثة: اسْتِبْدَالُ وَحْيِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ بِالرَّأْيِ.

لِأَنَّ وَحْيَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ يُغْلَقُ عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ الْبِدْعِ، وَالرَّأْيُ يَفْتَحُ لَهُمْ
أَبْوَابَهَا؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ يُنُسَ: ﴿وَمَا يَنْبَغُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي
مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ [يونس: ٣٦].

القاعدة الرابعة: استبدال قول الله ورُسوله، بأقوال العلماء والأئمة.
لِأَنَّ قَوْلَ اللَّهِ وَرُسُولِهِ يُغْلَقُ عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ الْبِدْعِ، وَأَقْوَالُ الْعُلَمَاءِ تَفْتَحُ
لَهُمْ أَبْوَابَهَا؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ التَّوْبَةِ: ﴿اتَّخِذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ
أَرْكَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١].

القاعدة الخامسة: تفسير الكتاب والسنة باللغة العربية مع وجود
الدليل من الوحي.

لِأَنَّ دَلِيلَ الْوَحْيِ يُغْلَقُ عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ الْبِدْعِ، وَاللُّغَةُ -مَعَ وُجُودِ دَلِيلِ
الْوَحْيِ- تَفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابَهَا؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْمَائِدَةِ: ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ
وَاحْذَرُهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [المائدة: ٤٩].

القاعدة السادسة: تفسير الكتاب والسنة بالاجتهاد بالرأي مع وجود
الدليل من الوحي.

لِأَنَّ الدَّلِيلَ مِنَ الْوَحْيِ يُغْلَقُ عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ الْبِدْعِ، وَالْاجْتِهَادُ مَعَ وُجُودِ
الدَّلِيلِ مِنَ الْوَحْيِ يَفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابَهَا؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْمَائِدَةِ: ﴿وَلَا تَتَّبِعْ
أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرُهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [المائدة: ٤٩].

القاعدة السابعة: تفسير الكتاب والسنة بالقياس^(١) مع وجود الدليل من الوحي.

لأن الدليل من الوحي يُغلق عليهم أبواب البدع، والقياس -مع وجود الدليل من الوحي- يفتح لهم أبوابها؛ قال الله في سورة المائدة: ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [المائدة: ٤٩].

القاعدة الثامنة: معارضة الدليل من الوحي بالخلاف.

لأن الدليل من الوحي يُغلق عليهم أبواب البدع، والخلاف -مع وجود الدليل- يفتح لهم أبوابها.

قال الله في سورة المائدة: ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [المائدة: ٤٩].

تقول له: قال الله، أو قال الرسول صلى الله عليه وسلم، فيقول: المسألة فيها خلاف، وللعالم الفلاني فيها رأي مشهور ومعروف، والقرآن إنما أنزله الله للحكم في الخلاف لا لردّه بالخلاف.

قال الله في سورة البقرة: ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيَّ مُبَشِّرٍ وَنَذِيرٍ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ [البقرة: ٢١٣].

القاعدة التاسعة: تخويف المسلمين وإرهابهم بوجود الخلاف من العمل بكلام الله، وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم.

(١) القياس نوعان: أمر الله به، وهو القياس على الدليل، ونهى الله عنه، وهو القياس مع الدليل، ومن لا يفرق بينهما فسيرمي من ينكر القياس الذي نهى الله عنه بإنكار القياس الذي أمر الله به!

قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الزُّمَرِ: ﴿وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ [الزمر: ٣٦].

وَاللَّهُ أَعْلَمُ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.



الدَّرْسُ الثَّامِنُ عَشَرَ^(١)

اللَّهُ يَتَحَدَّثُ عَنْ سَبَبِ تَفْرِيقِ دِينِ الْمُسْلِمِينَ وَجَمَاعَتِهِمْ



الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ، عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ الْإِنْسَانَ، عَلَّمَهُ الْبَيَانَ، وَالصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ عَلَى الَّذِي لَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى، إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى، أَمَّا بَعْدُ:

فَحَدِيثُنَا إِلَيْكُمْ عَنْ سَبَبِ تَفْرِيقِ دِينِ الْمُسْلِمِينَ وَجَمَاعَتِهِمْ.

وَلِتَفْرِيقِ دِينِ الْمُسْلِمِينَ وَجَمَاعَتِهِمْ سَبَبٌ وَاحِدٌ، هُوَ أَنَّ الْمُسْلِمِينَ لَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ دِينِ الْإِسْلَامِ الَّذِي شَرَعَهُ اللَّهُ، وَالْمَذَاهِبِ الَّتِي شَرَعَهَا الْعُلَمَاءُ بِغَيْرِ إِذْنٍ مِنَ اللَّهِ.

فَاللَّهُ شَرَعَ لِلْمُسْلِمِينَ دِينَ الْإِسْلَامِ، وَلَمْ يَشْرَعْ لَهُمْ مَذَاهِبَ.

شَرَعَ لَهُمْ دِينَ الْإِسْلَامِ؛ فَقَالَ فِي سُورَةِ الشُّورَى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣].

وَلَمْ يَشْرَعْ لَهُمْ مَذَاهِبَ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّيْنَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

(١) اجعلها خطبةً، ومحاضرةً، ودرسًا، وكلمةً، وبرنامجًا في الإذاعة أو التلفاز، ومتنًا حفظه.

وَدِينُ الْإِسْلَامِ: هُوَ الطَّرِيقَةُ الَّتِي وَضَعَهَا اللَّهُ لَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ، وَأَمَرَهُمْ بِاتِّبَاعِهَا لِمَعْرِفَتِهِ، وَمَعْرِفَةِ دِينِهِ، وَنَبِيِّهِ، وَتَهَاوُمِهِ عَنِ اتِّبَاعِ غَيْرِهَا. فَقَالَ فِي سُورَةِ الْجَاثِيَةِ: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الجاثية: ١٨].

وَالْمَذَاهِبُ: هِيَ الطُّرُقُ الَّتِي وَضَعَهَا أَصْحَابُ الْمَذَاهِبِ لَأَنْفُسِهِمْ وَاتِّبَاعِهِمْ لِمَعْرِفَةِ اللَّهِ، وَمَعْرِفَةِ دِينِهِ، وَنَبِيِّهِ، وَأَمَرَنَا اللَّهُ أَنْ لَا نَقْبَلَ مِنْهَا إِلَّا مَا كَانَ مِنْ دِينِ الْإِسْلَامِ؛ فَقَالَ فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ: ﴿لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى أُوْتِنَا قُلْ إِنْ هَدَى اللَّهُ هُدًى اللَّهُ هُوَ الْهُدَى وَأَمَرْنَا لِسُلَيْمٍ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ٧١].

فَالْإِسْلَامُ: دِينٌ وَلَيْسَ بِمَذْهَبٍ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩].

وَالْتَشْيُعُ: مَذْهَبٌ وَلَيْسَ بِدِينٍ.
وَالْتَّصُوفُ: مَذْهَبٌ وَلَيْسَ بِدِينٍ.
وَالْجَهْمِيَّةُ: مَذْهَبٌ وَلَيْسَتْ بِدِينٍ.
وَالْمُعْتَزَلَةُ: مَذْهَبٌ وَلَيْسَتْ بِدِينٍ.
وَالْأَشْعَرِيَّةُ: مَذْهَبٌ وَلَيْسَتْ بِدِينٍ.
وَالْمَاتُرِيدِيَّةُ: مَذْهَبٌ وَلَيْسَتْ بِدِينٍ.
وَالْخَوَارِجُ: مَذْهَبٌ وَلَيْسَ بِدِينٍ.
وَالنَّوَاصِبُ: مَذْهَبٌ وَلَيْسَ بِدِينٍ.

وَالسَّلَفِيَّةُ: مَذْهَبٌ وَلَيْسَتْ بِدِينٍ.

وَالْعِلْمَانِيَّةُ: مَذْهَبٌ إِحْدَايُ وَلَيْسَ بِدِينٍ.

وَالْإِرْهَابُ: مَذْهَبٌ وَلَيْسَ بِدِينٍ، أَسَّسَهُ مَنْ قَتَلَ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛

فَتَكْفِيرُ الْمُسْلِمِينَ، وَقَتْلُهُمْ، وَاسْتِحْلَالُ دِمَائِهِمْ، وَأَمْوَالِهِمْ، وَأَعْرَاضِهِمْ،
وَالخُرُوجُ عَلَى وُلاَةِ أَمْرِهِمْ، وَتَفْرِيقُ جَمَاعَتِهِمْ، وَإِرْهَابُ النَّاسِ؛ كُلُّ هَذِهِ
مَذَاهِبٌ، وَلَيْسَتْ بِدِينٍ.

وَاللَّهُ لَمْ يَأْمُرِ الْمُسْلِمِينَ بِإِقَامَةِ الْمَذَاهِبِ، وَإِنَّمَا أَمَرَهُمْ بِإِقَامَةِ دِينِ الْإِسْلَامِ؛

فَقَالَ فِي سُورَةِ الشُّورَى: ﴿أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣].

وَأَصْحَابُ الْمَذَاهِبِ لَمْ يَغْشُوا الْمُسْلِمِينَ؛ لِأَنَّهُمْ سَمَّوْهَا مَذَاهِبَ،
وَلَمْ يُسَمُّوْهَا دِينَ الْإِسْلَامِ.

**فَالْأَمْرُ وَاضِحٌ، لَا يَحْتَاجُ سِوَى مَعْرِفَةِ التَّفْرِيقِ بَيْنَ دِينِ الْإِسْلَامِ
وَالْمَذْهَبِ؛ فَفَرَّقَ بَيْنَ دِينِ الْإِسْلَامِ وَالْمَذْهَبِ بِمَا فَرَّقَ اللَّهُ بَيْنَهُمَا بِهِ.**

**فَدِينُ الْإِسْلَامِ شَرَعَهُ اللَّهُ؛ فَقَالَ فِي سُورَةِ الشُّورَى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِّنَ
الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ﴾ [الشورى: ١٣].**

**وَالْمَذَاهِبُ شَرَعَهَا الْعُلَمَاءُ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الشُّورَى: ﴿أَمْ لَهُمْ
شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾ [الشورى: ٢١].**

**الدِّينُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ الْإِسْلَامُ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ: ﴿إِنَّ الدِّينَ
عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩].**

وَالَّذِينَ عِنْدَ أَصْحَابِ الْمَذْهَبِ هُوَ الْمَذْهَبُ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْمَائِدَةِ:
﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا
عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾ ^(١) [المائدة: ١٠٤].

دِينُ الْإِسْلَامِ عَلَيْهِ ضَمَانٌ مِنَ الضَّلَالِ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ طه: ﴿فَمَنْ أَتَّبَعَ
هَذَا فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾ [طه: ١٢٣].

وَالْمَذَاهِبُ لَيْسَ عَلَيْهَا ضَمَانٌ مِنَ الضَّلَالِ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ:
﴿وَإِنْ تَطَّعَ أَكْثَرُ ^(٢) مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ
إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ [الأنعام: ١١٦].

(١) وَوَجْهُ الشُّبْهِ بَيْنَ الْأَبَاءِ وَالْمَذَاهِبِ: هُوَ الْإِتِّبَاعُ مَعَ وُجُودِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، فَاَلْمُشْرَكُونَ اتَّبَعُوا الْأَبَاءَ
مَعَ وُجُودِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَاتَّبَعُوا الْمَذَاهِبَ مَعَ وُجُودِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ!
(٢) فَلَا تَغْتَرَنَّ بِالْكَثْرَةِ فَتُضِلَّكَ عَنِ الْحَقِّ، فَأَكْثَرُ الدُّعَاةِ وَالْعُلَمَاءِ وَالْأَيُّمَةِ هُمْ مَنْ يُضِلُّ النَّاسَ عَنْ
دِينِ اللَّهِ؛ قَالَ اللَّهُ: ﴿يَتَّبِعُهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لِيَآكُلُونَ أَمْوَالَ
النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٤].
وَعَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَتَفْتَرِقَنَّ
أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، فَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ، وَثِنْتَانِ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ». [رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهَ بِسَنَدٍ
حَسَنِ لِيَعْنِيهِ].

وَأَكْثَرُ النَّاسِ يَضِلُّونَ عَنِ الْحَقِّ؛ إِمَّا لِأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ بِهِ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْأَنْبِيَاءِ: ﴿كَلَّ أَكْثَرُهُمْ
لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ﴾ [الأنبياء: ٢٤].

أَوْ لِأَنَّهُمْ يَكْذِبُونَ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْمُؤْمِنُونَ: ﴿وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَذِبُونَ﴾ [المؤمنون: ٧٠].
أَوْ لِأَنَّهُمْ مُعْرِضُونَ عَنْهُ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ فَصَّلَتْ: ﴿فَاعْرِضْ أَكْثَرَهُمْ﴾ [فصلت: ٤].

دِينُ الْإِسْلَامِ يَجْمَعُ الْمُسْلِمِينَ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ: ﴿وَأَعْتَصِمُوا^(١) بِحَبْلِ^(٢) اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

وَالْمَذَاهِبُ تُفَرِّقُ الْمُسْلِمِينَ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٠٥].

دِينُ الْإِسْلَامِ آخَى بَيْنَ جَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْحُجُرَاتِ: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠].

وَقَالَ فِي سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

وَالْمَذَاهِبُ آخَتْ بَيْنَ أَتْبَاعِ الْمَذْهَبِ الْوَاحِدِ، وَالْحِزْبِ الْوَاحِدِ لَا غَيْرَ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ: ﴿لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ﴾ [الأنعام: ٧١].

(١) ﴿وَأَعْتَصِمُوا﴾ مَعْنَاهَا: تَمَسَّكُوا وَامْتَنِعُوا وَاحْتَمُوا. ﴿وَأَعْتَصِمُوا﴾ مَعْنَاهَا: تَمَسَّكُوا؛ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «وَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدِي إِنْ اِعْتَصَمْتُمْ بِهِ، كِتَابَ اللَّهِ» [رواه مسلم]. **وَعَصَمَهُ:** مَنَعَهُ وَحَمَاهُ؛ قَالَ اللَّهُ: ﴿قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُم مِّنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا﴾ [الأحزاب: ١٧].

وقال الله: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧]. (٢) ﴿بِحَبْلِ اللَّهِ﴾ الْحَبْلُ مَعْنَاهُ: السَّبَبُ؛ قَالَ اللَّهُ: ﴿فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ﴾ [الحج: ١٥] أي: فَلْيَمْدُدْ بِحَبْلِ إِلَى سَقْفِ الْبَيْتِ، وَسَقْفُ الْبَيْتِ: سَمَاوُهُ. **وَحَبْلُ اللَّهِ:** هُوَ دِينُ اللَّهِ الَّذِي جَعَلَ اللَّهُ التَّمَسُّكَ بِهِ سَبَبًا مَانِعًا وَحَامِيًا لِلْمُسْلِمِينَ مِنَ الْاِخْتِلَافِ وَالتَّفَرُّقِ؛ قَالَ اللَّهُ: ﴿أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣]. **وَحَبْلُ اللَّهِ:** هُوَ كِتَابُ اللَّهِ الَّذِي جَعَلَ اللَّهُ التَّمَسُّكَ بِهِ سَبَبًا مَانِعًا وَحَامِيًا لِلْمُسْلِمِينَ مِنَ الْاِخْتِلَافِ وَالتَّفَرُّقِ؛ فِيهِ الْحَدِيثُ: «وَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدِي إِنْ اِعْتَصَمْتُمْ بِهِ، كِتَابَ اللَّهِ».

دِينُ الْإِسْلَامِ يُوحِّدُ عَقَائِدَ الْمُسْلِمِينَ وَأَعْمَالَهُمْ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الشُّورَى:
﴿أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣].

وَالْمَذَاهِبُ تُفَرِّقُ عَقَائِدَ الْمُسْلِمِينَ وَأَعْمَالَهُمْ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ:
﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٩].

دِينُ الْإِسْلَامِ لَهُ طَرِيقٌ وَاحِدٌ يَسَعُ جَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ، هُوَ الْوَحْيُ بِوَاسِطَةِ
النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ عَنْ جِبْرِيلَ عَنِ اللَّهِ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي
مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

وَالْمَذَاهِبُ لِكُلِّ مَذْهَبٍ طَرِيقٌ لَا يَسَعُ إِلَّا أَتْبَاعَ الْمَذْهَبِ، وَأَصْحَابُ
الطَّرِيقَةِ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ
سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

دِينُ الْإِسْلَامِ لَهُ طَرِيقَةٌ وَاحِدَةٌ لَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ فِي الْإِعْتِقَادِ وَالْعَمَلِ؛
قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْأَنْبِيَاءِ: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ
فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٩٢].

وَالْمَذَاهِبُ لِكُلِّ مَذْهَبٍ طَرِيقَةٌ خَاصَّةٌ فِي الْإِعْتِقَادِ وَالْعَمَلِ؛ قَالَ اللَّهُ فِي
سُورَةِ الرُّومِ: ﴿مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا
لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [الرّوم: ٣٢].

وَتَعْرِفُ دِينَ الْإِسْلَامِ بِخَتَمِ دِينِ الْإِسْلَامِ وَإِمَامِهِ.

فَخَتَمُ دِينَ الْإِسْلَامِ: قَوْلُ اللَّهِ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ﴾ [الأنعام: ١٥٥].

وَقَوْلُ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ قَالَ فِي سُورَةِ الْحَشْرِ: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: ٧].

وَأِمَامُ دِينِ الْإِسْلَامِ هُوَ مَنْ أَمَرَهُمُ اللَّهُ بِاتِّبَاعِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْأَعْرَافِ: ﴿فَتَأْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ﴾ [الأعراف: ١٥٨].

وَتَعْرِفُ الْمَذْهَبَ بِخَتَمِ الْمَذْهَبِ وَإِمَامِهِ؛ فَخَتَمُ الْمَذْهَبِ: قَالَ الْإِمَامُ، وَإِمَامُ كُلِّ مَذْهَبٍ هُوَ الْمُؤَسَّسُ لِلْمَذْهَبِ.

وَإِحْلَالُ الْمَذَاهِبِ الَّتِي شَرَعَهَا الْعُلَمَاءُ بِغَيْرِ إِذْنٍ مِنَ اللَّهِ مُحَلٌّ دِينَ الْإِسْلَامِ هُوَ الَّذِي فَرَّقَ دِينَ الْمُسْلِمِينَ وَجَمَاعَتَهُمْ.

قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٩].

فَدَعْوَةُ الْمُسْلِمِينَ لِلتَّفَرِيقِ بَيْنَ دِينِ الْإِسْلَامِ، وَالْمَذَاهِبِ، هِيَ الْمَخْرُجُ مِنْ تَفَرِيقِ دِينِ الْمُسْلِمِينَ وَجَمَاعَتِهِمْ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ: ﴿وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ٥٥].

فَالْمَذَاهِبُ كُلُّهَا - الشَّيْعِيَّةُ، وَالصُّوْفِيَّةُ، وَالسَّلَفِيَّةُ، وَالْمَذَاهِبُ ^(١) الْأَرْبَعَةُ -
يَجِبُ عَرْضُهَا عَلَى الدِّينِ.

فَمَا كَانَ فِيهَا مِنْ دِينِ الْإِسْلَامِ الَّذِي جَاءَ فِي الْوَحْيِ عَنِ اللَّهِ قَبْلَ؛ قَالَ اللَّهُ
فِي سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ: ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

وَمَا كَانَ فِيهَا مِنْ غَيْرِ دِينِ الْإِسْلَامِ، لَمْ يُقْبَلْ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ:
﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٨٥].

وَلَا يَكُونُ الْحُكْمُ عَلَى مَا فِي الْمَذْهَبِ إِلَّا بِكِتَابِ اللَّهِ، وَسُنَّةِ رَسُولِهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْمَائِدَةِ: ﴿وَأِنْ أَحْكَمَ بَيْنَهُمْ يَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ
أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّا
يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٩].

وَيَكُونُ التَّحَاكُمُ بَيْنَ أَتْبَاعِ الْمَذَاهِبِ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الشُّورَى: ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ
إِلَى اللَّهِ﴾ [الشورى: ١٠].

(١) وَقَدْ يَقُولُ قَائِلٌ: الْمَذَاهِبُ الْأَرْبَعَةُ مَا لَهَا؟ فَأَقُولُ: بَأَنَّ الْمَذَاهِبَ الْأَرْبَعَةَ لَيْسَتْ بِمَعْصُومَةٍ،
وَلَمْ يَقُلْ أَحَدٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ بِعَصْمَتِهَا، وَإِذَا كَانَتْ غَيْرَ مَعْصُومَةٍ، فَسَيَدْخُلُ فِيهَا مِنْ شَاءَ مَا
شَاءَ، وَقَدْ مَضَى عَلَيْهَا عَشْرَاتُ الْقُرُونِ، وَأَدْخِلَ فِيهَا مَا لَيْسَ مِنَ الدِّينِ، فَقَدْ أَدْخِلَ فِيهَا الرَّأْيَ
وَالْقِيَاسَ، مَعَ وُجُودِ النَّصِّ وَالْاجْتِهَادِ، مَعَ وُجُودِ النَّصِّ، وَتَفْسِيرِ الْقُرْآنِ وَشَرْحِ الْحَدِيثِ بِالْمَعَانِي
اللُّغَوِيَّةِ مَعَ وُجُودِ النَّصِّ، وَالْاجْتِهَادِ بِالْمُتَشَابِهِ الَّذِي نَهَى اللَّهُ عَنِ الْعَمَلِ بِهِ، وَمُعَارَضَةِ النَّصِّ
بِالْخِلَافِ، فَعَرْضُهَا عَلَى الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ سَيُخْرِجُ مَا ذُكِرَ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ مِنَ الدِّينِ، وَسَيَبْقَى فِيهَا
مَا كَانَ مِنَ الدِّينِ، وَأَتْبَاعُ الْمَذَاهِبِ الْأَرْبَعَةِ لَا يَخَافُونَ مِنَ التَّحَاكُمِ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ؛ لِأَنَّهُ قَرَضَ
عِنْدَهُمْ؛ قَالَ اللَّهُ: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا
وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٥١].

وَقَالَ فِي سُورَةِ النَّسَاءِ: ﴿فَإِنْ نَزَعْنَاهُ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩].

وَيَجِبُ الرِّضَا وَالتَّسْلِيمُ بِمَا يَصْدُرُ عَنِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ مِنْ أَيِّ حُكْمٍ عَلَى أَيِّ مَذْهَبٍ أَيْ كَانَ شَيْعِيًّا، أَوْ صُوفِيًّا، أَوْ سَلَفِيًّا.

قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ النَّسَاءِ: ﴿فَلَا وَرَيْكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

وَاللَّهُ أَعْلَمُ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.



الدَّرْسُ التَّاسِعُ عَشَرَ^(١)

اللَّهُ يَتَحَدَّثُ عَنِ الْأَدْيَانِ فِي الْعَالَمِ وَيُحَدِّدُ الدِّينَ الصَّحِيحَ وَالْمَقْبُولَ مِنْهَا



الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ، عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ الْإِنْسَانَ، عَلَّمَهُ الْبَيَانَ، وَالصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ عَلَى الَّذِي لَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى، إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى، أَمَّا بَعْدُ:

فَسَوْفَ نَسْتَمِعُ إِلَى اللَّهِ لِيُحَدِّثَنَا عَنْ أَصُولِ الْأَدْيَانِ الْمَوْجُودَةِ فِي الْعَالَمِ الْيَوْمَ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ النَّسَاءِ: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٨٧].

وَقَدْ تَحَدَّثَ اللَّهُ عَنْ سِتَّةِ أَدْيَانٍ؛ عَنْ دِينِ الْمُسْلِمِينَ، وَدِينِ الْمُشْرِكِينَ، وَدِينِ الْيَهُودِ، وَدِينِ النَّصَارَى، وَدِينِ الْمَجُوسِ، وَدِينِ الصَّابِئَةِ؛ فَقَالَ فِي سُورَةِ الْحَجِّ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا^(٢) وَالَّذِينَ هَادُوا^(٣).....

(١) اجْعَلْهُ خُطْبَةً، وَمُحَاصَرَةً، وَدَرْسًا، وَكَلِمَةً، وَبَرْنًا جَا فِي الْإِدَاعَةِ أَوْ التَّلْفَازِ، وَمَتْنًا حَفِظَهُ.

(٢) ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ هُمُ الْمُسْلِمُونَ، قَالَ اللَّهُ: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تَوَدِّمُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات: ١٤].

(٣) ﴿وَالَّذِينَ هَادُوا﴾ الْيَهُودُ، وَهُمْ الْمُسْلِمُونَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى الَّذِينَ وَقَعُوا فِي الشِّرْكِ، وَاسْتَبَدَّلُوا دِينَ الْإِسْلَامِ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى بَعْدَ مَوْتِهِ بِدِينِ الْمُشْرِكِينَ، فَعَبَدُوا عَزِيرًا مَعَ اللَّهِ، وَعَبَدُوا الْأَوْلِيَاءَ وَالصَّالِحِينَ.

عَبَدُوا عَزِيرًا؛ قَالَ اللَّهُ: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عَزِيرٌ ابْنُ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٠].

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ أَذُنٌ مُؤَذِّنٌ =

وَالصَّادِقِينَ (١) وَالنَّصْرَى (٢)

= لِيَتَّبِعَ كُلُّ أُمَّةٍ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ، فَيَدْعَى الْيَهُودُ، فَيَقَالُ لَهُمْ: مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ قَالُوا: كُنَّا نَعْبُدُ عَزِيرَ ابْنِ اللَّهِ، فَيَقَالُ: كَذَبْتُمْ! مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ صَاحِبَةٍ وَلَا وَلَدٍ. [رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ، وَمُسْلِمٌ].
وَعَبَدُوا الْأَوْلِيَاءَ وَالصَّالِحِينَ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ التَّوْبَةِ: ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا ﴾ [التوبة: ٣١].

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أُولَئِكَ قَوْمٌ إِذَا مَاتَ فِيهِمُ الْعَبْدُ الصَّالِحُ أَوْ الرَّجُلُ الصَّالِحُ بَنَوْا عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِدًا، وَأُولَئِكَ شِرَارُ الْخَلْقِ عِنْدَ اللَّهِ» [رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ، وَمُسْلِمٌ].
وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَعَنَهُ اللَّهُ عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ» [رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ، وَمُسْلِمٌ].

فَبَعَثَ اللَّهُ إِلَيْهِمْ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لِيُرِدَّهُمْ إِلَى دِينِ الْإِسْلَامِ الَّذِي تَرَكُوهُ، فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ وَرَجَعَ، وَمِنْهُمْ مَنْ كَذَبَهُ وَبَقِيَ عَلَى الْكُفْرِ وَالشِّرْكِ.

(١) ﴿وَالصَّادِقِينَ﴾: هُمُ الْمُسْلِمُونَ، ذَكَرَ اللَّهُ دِينَهُمُ الْإِسْلَامَ وَلَمْ يَذْكُرْ كِتَابَهُمْ، وَلَا نَبِيَّهُمْ، وَلَا صِرْفِي ذَلِكَ؛ قَالَ اللَّهُ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقِينَ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٦٢].
وقد أصاب المسلمين الصَّابِغَةُ مَا أَصَابَ بَعْضَ الْمُسْلِمِينَ - مِنْ قَوْمِ نُوحٍ وَمُوسَى وَعِيسَى وَمُحَمَّدٍ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - مِنَ الْوُقُوعِ فِي الشِّرْكِ وَاسْتِبْدَالِ دِينِ الْإِسْلَامِ الَّذِي جَاءَ بِهِ الْأَنْبِيَاءُ بَعْدَ مَوْتِهِمْ بِدِينِ الْمُشْرِكِينَ كَمَا فِي الْآيَةِ الَّتِي هَذَا تَفْسِيرُهَا.

(٢) ﴿وَالنَّصْرَى﴾: هُمُ الْمُسْلِمُونَ مِنْ قَوْمِ عِيسَى الَّذِينَ وَقَعُوا فِي الشِّرْكِ، وَاسْتَبَدَّلُوا دِينَ الْإِسْلَامِ الَّذِي جَاءَ بِهِ عِيسَى بَعْدَ مَوْتِهِ بِدِينِ الْمُشْرِكِينَ، فَعَبَدُوا عِيسَى مَعَ اللَّهِ، وَعَبَدُوا الْأَوْلِيَاءَ وَالصَّالِحِينَ.

عَبَدُوا عِيسَى؛ قَالَ اللَّهُ: ﴿وَقَالَتِ الْنَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٠].
وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ: لِيَتَّبِعَ كُلُّ أُمَّةٍ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ، ثُمَّ يُدْعَى النَّصَارَى، فَيَقَالُ لَهُمْ: مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ قَالُوا: كُنَّا نَعْبُدُ الْمَسِيحَ ابْنَ اللَّهِ، فَيَقَالُ لَهُمْ: كَذَبْتُمْ! مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ صَاحِبَةٍ وَلَا وَلَدٍ» [رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ، وَمُسْلِمٌ].
وَعَبَدُوا الْأَوْلِيَاءَ وَالصَّالِحِينَ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ التَّوْبَةِ: ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا ﴾ [التوبة: ٣١].

=

وَالْمَجُوسَ ^(١) وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا ^(٢) إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿[الحج: ١٧].

وَحَدَّدَ مِنَ الْأَدْيَانِ السِّتَّةِ الدِّينَ الَّذِي لَنْ يَقْبَلَ غَيْرُهُ؛ فَقَالَ فِي سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩].

فَمَنِ اعْتَنَقَ دِينَ الْمُشْرِكِينَ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ، وَمَنِ اعْتَنَقَ دِينَ الْيَهُودِ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ، وَمَنِ اعْتَنَقَ دِينَ النَّصَارَى فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ، وَمَنِ اعْتَنَقَ دِينَ الْمَجُوسِيَّةِ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ، وَمَنِ اعْتَنَقَ دِينَ الصَّابِئَةِ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ.

قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥].

= وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أُولَئِكَ قَوْمٌ إِذَا مَاتَ فِيهِمُ الْعَبْدُ الصَّالِحُ أَوْ الرَّجُلُ الصَّالِحُ بَنَوْا عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِدًا، أُولَئِكَ شِرَارُ الْخَلْقِ عِنْدَ اللَّهِ» [رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ، وَمُسْلِمٌ].
وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَعَنَهُ اللَّهُ عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى؛ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ» [رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ، وَمُسْلِمٌ].

فَبَعَثَ اللَّهُ إِلَيْهِمْ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيُرِدَّهُمْ إِلَى دِينِ الْإِسْلَامِ الَّذِي تَرَكُوهُ، فَوْنَهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ وَرَجَعَ، وَمِنْهُمْ كَذَبَهُ وَبَقِيَ عَلَى الْكُفْرِ وَالشِّرْكِ

(١) ﴿وَالْمَجُوسَ﴾: هُم مُشْرِكُونَ أَصْلِيُّونَ؛ إِذْ لَيْسَ لِدِينِهِمْ كِتَابٌ وَلَا رَسُولٌ، وَهُمْ عَبَادُ النَّارِ؛ قَالَ اللَّهُ: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ﴾ [الحج: ٨].

(٢) ﴿وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾: هُم مُشْرِكُونَ أَصْلِيُّونَ؛ إِذْ لَيْسَ لِدِينِهِمْ كِتَابٌ وَلَا رَسُولٌ، وَهُمْ عَبَادُ الْأَصْنَامِ وَالْأَوْثَانِ؛ قَالَ اللَّهُ: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ﴾ [الحج: ٨].

وَلِكُلِّ دِينٍ مِنْ هَذِهِ الْأَدْيَانِ دُعَاةٌ وَاتَّبَاعٌ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ:
﴿لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَىٰ أَتَيْنَا﴾ [الأنعام: ٧١].

وَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ الْإِنْسَانَ أَنْ يَرُدَّ عَلَى مَنْ يَدْعُوهُ لِأَيِّ دِينٍ مِنْ هَذِهِ الْأَدْيَانِ
غَيْرِ دِينِ الْإِسْلَامِ فِي نَفْسِ الْآيَةِ؛ فَقَالَ: ﴿قُلْ إِنْكَ هُدَىٰ اللَّهُ هُوَ الْهُدَىٰ وَأَمْرَنَا
لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ٧١].

فَجَمِيعُ دُعَاةِ الْأَدْيَانِ السَّتَةِ يَدْعُونَ النَّاسَ إِلَى النَّارِ، إِلَّا مَنْ يَدْعُونَ إِلَى
دِينِ الْإِسْلَامِ؛ فَإِنَّهُمْ يَدْعُونَ النَّاسَ إِلَى الْجَنَّةِ.
قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ: ﴿أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ
وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٢١].

وَكُلُّ صَاحِبِ دِينٍ مِنْ هَذِهِ الْأَدْيَانِ يَدْعُو النَّاسَ إِلَى دِينِهِ.
فَالْمُشْرِكُونَ دَعَوْا النَّاسَ إِلَى الشِّرْكِ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ إِبْرَاهِيمَ:
﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا ^(١) لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ
إِلَى النَّارِ﴾ [إبراهيم: ٣٠].

(١) **وَالنَّدُّ:** هُوَ الشَّرِيكُ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢].
وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ الذَّنْبِ أَكْبَرُ؟ قَالَ: «أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ
نِدًّا وَهُوَ خَلْقَكَ» [رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ، وَمُسْلِمٌ].
وَقَدْ اسْتَدَلَّ الْمُشْرِكُونَ بِخَلْقِ اللَّهِ لِلشِّرْكِ عَلَى أَنَّ اللَّهَ أَمَرَهُمْ بِهِ وَأَحَلَّهُ لَهُمْ؛ قَالَ اللَّهُ: ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ
أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا﴾ [الأنعام: ١٤٨].
فَرَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ: بِأَنَّهُ خَلَقَ الشِّرْكَ لِلْإِنْتِلَاءِ وَلَيْسَ لِلْعَمَلِ بِهِ؛ قَالَ اللَّهُ: ﴿وَتَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ﴾
= [الأنبياء: ٣٥].

وَالْيَهُودُ وَالنَّصَارَى دَعَوْا النَّاسَ إِلَى التَّهْوُدِ، وَالتَّنَصُّرِ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ
الْبَقَرَةِ: ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا﴾ [البقرة: ١٣٥].

فَرَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ فِي نَفْسِ الْآيَةِ؛ فَقَالَ: ﴿قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ
مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [البقرة: ١٣٥].

وَمِلَّةُ إِبْرَاهِيمَ هِيَ دِينُ الْإِسْلَامِ، وَلَيْسَتْ دِينُ الْيَهُودِ، وَلَا دِينُ النَّصَارَى،
وَلَا دِينُ الْمُشْرِكِينَ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا
وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [آل عمران: ٦٧].

وَقَدْ أَوْحَى اللَّهُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَتَّبِعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ لِأَنَّهَا
دِينُ الْإِسْلَامِ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ النحل: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ
إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل: ١٢٣].

وَوَعَدَ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى مَنْ تَهَوَّدَ أَوْ تَنَصَّرَ بِأَنَّهُمْ سَيَكُونُونَ أَبْنَاءَ اللَّهِ
وَأَحِبَّابًا؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ المائدة: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ
وَأَحِبُّوهُمْ﴾ [المائدة: ١٨].

فَرَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ فِي نَفْسِ الْآيَةِ؛ فَقَالَ: ﴿قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُمْ بَلْ
أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ﴾ [المائدة: ١٨].

= وَأَنَّهُ لَمْ يَأْمُرْهُمْ بِالشِّرْكِ بَلْ نَهَاهُمْ عَنْهُ؛ قَالَ اللَّهُ: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾.
وَلَمْ يُحِلَّهُ لَهُمْ بَلْ حَرَّمَهُ عَلَيْهِمْ؛ قَالَ اللَّهُ: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّي عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا
بِهِ شَيْئًا﴾.

وَبَشِّرُوا كُلَّ مَنْ تَهَوَّدَ أَوْ تَنَصَّرَ بِالْجَنَّةِ؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ: ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرَى﴾ [البقرة: ١١١].

فَرَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ فِي نَفْسِ الْآيَةِ؛ فَقَالَ: ﴿تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: ١١١].

وَأَكَّدَ أَنَّ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ هُوَ الْمُسْلِمُ؛ فَقَالَ فِي الْآيَةِ الَّتِي بَعْدَهَا: ﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ﴾ [البقرة: ١١٢].

وَبَشِّرُوا مَنْ تَهَوَّدَ أَوْ تَنَصَّرَ بِأَنَّهُمْ لَنْ يَخْلُدُوا فِي النَّارِ لَوْ دَخَلُوهَا؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ﴾ [آل عمران: ٢٤].

فَرَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ فِي نَفْسِ الْآيَةِ؛ فَقَالَ: ﴿وَعَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ [آل عمران: ٢٤].

وَأَكَّدُوا بِشَارَةَ مَنْ تَهَوَّدَ أَوْ تَنَصَّرَ بِأَنَّهُمْ لَنْ يَخْلُدُوا فِي النَّارِ لَوْ دَخَلُوهَا؛ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ: ﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً﴾ [البقرة: ٨٠].

فَرَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ فِي نَفْسِ الْآيَةِ؛ فَقَالَ: ﴿قُلْ اتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلَفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٨٠].

وَأَكَّدَ اللَّهُ فِي الْآيَةِ الَّتِي بَعَدَهَا خُلُودَ مَنْ تَهَوَّدَ أَوْ تَنَصَّرَ فِي النَّارِ؛ فَقَالَ:
﴿ بَكَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [البقرة: ٨١].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَمِ، يَهُودِيٍّ وَلَا نَصْرَانِيٍّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ» [رواه مسلم] ^(١).

وَأَكَّدَ اللَّهُ خَسَارَةَ كُلِّ مَنْ اتَّبَعَ أَيَّ دِينٍ غَيْرِ دِينِ الْإِسْلَامِ؛ فَقَالَ فِي سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ: ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٨٥].

وَأَمَرَ اللَّهُ النَّاسَ بِاتِّبَاعِ دِينِ الْإِسْلَامِ؛ فَقَالَ فِي سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ: ﴿ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ (٢) وَالْأُمِّيِّينَ (٣) ءَأَسْلَمْتُمْ (٤) فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدْ أَهْتَدُوا

(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ [بَابُ وُجُوبِ الْإِيمَانِ بِرِسَالَةِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ] إِلَى جَمِيعِ النَّاسِ وَنَسَخِ الْمِلَلِ بِمِلَّتِهِ].

(٢) أَهْلُ الْكِتَابِ: الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى؛ قَالَ اللَّهُ: ﴿ قُلْ يَتَّاهِلَ الْكِتَابُ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ [المائدة: ٦٨].
وَقَالَ اللَّهُ: ﴿ يَتَّاهِلَ الْكِتَابُ لَمْ تُحَاجُوا فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [آل عمران: ٦٥].

(٣) الْأُمِّيُّونَ: وَفَسَّرَ اللَّهُ الْأُمِّيَّ بِالَّذِي لَا يَعْرِفُ الْقِرَاءَةَ وَلَا الْكِتَابَةَ؛ فَقَالَ فِي سُورَةِ الْعَنْكَبُوتِ: ﴿ وَمَا كُنْتُمْ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكُمْ ﴾ [العنكبوت: ٤٨].
وَفَسَّرَ اللَّهُ الْأُمِّيِّينَ بِالَّذِينَ لَمْ يَأْتِهِمْ رَسُولٌ وَلَا كِتَابٌ؛ فَقَالَ فِي سُورَةِ سَبَأٍ: ﴿ وَمَا أَلَيْنَهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ ﴾ [سبأ: ٤٤].
(٤) ءَأَسْلَمْتُمْ؟ أَيُّ: أَسْلِمُوا.

وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿٢٠﴾ [آل عمران: ٢٠].

وَحَذَّرَهُمْ مِنَ الْمَوْتِ عَلَى أَيِّ دِينٍ غَيْرِ دِينِ الْإِسْلَامِ؛ فَقَالَ فِي سُورَةِ
آلِ عِمْرَانَ: ﴿وَلَا تَتُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

وَنَهَى اللَّهُ النَّاسَ عَنِ اتِّبَاعِ دِينِ الْمُشْرِكِينَ الْأَصْلِيِّينَ؛ كَالْعَرَبِ، وَالْمَجُوسِ،
أَوِ الْمُشْرِكِينَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ خَلَطُوا دِينَ الْإِسْلَامِ بِدِينِ الْمُشْرِكِينَ؛ كَالْيَهُودِ،
وَالنَّصَارَى، وَالصَّابِئَةِ.

فَقَالَ فِي سُورَةِ الرُّومِ: ﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الرُّوم: ٣١].
وَقَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ: ﴿وَلَا تَكُونَتْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الأَنْعَام: ١٤].
وَاللَّهُ أَعْلَمُ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.



المحتويات

٥	المقدمة
٨	الدَّرْسُ الْأَوَّلُ: اللهُ يُتَحَدَّثُ عَنْ اعْتِرَافِ الْمُشْرِكِينَ بِعِبَادَةِ اللهِ، وَرُبُوبِيَّتِهِ، وَأُلُوْهِيَّتِهِ، وَإِنْكَارِهِمْ لِتَوْحِيدِهِ فِي الرُّبُوبِيَّةِ، وَالْأُلُوْهِيَّةِ
١٢	الدَّرْسُ الثَّانِي: اللهُ يُتَحَدَّثُ عَنْ الْمُسْرِعِ لِدِينِ الْمُشْرِكِينَ وَالْمُسْرِعِ لِدِينِ الْمُسْلِمِينَ
١٨	الدَّرْسُ الثَّلَاثُ: اللهُ يُتَحَدَّثُ عَنْ كَذِبَاتِ الْمُشْرِكِينَ الَّتِي أَحَلُّوا بِهَا مَا حَرَّمَ اللهُ مِنَ الشُّرُكِ
٢٤	الدَّرْسُ الرَّابِعُ: اللهُ يُتَحَدَّثُ عَنْ ضَمَانِهِ لِلْجَنَّةِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ سَلِمَ مِنَ الشُّرُكِ
٣٤	الدَّرْسُ الْخَامِسُ: اللهُ يُتَحَدَّثُ عَنْ الدُّعَاءِ فِي دِينِ الْمُشْرِكِينَ وَالِدُّعَاءِ فِي دِينِ الْمُسْلِمِينَ
٤١	الدَّرْسُ السَّادِسُ: اللهُ يُتَحَدَّثُ عَنْ الْإِسْتِعَاذَةِ فِي دِينِ الْمُشْرِكِينَ وَالْإِسْتِعَاذَةِ فِي دِينِ الْمُسْلِمِينَ
٤٧	الدَّرْسُ السَّابِعُ: اللهُ يُتَحَدَّثُ عَنْ الْإِسْتِعَاذَةِ فِي دِينِ الْمُشْرِكِينَ وَالْإِسْتِعَاذَةِ فِي دِينِ الْمُسْلِمِينَ
٥١	الدَّرْسُ الثَّامِنُ: اللهُ يُتَحَدَّثُ عَنْ الذَّبْحِ فِي دِينِ الْمُشْرِكِينَ، وَالذَّبْحِ فِي دِينِ الْمُسْلِمِينَ
٥٨	الدَّرْسُ التَّاسِعُ: اللهُ يُتَحَدَّثُ عَنِ النَّذْرِ فِي دِينِ الْمُشْرِكِينَ وَالنَّذْرِ فِي دِينِ الْمُسْلِمِينَ

٦٥	الدَّرْسُ الْعَاشِرُ: اللَّهُ يَتَحَدَّثُ عَنِ السُّجُودِ فِي دِينِ الْمُشْرِكِينَ وَالسُّجُودِ فِي دِينِ الْمُسْلِمِينَ
٧٢	الدَّرْسُ الْحَادِي عَشَرَ: اللَّهُ يَتَحَدَّثُ عَنِ السَّحْرِ فِي دِينِ الْمُشْرِكِينَ وَالسَّحْرِ فِي دِينِ الْمُسْلِمِينَ
٨١	الدَّرْسُ الثَّانِي عَشَرَ: اللَّهُ يَتَحَدَّثُ عَنِ الْأَوْلِيَاءِ فِي دِينِ الْمُشْرِكِينَ وَالْأَوْلِيَاءِ فِي دِينِ الْمُسْلِمِينَ
٩٨	الدَّرْسُ الثَّلَاثَ عَشَرَ: اللَّهُ يَتَحَدَّثُ عَنِ التَّوَسُّلِ فِي دِينِ الْمُشْرِكِينَ وَالتَّوَسُّلِ فِي دِينِ الْمُسْلِمِينَ
١١٠	الدَّرْسُ الرَّابِعَ عَشَرَ: اللَّهُ يَتَحَدَّثُ عَنِ التَّبَرُّكِ فِي دِينِ الْمُشْرِكِينَ، وَدِينِ الْمُسْلِمِينَ
١٢١	الدَّرْسُ الْخَامِسَ عَشَرَ: اللَّهُ يَتَحَدَّثُ عَنِ الشَّفَاعَةِ فِي دِينِ الْمُشْرِكِينَ وَالشَّفَاعَةِ فِي دِينِ الْمُسْلِمِينَ
١٣٥	الدَّرْسُ السَّادِسَ عَشَرَ: اللَّهُ يَتَحَدَّثُ عَنِ الَّذِينَ غَيَّرُوا دِينَ الْإِسْلَامِ وَفَرَّقُوا جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ
١٤٥	الدَّرْسُ السَّابِعَ عَشَرَ: اللَّهُ يَتَحَدَّثُ عَنِ الْبِدْعَةِ، وَالْمُبْتَدِعِ، وَقَوَاعِدِ نَشْرِ الْبِدْعَةِ
١٥٧	الدَّرْسُ الثَّامِنَ عَشَرَ: اللَّهُ يَتَحَدَّثُ عَنْ سَبَبِ تَفْرِيقِ دِينِ الْمُسْلِمِينَ وَجَمَاعَتِهِمْ
١٦٦	الدَّرْسُ التَّاسِعَ عَشَرَ: اللَّهُ يَتَحَدَّثُ عَنِ الْأَدْيَانِ فِي الْعَالَمِ، وَيُحَدِّدُ الدِّينَ الصَّحِيحَ وَالْمَقْبُولَ مِنْهَا

مَشْهُدُ اللَّهِ

ملاحظات للقارئ لتدوين الفوائد: